

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

قسم التاريخ والآثار

رقم التسجيل:.....

الرقم التسلسلي:.....

العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية 1954-1962

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الكريم بوصفصاف

إعداد الطالب:

محمد شطبيبي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د. عبد الرحيم سكتالي	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة منتوري قسنطينة
أ.د. عبد الكريم بوصفصاف	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	الجامعة الإفريقية-أدرار-
د. خمري الجمعي	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة أحمد لخضر-باتنة-
د. حسينة حماميد	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	جامعة أحمد لخضر-باتنة-

السنة الجامعية : 2008-2009



إلى /

أعزى وأمن إنسانة في حياتي إلى من تمنيت أن تشاركني فرحة
هذا العمل إلى القلب العنون، إلى روح أمي الغالية،
وإلى روح أعظم أبي
عليهما الرحمة،
وإلى زوجتي الفاضلة وأبنائي الأعزاء
إلى كل هؤلاء أهدي هذه الباكورة العلمية

الشكر والتقدير

إذا كان لابد من الاعتراض لذوي الفضل بفضلهم، فإنه لا يسعني
وأنا أضع المساءلة الأخيرة على هذا البحث

أن أوجه شكري وتقديري وامتناني إلى الأستاذ المشرف،
الدكتور عبد الكريم بوصفصافه على الأخذ بيدي في مهامته
هذا العمل العلمي المعقد، بفضل استطلاع هذا البحث أن يرى
النور وأن يصبح في هذه الصورة الأكاديمية الجميلة.

فله مني جميل الشكر والعرفان دام لنا ذخرا ومرشدا إلى سبيل
العلم والرشاد.

أما الشخص الثاني الذي لا يفوتني في هذا السياق إلا أن أوجه له
بالشكر والعرفان أيضا فهو:

زميلي وصديقي الدكتور الطاهر دراوي، الذي ما اتصل بي مرة إلا
وثناني وشجعني على مواصلة المسيرة على الرغم من العقبات
الكثيرة التي واجهتني أثناء مرحلة إعداد هذه الرسالة.
فله مني كل التقدير والاحترام.

وبحالة واحدة فإليه وإلى الأستاذ المشرف يرجع

الفضل الأول والأخير في دفعي إلى
إنجاز هذا العمل.

المقدمة

مقدمة البحث :

يعد موضوع هذه المأسلة من الموضوعات الجوارية التي تركز فيها الدراسة على الروابط السياسية والثقافية والاجتماعية بين البلدان المتجاورة أو المتناغمة مع بعضها البعض، وهو من الموضوعات الحديثة التي تحاول الوصول إلى تصنيف العلاقات بين الدول والشعوب حيثما وجدت وتجاورت، وموضوع العلاقات الجوارية التونسية إبان الثورة التحريرية (1954-1962م) هو موضوع شائك ومتداخل يتطلب من الباحث الدقة والعناية في التمييز بين الأنماط المختلفة، لأن العلاقة لم تكن منذ البداية بين دولة ودولة أو بين حكومتين متناظرتين وإنما كانت بين قيادة ثورة تحريرية تتميز روحها بالنشدد والتصلب إزاء دولة الاحتلال وبين حكومة مستقلة، ولكنها مكبلة بمعاهدات واتفاقيات، علاوة على ضعفها الاقتصادي والعسكري، ولكنها حكومة لبرالية تشهد المزيد من الحرية السياسية والاقتصادية والسياسية الكلية في إطار مبادئ الغرب في التحرر من القيود القديمة، وعندها كانت العلاقة مشوبة باختر على مستوى النخبة الحاكمة، ولكنها كانت متناغمة مناسقة على مستوى الجماهير الشعبية لتأزر بعضها البعض، وتحمل هموم أفرادها وجماعاتها على كل مستويات الحياة.

ولا شكت أن المدارس مثل هذه الموضوعات يجد نفسه مجرأ غاية الإخراج في إثبات الحقيقة التاريخية، بل وفي إحصاف الموضوعية وإعطائها ما تستحقه من أخيار والعنمية المتناهية في إعطاء كل طرف من الطرفين حقه التاريخي والسياسي والعاطفي إزاء بنده وشعبه، لأن الباحث مهما تكون موضوعته وحياديته، فإنه لا يستطيع أن يكون غير منحاز إلى الوطن الذي رضع بسيمه مع حبيب الأم، بعد أن فتح عينيه لأول وهلة في الحياة على الرغم من أن الجزائر وتونس يشكلان امتدادا جغرافيا واحدا وعنصرا شريا واحدا وحضارة عربية واحدة، ومع ذلك فإن الانتماء السياسي والعاطفي إلى قطعة معينة من الأرض تجعل صاحبها مشابها إليها على الدوام ولذلك سيحدثني القارئ في هذه الرسالة أحاول الوقوف دائما موقفا وسطا لا حيز ولا ضراوة.

والحق أن الجزائريين والتونسيين، قد وقفوا خلال مرحلة الدراسة موقفا تاريخيا واحدا أهمل الاحتلال وأربك خططه العسكرية وأضعف أثره الحربية أمام ذلك الزخم الشعبي الطافح على حدود البلدين، بل وحتى في الأعماق التونسية ذاتها، حيث لم تكن تستطيع أن تفرق بين الجزائريين والتونسيين في حماسهما للثورة ورفضهما للممارسات الاستعمارية الوحشية، وهذا البحث هو محاولة علمية في بيان وتبيين تلك العلاقات المميزة التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ المنطقة العربية .

أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب متعددة دفعتني إلى البحث في هذا الموضوع بالذات منذ سنوات دراسي الجامعية ولكنني سأشير إلى أهمها :

أولاً: لقد أثار اهتمامي بالعلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية الجزائرية، ما كان يرويه لنا بعض المجاهدين ممن كانوا في الأراضي التونسية، وكيف كانوا يحضون بالدعم الشعبي والتأييد الحكومي بل وكيف يعتبرون أنفسهم كما لو كانوا في وطنهم الأصلي فهم يشعرون بالترحاب والتضامن من السكان ويتفامعون معهم وسائل العيش، بل ويأثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

ثانياً: شهرة جناح الشرق للثورة في تونس أكثر من الجناح الغربي جعلني أفكر حديثاً في طرف هذا الموضوع منذ أن كنت في مرحلة التدرج.

ثالثاً: اهتمام الأستاذ المشرف بالعلاقات الجزائرية التونسية في الماضي والحاضر جعلني أتوجه بدون تردد إلى البحث في هذا الموضوع.

إن هذه الدوافع الثلاثة هي في الواقع دوافع حقيقية وليست من نسج الخيال .

إشكالية البحث:

إذا كان البحث والتحقيق في هذا الموضوع هما عصبان شائكتان تتطلبان الخريطة والمذكر في تقرير بعض احتقائق أو فيها، فإن النقطة المركزية التي أحاول الوصول إليها من خلال هذا العمل هي: دراسة وضبط تلك العلاقات السياسية والاجتماعية والثقافية التي توطدت واتسعت كثيراً بين البلدين الجزائر وتونس إبان الثورة التحريرية، والأسئلة الآتية ستساعد على الإجابة عن مكونات هذا الموضوع بشكل أدق: كيف استقبل التونسيون الجزائريين في ظروف السهم والحرب؟ ولماذا كان الجزائريون يجدون الملجأ والمأوى أثناء الحروب في البلاد التونسية؟ والتعليم والعلم مع أشقائهم التونسيين! وهل كان ذلك لأسباب جغرافية؟ أو لعوامل حضارية وتاريخية جعلت تونس تستقطب الجزائريين لأهداف متعددة؟.

كيف استطاع الجزائريون والتونسيون أن يتعايشوا معاً طويلاً سبع سنوات ونصف من الكفاح المسلح؟ وكيف استطاعت الإمكانيات الاقتصادية والسكانية التونسية أن تستوعب تلك الأعداد المائلة من اللاجئين؟ بل ولماذا امتزجت الدماء الجزائرية والتونسية فوق الأراضي الجزائرية والتونسية معاً؟ وكيف استطاع الجزائريون أن يتخذوا من الأراضي التونسية قاعدة خلفية لثورة عارمة استقطبت العالم كله وبهذه الشعوب المستعمرة في المقاربات الثلاث إلى حقها في الحرية والاستقلال؟ .

حدود البحث:

تحدد الفترة الزمنية المحددة لهذا البحث من 1954-1962م، وهي المرحلة الأكثر تمايزاً في العلاقات الجزائرية التونسية، وهو الزمن الذي احتضنت فيه العائلات الجزائرية والتونسية واقتربت من بعضها البعض بالجوار والمعاملة والمصاهرة بل فهي الفترة التي امتزجت فيها دماء الشعبين غاية الامتزاج وانسجمت فيها أفكارهم وأراءهم غاية الانسجام. حين أعين الشعب الجزائري حريه على فرنسا مطالبا بإسحق حريته واستقلاله بل وكرامته وسيادته، ولم يجد أذناً صاغية من قادة الاحتلال الفرنسي الذي طالما تصدقوا بنصر

أخرية والأخوة والمساواة وسلطوا القمع والإرهاب المنظم على المجتمع قاضية لا فرق بين الرجل والمرأة ولا بين الصغير والكبير فلهجات مئات الآلاف من سكان الشرق الجزائري إلى الأراضي التونسية واستقبلوا من إخوانهم التونسيين باغية والترحاب.

مناهج البحث:

أدركت في إطار هذه الرسالة منهجين معروفين هما المنهج التاريخي الوصفي والمنهج التحليلي النقدي . وقد طبقت الأول في رصد الأحداث التاريخية والعلاقات السياسية والظواهر الاجتماعية والمظاهر الثقافية التي عرفت العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية ووصف وقائعها ومعالمها المختلفة للإلمام بتلك العلاقات إلماما عموديا بغوص في أعماق ذلك التقارب والوثام اللذين حدثا بين الشعبين.

أما المنهج الثاني فقد سنكته في تحليل وتقد المعطيات التاريخية السياسية منها والثقافية والاجتماعية لإبراز وشائج التقارب وحيوط المحبة التي نسجت بين سكان البلدين على المناطق الحدودية التونسية من رجلي في أعماق مندا الكبرى وقراها المختلفة، لفهم تلك العلاقة المبنية على الصديق والأخوة والصداقة الدائمة، التي مهما انحلت السياسات وأوصدت الحدود فإنها ستبقى تزهو وتفتح بين الشعبين يوما بعد يوم .

صعوبات البحث:

كل باحث في أي ميدان من الميادين العلمية لابد أن يجد أمامه جملة من المعوقات المتنوعة، ولكنها قد تختلف من باحث إلى آخر حسب طبيعة المادة العلمية التي يبحث عنها أو الأهداف التي يريد الوصول إليها، فالمؤرخ الذي يبحث عن الحقيقة المتوارية وراء المراكمات التاريخية المهيولة، التي تتطور بوتيرة سريعة تختلف عن الفيلسوف الذي يريد أن يوظف نظرية فلسفية معينة، في تأليف رسالة أو أطروحة عن طريق الشرح والتحليل والتعليل والاستنباط، فالأول يتطلب منه البحث والتنقيب عن الوسائل الحديثة التي لم تستغل من قبل وقد يجدها أو لا يجدها أما الثاني فيكفيه الاعتماد على المؤلفات التي أخرجت في هذا المضمار أو ذلك.

أما المؤرخ فإنه يجبر على الإتيان بمعرفة تاريخية جديدة، والتي لا يجدها إلا في المصادر، والوصول إلى المصادر أحيانا يتطلب جهدا مضاعفا، ونفقات باهظة أيضا.

ومهما تكن هذه الصعوبات فإن الطالبي الباحث مطالب بالصبر والتحمل واقتحام المواقع الخطيرة لكي يأتي بالجديد في مجال بحثه، وقد حاولت أن ألم بأطراف الموضوع إلماما مساهلا على الرغم من اتساعه وتعقده بسبب الحرب التي أمت على الأخضر واليابس، وأن أضيف إلى المكتبة الوطنية لبلدة جديدة في صرح العلاقات الجزائرية المغربية، فإن وفقت فإن ذلك يفصل الله وعونه، وتوجيهات المشرف التي كانت وما تزال نورا لي على الطريق، وإن أحطأت فحسبي أنني بذلت جهدا في البحث عن المصادر والمراجع، وأخضعت إلى تكويني الخاص ثقافة تاريخية يستحيل استيعابها لولا هذه الرسالة.

أهم مصادر البحث ومراجعته:

لقد اعتمدت على مصادر أصلية ومراجع علمية ثانوية في إعداد هذه الرسالة، وتنقسم إلى أربعة أقسام:

- أولاً: الصحف الجزائرية والتونسية التي كانت تصدر إبان الفترة المدروسة، وما قبلها بقليل "1952-1962"، وهي صحافة مبدأ ومغال لا صحافة دعائية وأخبار، لأنها كانت صحافة مناضلة تدافع عن المبادئ الوطنية والقيم الإنسانية التي حاول الاحتلال طمسها في الجزائر وتونس.
- ثانياً: الكتب العربية: وتتراوح بين مصادر أساسية ومراجع علمية ثانوية مدعسة.
- ثالثاً: الكتب الأجنبية: وهي كتب مهمة أيضاً من باب "وشهد شاهد من أهلها".
- رابعاً: الرسائل الجامعية:

1 - الصحافة: تعد صحف الصباح والعمل والدمقر والاسبوع التونسية وحريضة المجاهد الجزائرية، أبرز المصادر وأكثرها ثراء في موضوع العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة وكان جل مقالاتها دراسات سياسية واجتماعية وثقافية وعسكرية حول الثورة الجزائرية خاصة والجمع الجزائري والتونسي بصورة عامة ومن هنا فهي مرآة عاكسة لتلك المرحلة لا سيما وأنها كانت تأتي بالمقالات والتصورات الجزائرية والتونسية ثم ندرسها ونحللها ونعلق عليها، وقد استفدت منها كثيراً في المعطيات التاريخية والإحصاءات الاجتماعية لا سيما في الفصول الثالث والرابع والخامس.

2 - الكتب: من أهم المصنفات التاريخية الكثيرة في هذا البحث:

- أ/ كتاب "ليل الاستعمار" لمؤلفه فرحات عباس، وهو كتاب متميز بالمعرفة التاريخية والنصوص النقدية التي رد بها المؤلف على كبار السياسيين ومؤرخين المدرسة الكولونيالية في الجزائر.
- ب/ كتاب "الثورة الجزائرية" لمؤلفيه مصطفى طالاس وبسام العسّي، وهو كتاب من الحجم الكبير حافل بالأحداث والوقائع، بل وبدفائق الأمور وتفاصيلها، وقد كتب غير بعيد عن انتهاء الثورة الجزائرية، واعتمد على وثائق مهمة تحصل عليها من مسؤولين جزائريين، وقد أفادني كثيراً في موضوعات مختلفة.
- ج/ كتاب "الثورة الجزائرية سنوات المحاض" و"جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع" لمؤلفيه شمد حربي، وهما كتابان مهمان باعتبار أن صاحبيهما كان من قادة الثورة وروادها وهما يجهلان بين دفتيهما معارف تاريخية وثقافية وسياسية واجتماعية نافذة، وقد اعتمدت في التعريف بالثورة وتطورها.
- د/ كتاب "المقاومة السياسية 1900-1954" الطريق الإصلاحي والطريق الثوري لمؤلفيه محفوظ قدّاش وإحيائي صباري، وهو كتاب قيم أولاً لضخف ترجمته، وقد استفدت منه في مقدمة البحث.

هـ/ كتاب: "الجزائر الثائرة" لمؤلفته جوان غلبسي، وهو كتاب قيم اعتمدت فيه صاحبه على وثائق أصيلة من الطرفين المتحاربين الجزائريين وفرنسا، وحتى أنها عاشت في الجبال مع المجاهدين مدة معينة، بهدف فهم الثورة وتجربيات أحداثها.

و/ كتاب "مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898-1974"، لمؤلفه بسام بن سطورا ترجمه صادق عماري ومصطفى ماضي. وهو كتاب يتناول مسيرة حياة مصالي الحاج والظروف التي أحاطت به بعد 1954م. حاول فيه صاحبه أن يعطي انصافاً لمترجمه على الرغم مما تمخض به الكتاب من محاولة حيادية في طرح الموضوع.

ي/ كتاب الثورة التحريرية الجزائرية في الصحافة العربية (1954-1962) "لمؤلفها الدكتور عبد الكريم بوصفصاف وآخرين.

وهناك كتب من الطراز الأول في موضوع الرسالة الموجودة في الهوامش وفي البيبليوغرافية، لا يسع المكان لتذكرها في هذه المقدمة.
ثالثاً: الكتب الأجنبية:

أ/ من أهم الكتب المعتمدة في هذا البحث: كتاب الحركة الثورية في الجزائر من الحرب الأولى إلى 1954م، le mouvement révolutionnaire en Algérie, (de la 1er guerre mondiale à 1954), librairie édition l'haramattan, Paris,

لمؤلفه أحمد محسن، وهو كتاب قيم لأن مؤلفه كان من الفياض الجزائريين في الثورة. وقد اعتمدته خاصة في الفصدين الأول والثاني.

ب/ وحدة الأمة تواجه القضية الجزائرية (1954-1962) Les Nations Unies face à la question algérienne 1954-1962, SNED, Alger, 1969

لمؤلفه خليفه معمرى، وهو كتاب قيم حاول فيه صاحبه تشريح المشكلة التي كانت تواجه وحدة الأمة الجزائرية، وهو من أهم المراجع المعتمدة في هذا البحث.

رابعاً: الرسائل الجامعية :

لقد اعتمدت على رسائل جامعية نالت تقديراً مشرفاً من قبل لجان المناقشة لأن أصحابها اعتمدوا على وثائق وأرشيفات أصيلة أعطت لبحث قيمته العلمية والمنهجية، ومن هذه الرسائل: "دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية"، لصاحبها عبد الله مقلاتي تحت إشراف: د.د. عمير اوي حبيدة.

- "فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال (1899-1985)"، لصاحبها عز الدين معزة تحت إشراف أ.د. عبد الكريم بوصفصاف، وهي رسالة قيمة ألقت بأنوارها على بعض الجوانب المنظمة في حياة السياسي الليبرالي الجزائري فرحات عباس إبان الثورة.

- "التطور العسكري في ثورة الجزائر (1954-1962)" لباحثة آصال شلي تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف.

- "الرأي العام الفرنسي والثورة الجزائرية" للباحث أحمد منور تحت إشراف أ.د. عبد الكريم بوصفصاف. وقد استفدت من كل هذه المذكرات والكتب والرسائل إفادة معتبرة في جميع فصول الرسالة.

خطة البحث:

تبعاً للمادة الخيرية والعنسية التي حصلت عليها قسمت هذا الموضوع إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وملاحق وبيبليوغرافية وفهارس.

تطهرت في المقدمة إلى التعريف بالموضوع وأسباب اختياره وإشكاليته والمناهج المستخدمة في دراسته، مع ذكر الصعوبات التي انتزعتني وأهم مصادر ومراجع البحث، ثم ختمت المقدمة بخطة الرسالة:

الفصل الأول: الأوضاع الدولية والمحلية المغاربية عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م.

وقد قسمته إلى ستة مباحث:

المبحث الأول: أثر العلاقات السياسية الدولية في نشاط الحركات التحررية: وقد قدمت فيه صورة موجزة عن الحياة السياسية المغاربية حتى مطلع الخمسينات من القرن العشرين، معتمداً على أسئلة منها: - في أي سياق سياسي وتاريخي تطورت وثيرة الأحداث؟

وكيف كان تأثيرها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على الأوضاع السائدة في الجزائر خاصة وفي البلاد المغاربية بصورة عامة؟

المبحث الثاني: التحولات السياسية والثورية في البلدان المغاربية: وتطهرت فيه إلى الأوضاع السائدة في البلدان المغاربية عامة، والضغط الذي مورس على هذه البلدان خلال فترة الاحتلال، والذي أدى إلى تطور الوعي الجماهيري، ولم يعد في مقدور سلطات الاحتلال وقف مجرى الأحداث، خاصة بعد الحرب الكونية الثانية. كما حاولت توضيح سبب تأخر استقلال الجزائر حتى سنة 1962م، دون البلدان المغاربية الأخرى، فقد حصلت ليبيا على استقلالها نهائياً سنة 1952م، وحصلت تونس والمغرب على استقلالهما كنيا سنة 1956م.

المبحث الأول: أسباب الهجرة ومظاهرها في تونس. وقد خصصته لبحث العوامل السياسية والاقتصادية التي دفعت بسكان الشرق الجزائري لاجوء الجماعي إلى تونس لاسيما بعد 1956م حين اشتد وطأيس الحرب بين الشعب الجزائري وقوات الاحتلال الفرنسي .

المبحث الثاني: الدعم الاجتماعي للاجئين الجزائريين بتونس (1954-1957) : تضمن هذا المبحث الدعم المادي والمعنوي الذي تلقاه اللاجئون الجزائريون من أشرافهم التونسيين حكومة وشعبا، على الرغم من المعاناة التي طالت كل منهما على حد سواء .

المبحث الثالث: العلاقات الاجتماعية التونسية الجزائرية 1957-1962: لقد درس هذا المبحث العلاقات الاجتماعية الجزائرية التونسية خلال السنوات الأخيرة من الثورة لاسيما بعد إنشاء وزارة الشؤون الاجتماعية التي أصبحت تتولى مهام المجتمع الجزائري بصورة عامة، لاسيما من خلال المنظمات: الاتحاد العام للعمال الجزائريين، اتحاد التجار الجزائريين، الاتحاد النسائي، إتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين... الخ وعلافة هذه المنظمات بالثورة من ناحية وباللاجئين الجزائريين في تونس وغيرها.

الفصل الخامس: العلاقات الثقافية الجزائرية التونسية : أما هذا الفصل فقد درس بعمق العلاقات الثقافية بين الشعبين الجزائري والتونسي منذ بداية الخمسينيات حتى وضعت الحرب أوزارها، وقد تناول **المبحث الأول: النهضة الثقافية في الجزائر من خلال الأقاليم التونسية** اهتمام الكتاب التونسيين في الصحافة اليومية والأسبوعية بقطعة المجتمع الجزائري في مختلف المجالات الفكرية والأدبية والتعبيرية والفنية.

أما المبحث الثاني: الأقاليم الجزائرية في الصحف التونسية إبان الثورة التحريرية : فقد ركز بالأساس على تعامل الصحافة التونسية مع الإنتاج الفكري الأدبي والسياسي خلال الثورة المشور من قبل الجزائريين، و ذكر بعض الأقاليم الجزائرية التي كانت تكتب في الصحافة التونسية إبان الثورة وتصنيف تلك الكتابات الجزائرية التي كانت تصب في بحملها حول الثورة ومسألة الحرية والاستقلال وإزالة الاستعمار الأجنبي ونحو ذلك من الموضوعات العريضة على الجزائريين في ذلك الوقت .

في أي حانة تصنف هذه الكتابات ؟ وما هي المواضيع التي تمت معالجتها ؟.

هذا وقد عالج المبحث الثالث: دور اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين من خلال الصحافة التونسية: والمهام التي أنشبت على عاتقه في انشغال أبناء اللاجئين الجزائريين من الجهل والامية بالإسهام في التعليم ونشر المعرفة بينهم في تونس وفي البلدان المجاورة الأخرى.

أما المبحث الرابع فقد تصدى لدراسة الدعم المادي والمعنوي من إتحاد الطلبة التونسيين إلى إتحاد الطلبة الجزائريين والمؤسسات التعليمية الجزائرية بتونس .

المبحث الأول: اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر، وتناولت فيه بيان أول نوفمبر 1954م وأهداف الثورة الجزائرية وهي الاستقلال الوطني واسترجاع سيادة الشعب وكرامته .

المبحث الثاني : هجومات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955م، وقد عالجت فيه أسباب وظروف هجومات الشمال القسنطيني ونتائجها.

المبحث الثالث: مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م، وتطرق في إلى ظروف انعقاده ونتائجه.

المبحث الرابع : إضراب الثمانية أيام 28 جانفي-04 فيفري 1957م، وقد أوضحت فيه أسباب وظروف ونتائج هذا الإضراب.

المبحث الخامس : مظاهرات ديسمبر 1960م والذهاب إلى المفاوضات : حاولت فيه الإلمام بظروف وأسباب ونتائج هذه المظاهرات، وكيفية الذهاب إلى طاولة المفاوضات.

المبحث السادس: الوفد الخارجي و لجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.E)، قدمت فيه شحة عن الوفد الخارجي ولجنة التنسيق والتنفيذ.

المبحث السابع: المجلس الوطني للثورة الجزائرية (C.N.R.A) والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (G.P.R.A)، وقد أوردت فيه تركيبة المجلس والحكومة ومهامهما أثناء الثورة التحريرية .

وأخيرا المبحث الثامن: وقف إطلاق النار والاستقلال، وفيه قدمت عرضا عن قرار وقف إطلاق النار والعمليات المؤقتة وبرنامج طرابلس والاختيارات الكبرى.

الفصل الثالث: العلاقات السياسية الجزائرية التونسية إبان الثورة الجزائرية (1954-1962):

المبحث الأول: اهتمام الصحافة التونسية بالتطور السياسي في الجزائر، لاسيما منذ سنة 1954م أي منذ اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر ، وقد عالجت فيه بعض المقالات الصحفية التي كتبها تونسيون وجزائريون عن الجزائر عامة والثورة بصورة خاصة.

المبحث الثاني: إمكانية السياسة في العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة، أما هذا المبحث فقد أفردته لدراسة الأهمية التي احتلتها الثورة الجزائرية في السياسة التونسية وبعبارة أخرى كيف كان التعامل بين القيادتين التونسية والجزائرية في تونس، لأن الأوضاع كانت معقدة ومتشابكة ببعضها البعض .

أما المبحث الثالث: تطور العلاقات الجزائرية التونسية 1957-1962م، لقد خصصت هذا المبحث لدراسة العلاقات السياسية الجزائرية التونسية خلال الفترة الحاسمة من الثورة الجزائرية (1957-1962)، والتي انقلب فيها الوضع في الجزائر، رئيسا على عقب ولم تستطع سياسة الحكومات الفرنسية الخروج من هذا المأزق إلا بالرضوخ لمطالب الشعب الجزائري والدخول في المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني.

الفصل الرابع: العلاقات الاجتماعية الجزائرية التونسية إبان الثورة، ويتضمن هذا الفصل ثلاث مباحث:

المبحث الثالث: التطورات السياسية في الجزائر عشية ثورة الفاتح من نوفمبر في الجزائر سنة 1954م:
وأتطرق فيه إلى الأوضاع السياسية السائدة في الجزائر وكيف قد مهدت بطريقة أو بأخرى لقيام الثورة التحريرية المسلحة.

المبحث الرابع: المسألة الاقتصادية في الجزائر عشية اندلاع الثورة: وقد أوضحت فيه أهمية الموقع الاستراتيجي الهام للجزائر وسط البلدان المغاربية وقربها أكثر من أوروبا وخاصة فرنسا، فالجزائر ظلت مركز القوة بالنسبة للاقتصاد الفرنسي، لما كانت تقدمه من موارد طبيعية ضخمة وزراعة متنوعة دون مقابل، وأيدي عاملة رخيصة سخرت لخدمة الإقطاع الزراعي الواسع والمؤسسات الصناعية الصغيرة للمستوطنين بالجزائر، بل واستغلال طاقات الأهالي الجزائريين على الأراضي الفرنسية نفسها، وهذا لاحظناه أن اقتصاد الجزائر ظل يضعف تدريجيا أمام تطور رؤوس الأموال الأجنبية، الأمر الذي جعل فرنسا تنشط أكثر باحتلالها لجزائر دون باقي البلدان المغاربية الأخرى، خاصة لما تتمتع به الجزائر من ثروة سطحية وباطنية، وفريق هذا وذلك فإن الجزائر عبارة عن قارة تتميز بالتنوع في المحاصيل والتضاريس وكل ما يميزها عن غيرها من البلدان المجاورة، وهذه الأسباب كلها ووسط هذه الظروف الصعبة للجزائريين، أدرك الشعب الجزائري أن تحقيق الاستقلال لن يكون إلا بالقوة أي العمل المسلح طبقا للنظري القائلة " ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة". وهكذا كانت بداية التحضير لاندلاع الفاتح من نوفمبر 1954م.

المبحث الخامس: المسألة الاجتماعية في الجزائر عشية اندلاع الثورة: وقد قدمت فيه بعض الجواب المهمة من الحياة الاجتماعية للشعب الجزائري فيقبل اندلاع الثورة التحريرية ولو بالجزء. حتى يتيسر لنا تحديد العلاقة بين الشعب والثورة، فهل الشعب هو الذي قام بالثورة؟ أم أن نخبة معينة هي التي فجرها وحررت الشعب ورائها.

المبحث السادس: المسألة الثقافية في الجزائر عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م:
وقد بينت فيه كيف أن مجال الثقافة كان منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر ميدانا محظيا للكثير من التفكير الاستعماري وطمس مقومات الشخصية الوطنية للشعب الجزائري، بعد إزالة المقومات السياسية والثقافة لشعب الجزائري الذي لم ينهض من كبوته إلا مع التباشر الأول لعشرين، ولهذا فإن الوضع الثقافي قبل اندلاع الثورة لم يكن أفضل من الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي عانت منه الأمة قاطبة ردتا من الزمن، مما يفسر تعدد الأسباب والدواعي التي جعلت الشعب الجزائري يهب عن بكرة أبيه في وثبة واحدة لنهضة على الواقع الأليم الذي كرسه السياسة الاستعمارية منذ قرن وربع قرن من الزمن.

الفصل الثاني: تطور الثورة التحريرية الجزائرية ومؤسساتها السياسية والعسكرية: ويتضمن هذا الفصل ثمانية مباحث:

وأخيراً البحث بحاجة لتتضمن النتائج المستخلصة من هذه الدراسة التي اعتبرها إسهاماً متواضعاً للباحثين وقد دعمته بحقائق هامة ومتنوعة، ووضعت في الأخير قائمة بيبليوغرافية ومجموعة من الغهارس الموضوعية ووضعت فهرساً للموضوعات؛ ومن أهم هذه النتائج :

أن العلاقات السياسية بين البلدين كانتا تزهو وتغر باستمرار تبعاً لظروف البلدين في كل حقبة من حقبة التاريخ، وقد ظل المجال الجغرافي مفتوحاً بينهما على امتداد التاريخ، فمرة بعد انفوذ الجزائري حتى إلى نفوسة بليبيا عبر الجنوب التونسي، ومرة تصح تونس تابعة لقسطنطينة وأحياناً تصبح قسطنطينة تابعة إلى تونس. وهكذا دواليك دون أن نحسب عصر الموحدين والمرابطين ونحو ذلك؛ ولكن العلاقات السياسية المتسببة قد ظهرت بعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر في الجزائر، حيث أصبح كل من الجزائريين والتونسيين يخوضون حرباً واحدة ضد الهيمنة الاستعمارية المتفطرة؛ التي مدت نموذها على كل أقاليم المغرب القديم وسيّرها جزءاً من الممتلكات الفرنسية.

فكان موقف أبناء البلدين موقفاً واحداً في الذود عن الشرف والكرامة واسترجاع السيادة الوطنية، وأصبحت القيادتان الجزائرية والتونسية تعربان عن موقف واحد إزاء مستقبل البلدين ومطامح الشعبين، حتى استرجعتا استقلالهما الواحدة تنو الأخرى، وحاصر لكل بلد دولة وطنية خاصة، مع إبقاء التعاون مستمراً في كل المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية بل والاجتماعية أيضاً، ولعل الخطوات التي تخطوها الدولتان الآن ستؤدي مستقبلاً إلى إتمام الوحدة المغاربية وتكوين دولة واحدة.

الفصل الأول

الفصل الأول: الأوضاع الدولية والمحلية المغاربية عشية اندلاع ثورة

الفتاح من نوفمبر 1954م:

المبحث الأول: أثر العلاقات السياسية الدولية في نشاط الحركات التحررية

المبحث الثاني: التحولات السياسية والثورية في البلدان المغاربية

المبحث الثالث: التطورات السياسية في الجزائر عشية ثورة الفاتح من نوفمبر في الجزائر سنة 1954م

المبحث الرابع: المسألة الاقتصادية في الجزائر عشية اندلاع الثورة

المبحث الخامس: المسألة الاجتماعية في الجزائر عشية اندلاع الثورة

المبحث السادس: المسألة الثقافية في الجزائر عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م.

الفصل الأول: الأوضاع الدولية والمحلية المغربية عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م:

لعبه من الأهمية بما كان طرح بعض التساؤلات في مستهل هذا الفصل الذي سيغطي صورة موجزة عن الحياة السياسية المغربية حتى مطالع الخمسينات من القرن العشرين.

- 1- في أي سياق سياسي وتاريخي تطورت وثيرة الأحداث؟
 - 2- كيف كان تأثيرها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على الأوضاع السائدة في الجزائر خاصة وفي البلاد المغربية بصورة عامة؟
 - 3- كيف استطاع الشعب المغربي تفجير الثورة في كل ربوع البلاد ضد الاحتلال الأجنبي؟
- ولإجابة على هذه التساؤلات لابد من معرفة الظروف الخلفية بالجزائر آنذاك، بل وربما الرجوع إلى الوراء قليلا لمسير الحوار الأسباب العميقة التي أدت إلى قيام الثورة التحريرية وتحليلها واستنباط ما هو متواري وراء الأحداث المختلفة.

المبحث الأول: أثر العلاقات السياسية الدولية في نشاط الحركات التحررية:

إن أهم المستجدات المسجلة على الصعيد الدولي بعد الحرب الكونية الثانية 1945م، هو ذلك التغيير الكبير في ميزان العلاقات السياسية، لاسيما ظهور قوى عالمية جديدة⁽¹⁾ نجحت في المعسكرين الكبيرين: المعسكر الغربي الرأسمالي المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية والمعسكر الشرقي المتمثل في الاتحاد السوفييتي ومنظومة البلدان الاشتراكية السائرة في فلكه، فبعد أن سيطرت أكبر الإمبراطوريات الاستعمارية الأوروبية على العالم أكثر من قرن وربع قرن من الزمن، هوت في دائرة الضعف بعد حرب ضروس أثبت على الأخضر واليابس في أوروبا دائما.

و يمكن القول أن الأحداث التاريخية هي جدلية دialeكتيكية فالأسباب تكون لما دائما نتائج ولكن ليس بالضرورة أن تكون في السياق نفسه، فإن أفرزت الحرب الكونية الأولى قوة إضافية لكل من فرنسا وبريطانيا، فإن الحرب الكونية الثانية تركت هاتين القوتين الاستعماريتين في وضعية اقتصادية وسياسية حرجية، وتراجعت مكانتهما السيامية مع بداية تحقيق الحركات التحررية حريتها واستقلالها.

وقد زاد الضغط الاستعماري على البلدان الإفريقية التي كانت تان تحت أشنع أنواع الاستعمار كما بدأت موجة جديدة من التحرر بعد أن أصبحت الأوضاع مزرية في تلك البلدان⁽²⁾ عقب الحرب الكونية الثانية على جميع الأصعدة: اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وثقافيا.

¹ عبد الحميد خيث: الجنس العربي الإسلامي، ج1، ط2، دار المعارف، مصر: 1961، ص 401.

² Ibrahime Ghafā : L'intellectuel et révolution Algérienne, Edition Distribution Houma, Alger, 2001, p60.

فعلى المستوى الاقتصادي كانت هناك حالة استنزاف مستمرة للثروات الطبيعية والأيدي العاملة وتخريب الكثير من المنشآت الاقتصادية في البلدان التي كانت مسرحا لمعارك المتحاربين مثل مصر وليبيا وعلى الصعيد السياسي كان هناك استمرار للمراوغات الإصلاحية التي صاحبها في الوقت نفسه أعمال قمع واضطهاد وتضييق الخناق على الحركات الوطنية في هذه البلدان، بل والبطش الضمني للأنظمة الاستعمارية التي تجسدت بخاصة في مجازر الثامن ماي 1945م بالجزائر وحوادث دمشق في نهاية الشهر نفسه.

ولم تكن الساحة الثقافية لتخرج عن هذه الحلقة الضيقة، فالأمية والجمود الفكري هي السمة البارزة التي فرضتها سلطات الاحتلال على الشعب المغاربي عامة والجزائري بصورة خاصة. وحاولت الاحتفاظ على استمراريتها.

إذن فقد انتهت الحرب الكونية الثانية بتحويلات مثيرة ومن ذلك سقوط أسطورة فرنسا التي لا تقهر إذ لم تستطع أن تعمد أمام هزبات النازية سوى أربعة عشرة (14) يوما⁽¹⁾.

وقد اعترف بذلك رجل فرنسا القوي الجنرال شارل ديغول Charles De Gaulle عندما كتب في مذكراته (الخلاص): "قد داهمتنا القوة الألمانية الألية ونحن نعوص بعنف في اضطراب مادي ومعنوي..."⁽²⁾ ومن ثم لم تعد فرنسا قادرة على إقناع العالم الذي تستعمره بأنها لازالت تحت تلك الدولة القوية المهيمنة، وفي المقابل رأيت الشعوب المستعمرة التي وقعت إلى جانبها وكل الحفقاء أثناء الحرب الكونية النازية ضد دول المحور، أن من حقها التخلص من عبء وثقل الاستغلال والسيطرة التي طالت أمدها، فهاهي كل من الجزائر وسوريا تتقد فيهما جدوة الحرية في شهر واحد، ولكن الإدارة الاستعمارية لم تدرك حجم هذه التحويلات وفضلت دائما خيار القمع الوحشي⁽³⁾، وكانت النتيجة مع ذلك كراهة استقلال بعض البلدان المستعمرة بعد الحرب الكونية الثانية مثل: سوريا ولبنان في ديسمبر 1946م⁽⁴⁾ وباكستان سنة 1947م وغيرها من الدول.

أما الهند الصينية فقد اشتعلت فيها نار الثورة منذ 19 ديسمبر 1946م، وفي سنة 1949م نجحت الثورة الشيوعية في الصين واعترف قائدها ماوتسي تونغ Maotse tounغ بالفتنة vietminh

⁽¹⁾ - سقوط العاصمة باريس كان يوم 15 جون 1940م بعد رموز لاواند الحرب العالمية الثانية، عرض مصور، ص 18، دار العلم

بعلاب، بيروت، لبنان، 2001 ص 53.

⁽²⁾ شارل ديغول: مذكرات الحرب "الخلاص" 1944-1946، ترجمة: جليل عبد الوهي وإبراهيم ترجمان، دار العلم، بيروت، ص 418.

⁽³⁾ مصطفى خلاص وبسام العسبر: الثورة الجزائرية، ص 1، دار الشؤون، بيروت، لبنان، 1982، ص 36.

⁽⁴⁾ عبد الحميد بخت: المجمع السابق، ص 300.

ودعمها ماديا ومعنويا، فاكسبت، بذلك الثورة القيتامية بعدا دوليا آخر زاد من شدة الضغط على فرنسا الاستعمارية.

ومن هنا مبررى أن الجيش الفرنسي سيمى بأكثر هزيمة في بيان بيان في سنة 1954م⁽¹⁾ حيث حسر ما لا يقل عن 100926 رجلا بين قتيل وجريح أو أسير، أما الاحتياطي فكاد يكون مفقودا ولم تستطع وزارة الدفاع الفرنسية خلال خمسة أشهر إلا إرسال 879 رجلا إلى الهند الصينية. كل هذه العوامل جعلت مونديس فرانس Mandés France رئيس الحكومة الفرنسية يوقع اتفاقيات جيف⁽²⁾ التي كرسست الحرية السياسية والعسكرية لدولة عظمى أمام شعب صغير⁽³⁾.

وقد اكسبت حرب فيتنام الكثير من الخبرة العسكرية لتجنود الجزائريين الذين خاضوا عمارها في جميع المادين بجانب القوات الفرنسية، وخاصة في مجال حرب العصابات، التي سيعتمد عليها الثوار فيما بعد لمواجهة جيوش كبار الجنرالات الفرنسيين المتخرجين من أشهر الكليات الحربية في العالم⁽⁴⁾.

وبعد هيأت التطورات السياسية في العلاقات الدولية الظروف الملائمة لنشاط التحرير في إفريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية، ومن ذلك تأسيس هيئة الأمم المتحدة بعد الموافقة على ميثاقها يوم 26 جوان 1945م، والتي حملت على عاتقها تجسيد سيادة الحرية والمساواة من خلال هذا الميثاق. وقد أعلن عن مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها⁽⁵⁾.

وكان أهم ما ميز الساحة العالمية، ما عرف بالحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي وفي إطار هذه الحرب ساهم المعسكر الشرقي أحيانا في تدعيم بعض الحركات التحررية عسكريا وسياسيا وذلك بهدف إضعاف الخصم، شتما حدث في الهند الصينية والثورة المصيرية التي قامت يوم 23 حويلية 1952م، كما أن المعسكر الغربي شكل هو الآخر حجر عثرة ضد من يقف في وجه الإمبريالية والاستعمار الغربي، الذي اتحد أماليب جديدة أكثر تنظيم، كما هو الحال في تكتل الحلف الأطلسي الذي تأسس يوم 4 أبريل 1949م، وكذلك بعض المشاريع الاقتصادية ذات الطابع السياسي.

⁽¹⁾ السيرة: سطور: مصالي الحاج قائد الوطنية الجزائرية 1898-1974، ترجمة محمد مادي، مصطفى داغني، دار الثقافة للنشر، الجزائر 1999، ص 203.

⁽²⁾ مؤتم جيف، تمتد كلفته من 26 أبريل - 21 حويلية 1954 وحصل على العائد من نتائج أهمها تسحب القوات الفرنسية هناك، من الهند الصينية بعد احتلال دام أكثر من (70) سنة وتفككت الاتحاد الفدرالي الفرنسي في الهند الصينية.

⁽³⁾ محمد حري، الثورة الجزائرية سنوات الفخاض، ترجمة محمد عباد وساج أفلوحي، المؤسسة الوطنية للثقافة للصحبة الجزائر، 1991م، ص 67-68.

⁽⁴⁾ مبرود قاسم دايدة بلقاسم، ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على ثورة نوفمبر، دار الشعب، مستطبة الجزائر، 1983، ص 55-56.

⁽⁵⁾ دال سبي، التطور العسكري في الثورة الجزائرية 1954-1962، مرجع سابق.

ويمكن أن نرى كذلك بأهمية الثورة المصرية في قسح الخيال نحو أسلوب جديد للمقاومة بشمال القارة الإفريقية ضد فرنسا الحليف القوي لبريطانيا في المغرب، وباعتبار مصر البوابة الحيوية نحو المستعمرات البريطانية في القارة الآسيوية عبر قناة السويس، علاوة على قيمتها الجغرافية الإستراتيجية، فإنها ستمثل مركز الدعم للثورة الجزائرية والثورة الفلسطينية من مطلق مبادئها الثورية مما بعد، واستطاعت مصر بعد توقيعها معاهدة خروج بريطانيا من قناة السويس يوم 26 جويلية 1956م⁽¹⁾ إعلان استقلالها بصورة نهائية.

هكذا إذن نجد الأحداث الدولية عقب الحرب الكونية الثانية، قد شهدت تطورات سياسية واقتصادية ملموسة، وانتقل مركز القوى المتحكمة في العالم إلى دول جديدة تزعمتها الولايات المتحدة الأمريكية المتمثلة للنظام الرأسمالي، والاتحاد السوفياتي كقطب ثاني مثل للنظام الاشتراكي، وتراجعت القوى الاستعمارية التقليدية أمام الوعي الكبير الذي عرفته شعوب المستعمرات وحركاتها الوطنية بعد أن زجت في العديد من المعارك المدمرة واستنزفت إمكاناتها بطريقة بشعة وكانت أراضيها مسرحا للصراع والحرب التي لم تكن بعضها، ومع ذلك أرغمت على المشاركة فيها، وإن كانت قد نرتبت عنها خسائر مادية وبشرية معتبرة، فقد كان لها وجه إنجابي وهو ظهور موجة الحركات التحررية في آسيا وإفريقية ليفسح الخيال أمام عهد جديد يحتم فيه مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، ومع ذلك لا يمكن إغفال ذلك التوجه الأمريكي الجديد في إطار ما يسمى بسياسة ملاءم الفراغ.

وصفوة القول أن التأثيرات الدولية العالمية على حركات التحرر، بقدر ما كانت سببا مسليا على رقاب شعوب المستعمرات بقدر ما ساهمت في إيقاف القوانين المضيق في مختلف روابي العالم المتخلف، مما جعل تلك الإمبراطوريات الاستعمارية تدفع ثمنها باهظا من أجل الحفاظ على وجودها خارج الحدود الجغرافية الأوروبية.

المبحث الثاني: التحولات السياسية والثورية في البلدان المغاربية:

لقد تمكنت القوى الاستعمارية الفرنسية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين من بسط سيطرتها على أقطار المغرب العربي باستثناء ليبيا التي خضعت للاحتلال الإيطالي، وكان من شأن هذا الوضع المشترك أن يجعل هذه الأقطار أكثر ارتباطا فيما بينها، بيد أن السياسة الفرنسية منذ البداية ميزت بين الجزائر وجزائرها تونس والمغرب، حيث اعتبرت الجزائر من وجهة نظر القانون الفرنسي أرضا فرنسية وجزءا لا يتجزأ من ترابها الوطني، ولذا فهي أول بلد يحتل وآخر بلد يستقل من بين هذه البلدان المغاربية لكونها تمثل الزمان الأكبر ولا تزال.

⁽¹⁾ - عبد الحميد عيت: المرجع السابق ص 413.

وقد سبق الحديث عن أهم التطورات الدولية التي ساهمت في نشاط الحركات التحررية¹، ورأينا كيف استقلت بعض الدول وبقيت دول أخرى تطالب باستقلالها، متهمجة عدة طرق وأساليب منها: أسلوب الكفاح السياسي الذي اتبعته كل من تونس والمغرب، و الجزائر إلى مطالع الخمسينات من القرن العشرين، واستطاعت البلدان المغربية أن تقطع شوطا متقدما نحو أسلوب جديد من الكفاح وهو العمل العسكري، إلى جانب النضال السياسي، ذلك أن فرنسا قد فضلت سياسة التهديد أثناء الحرب الكونية الثانية حتى لا يفلت منها زمام الأمور، وهي في وضع حرج، ولكن ما كادت تنتهي هذه الحرب حتى كثرت عن أثارها الخفية التي كانت تخفيها طوال الحرب. فقامت بقمع الحركات الوطنية التي أصبحت تهدد مصالحها المختلفة بقوة، نظرا لدرجة الوعي السياسي الذي بلغته في تلك المرحلة. فهل يمكن القول أن هذا الأسلوب تجاوز الزمن؟ أم أن السلطات الفرنسية قد حافظت بذلك على مركزها بين الدول الأوروبية؟ وكيف كان تفاعل الأوساط الشعبية والحركات السياسية المغربية مع هذه السياسة القسرية؟

أولا/ المملكة الليبية: تعد ليبيا بلدا مكتملا جغرافيا المغرب العربي وجزء لا يتجزأ منها، فهي تمثل العروة الوثقى للاتصال بين المغرب والمشرق العربيين، وقد كانت فيما مضى كشقيقتها الجزائر وتونس إيالة عثمانية حتى سنة 1911 من تحت حكم الأسرة القرملية والسوسية، وفي هذا التاريخ تعرضت إلى حملة عسكرية شرسة من قبل الإيطاليين الذين بسطوا نفوذهم السياسي والعسكري على معظم أنحاء البلاد ولا سيما المناطق الساحلية منها.

حيث استغلوا طابع الجفاف الذي يميز هذا البلد وقاموا بإغلاق الكثير من الآبار التي كانت المصدر الأساسي لمياه الشرب، فمات بهذه الطريقة الخافدة المئات من الناس⁽²⁾.

بل وحتى الحيوانات أيضا، أما على المستوى الشعبي في ليبيا فقد ظلت المقاومة تطع حياة الناس طوال فترة الوجود الإيطالي في البلاد.

ومن أهم حركات المقاومة الليبية: الحركة السنوسية التي اتخذت من الزوايا مركزا لنشاطها الديني والتعليمي والجهادي بل وحتى الاقتصادي أيضا⁽³⁾ وبعدها جاءت مقاومة شعبية متميزة بقيادة الجهاد عمر المختار وقد عرفت أوجها فيما بين 1923م-1931م.

أما عن نشاط الحركة الوطنية السياسية الليبية، فإن ما يميزها هو انغلاق كل الأحزاب في مطالبها حول هدف واحد وهو الاستقلال الوطني، وقد تأسست في جلها سنة 1946م، ومنها الحزب الوطني يوم

¹ - أعمال شريف: «الجزيرة العسكرية في الثورة الجزائرية (1954-1962)» :قسم التاريخ جامعة باقة، إشراف الدكتور عبد الكريم بن سحاش، 2007.

² - جلال، عز الدين وأخرون: «العالم العربي، تقدم: حسن جلال العروسي، ج2، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1962، ص 369.

³ - المرجع نفسه، ص 370.

7 أبريل والكتلة الوطنية الحرة في 8 ماي، والجبهة الوطنية المتحدة يوم 10 ماي، وحزب الاتحاد المنصرني الطرابلسي في نهاية السنة نفسها⁽¹⁾. أي عقب انكسار شوكة قوات المحور ومنها القوات الإيطالية التي تم جلاؤها من ليبيا بصورة نهائية في شهر جانفي 1943م، الأمر الذي فسخ المجال لنشاط الحركة الوطنية وحصولها على دعم دولي بؤيد استقلالها، حيث أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم 21 نوفمبر 1949، قرارا يلخص على منح ليبيا استقلالها الكامل في أجل أقصاه بداية سنة 1952⁽²⁾، وبهذا تنرج الأزمة عن هذا البلد العربي الإفريقي الذي عاش قرابة أربعة عقود حياة صعبة، لاسيما أثناء الحرب الكونية الثانية، فعندما كان مسرحا لمواجهات شرسة بين جنوش المحور وجيوش الحلفاء، وبالتالي كان من أكبر البلدان التي تعرضت للتخريب واستنزاف طاقاتها البشرية، التي سخرت لصالح قوات الحلفاء، كما حدث في الفيلق العسكري الليبي المشارك إلى جانب بريطانيا، بل أن الأمر نعدى ذلك إلى احتلال جديد، مردوج من قبل بريطانيا التي سيطرت على برقة وطرابلس وفرنسا التي سيطرت على فزان المخاورة للجزائر بالإضافة إلى إنشاء قواعد عسكرية أمريكية في الأراضي الليبية.

وإذا كان هذا حال المستعمرة الإيطالية في شمال إفريقيا، فإن الأوضاع في كل من تونس والمغرب تختلف عن ذلك بعض الشيء، لاختلاف طبيعة المحتل والمقصود بذلك أنها مرت بظروف أكثر صعوبة خاصة مع طول فترة الاحتلال وكثافة الوجود الاستيطاني بهما.

ثانيا/ تونس: لقد فرضت الحماية على تونس منذ فترة رمنية طويلة تعود إلى سنة 1881م، من قبل القوات الفرنسية، وذلك بعد احتلال الجزائر بزهاء خمسين (50) عاما، حيث نعد تونس أكثر بلدان إفريقيا الشمالية تأثرا بالشرق العربي⁽³⁾، ولهذا فالحركة الوطنية التونسية بدأت تأخذ منحى أكثر تنظيما منذ نهاية الحرب الكونية الأولى، على غرار الحركات السياسية الاستقلالية في المشرق العربي وخاصة في مصر⁽⁴⁾، وبعبارة الحركة الوطنية الجزائرية التي كانت آنذاك ما تزال في بداية ظهورها ما فتئت تظهر وتؤسس بعض أحزابها، ولكن لم تكن فوق أرضها مثل منظمة نجم شمال إفريقيا التي تأسست في فرنسا نفسها⁽⁵⁾.

¹ - محمد كامل الحامي: الدولة العربية الكبرى، ط2، دار المعارف، مصر، دون تاريخ، ص 545.

² - محمد كامل الحامي: الاجتمع العربي والقومية العربية، دار الفكر، العربي، القاهرة 1966، ص 77.

³ - تونس من بين أكبر البلدان المعترسة تأثرا بالشرق حيث عرفت إنشاء أول معسكر إسلامي في المغرب العربي وهو القيروان التي تم تدميرها سنة 500هـ، وجامع الزيتونة الذي بنى 115هـ هو أقدم الجوامع التي بناها العرب. إن إنا تونس العاصمة كانت من أقدم المدن التي بناها العرب، كما أن نسبة الزمر الذين بقوا في تونس هي 1% يعكس ليبيا مثلا التي بنوا فيها اليوم نسبة مئوية مثل جويل غرداء الذي كان سكانه ثريبا كله، بربر.

⁴ - استعلاء عز الدين: الفرج المشرق، ص 393.

⁵ - الجزيرة هو حزب نجم شمال إفريقيا الذي كان له بداية الأولى كجمعية للثقافات العربية المغربية في فرنسا.

ولا يمكن بأي حال من الأحوال إجراء مقارنة بين البلدين؛ وذلك لسبب واضح وهو نوع الاحتلال الذي خلق على تونس، وهو الحماية بمعنى أن تونس ظلت تحتفظ بحكومتها الخفية وتستطيع تسير شؤونها الداخلية على الأقل، أو كما هو المقصود من الحماية. فالسلطات الفرنسية أبقت ظلاً من الحكم الوطني؛ فالباي التونسي ظل موجوداً، وإن كان وجوده يطرح الكثير من علامات الاستفهام لأن الحاكم الحقيقي هو المقيم العام الفرنسي، الذي كان مسيطرًا على الإدارة⁽¹⁾، ويطبق القوانين المناسبة لسياسة الاحتلال.

أما نوع الاحتلال في الجزائر فهو يختلف تماماً عن بقية المستعمرات الفرنسية؛ كونه يمثل قمة الاحتلال العسكري، الذي يعتمد على القوة والاحتصاب وإلعاء الطرف الآخر بصورة تامة، لدرجة محاولة احتشائه من جذوره والقضاء على جميع مقوماته، ولست يصدد الحديث عن هذا الموضوع ولكن حتى نفهم فقط البون الشاسع بين الأقطار الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي².

ومن أبرز الأحزاب السياسية التونسية الحزب الدستوري الذي تأسس عام 1920م، واقتصرت مطالبته في بداية الأمر على حق ممارسة الحياة السياسية ولاسيما الدستورية منها⁽³⁾، وحزب الدستور الجديد الذي انشق عن الحزب الدستوري القديم أثناء مؤتمر قصر هلال في مارس 1934م، ومنذ ذلك التاريخ أصبح هناك حزبان دستوريان وكان الجديد منهما أكثر شعبية⁽⁴⁾، لعدة أسباب أهمها:

- 1- مطالبته الاستقلالية الراديكالية، وهذا راجع لكون معظم مؤسسيه وقادته من الشباب⁽⁵⁾.
 - 2- طبيعة أعضائه الذين كانوا ينتمون إلى الطبقة الشعبية لاسيما الطبقة العاملة، وبالتالي فهم يعبرون عن معاناة الشعب التونسي، وإن كانوا مثقفين مزدوجي الثقافة من أمثال محمود الماطري والظاهر صفر وأخبيب بورقية.
 - 3- تميزه بتنظيم محكم، فاجتماعاته دورية وفروعه موزعة عبر التراب الوطني⁽⁶⁾.
- والمهم أن الحركة الوطنية التونسية ازدادت قوة ونشاطاً أثناء الحرب الكونية الثانية، خاصة مع سقوط فرنسا وعجزها الدفاع عن نفسها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تتويج محمد المنصف باي بابا

¹ - لبلاد عز الدين: المرجع السابق، ص 393.

² - أمال شلي: التطور العسكري في الثورة الجزائرية (1954-1962)، المرجع السابق.

³ - محمود كامل نخاسي: المرجع السابق، ص 555.

⁴ - شارل إدري جوتيان: إفريقيا الشمالية نسو، ترجمة: المرحي مسوم، وأخرى: مراجعة: فرانسواز إدري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 101.

⁵ - محمود كامل نخاسي: المرجع السابق، ص 556.

⁶ - محمد كامل ليث: المرجع السابق، ص 507.

على تونس سنة 1942م، وهو المعروف بوطيته منذ أن كان عضوا في حزب الدستور الجديد، حيث قام في شهر أوت من السنة نفسها إلى المقيم العام برناتجا بإصلاحا كبيرا⁽¹⁾.

ويعد هذا البرنامج نقطة تحول جوهريّة في الحركة الوطنية التونسية، كون الباي لأول مرة يقدم هذه المطالبات الجريّة، بالإضافة إلى سياسته الأكثر تحورا من السيطرة الفرنسية والتي امتازت بتطاع استقلالي ووضعي لم تحصره إدارة الاحتلال، وعلى الرغم من أن الباي لم يثبت طويلا في أريكة الحكم، إلا أن عهده شهد تنظيم العديد من المظاهرات⁽²⁾، للمطالبة بإطلاق سراح المساجين، والاعتراف باستقلال تونس وذلك من مطلق عدم شرعية فرض الحماية من دولة لم نستطع توفير الحماية لنفسها، وهذا فما أن رجحت كفة الحرب الكونية الثانية لصالح الحلفاء، حيث سارعت سلطات الاحتلال إلى رد فعل عنيف، فاعتدت رجال الحركة الوطنية وزحت بهم في غياهب السجون⁽³⁾، ووقفت موقف الرفض لأية إصلاحات، وهذه الأعمال كانت لها ردود أفعال بنفس القوة حيث عقد مؤتمر عام في شهر أوت 1946م جمع كل الاتجاهات الحزبية والثقافات العمالية وخلص إلى رؤية موحدة مفادها:

1- التأكيد بسياسة فرنسا ونظام الحماية.

2 التأكيد على عزم الشعب التونسي في استرجاع استقلاله التام، وهو الأمر الذي أدى إلى ملاحقة المؤتمرين والقبض عليهم⁽⁴⁾، مما زاد في تازم الوضع، وتوالى الأحداث ويعتبر فترات حشاد رئيس الاتحاد العام للعمال التونسيين الإضراب العام، وتكرر الالتجاء إلى هذه الوسيلة حيث بدأت القضية التونسية تكتسب طابعا دوليا وتوجه النضال السياسي إلى نشاط خارجي من أجل كسب مؤازرة دول الجامعة العربية أولا، ومحاولة إدراج القضية التونسية في جدول أعمال الجمعية العامة هيئة الأمم المتحدة ثانيا⁽⁵⁾، ولكن هذا التوجه لم يكن له الصدى المطلوب، فالهذان العربية التفت حول قضية أكثر تعقيدا وهي بداية الحرب العربية الإسرائيلية بشأن احتلال فلسطين، أما رد فعل الهيئة الأومية فقد كان موقفا دبلوماسيا وعبر بطريقة أو بأخرى عن تأييد واضح لفرنسا⁽⁶⁾.

وفي مطلع سنة 1952م، عقد الحزب الدستوري الجديد مؤتمرا سريا اتخذت فيه قرارات حاسمة وهي العمل على إخماد نظام الحماية وتنظيم الكفاح المسلح، وبالفعل تنطلق العمليات المسلحة لتشمل معظم

⁽¹⁾ - محمد كامل ليل: التعديل الاجباري لكافة التونسيين مع تعميم اللغة العربية في جميع المعاهد، ونزع الملكية لخدمة الدولة من جميع الترسات، منشور في المراتب والأجور... إلخ، ينظر شارل المرو، جويليان: المرجع السابق، ص 119.

¹ - ليل: المرجع السابق، ص 395.

² - محمد كامل ليل: المرجع السابق، ص 507.

³ - محمد كامل ليل: المرجع السابق، ص 507-508.

⁴ - ليل: المرجع السابق، ص 399.

⁵ - محمد كامل ليل: المرجع السابق، ص 508-509.

المناطق الجنوبية، بل وحتى المدن الساحلية واستطاعت إرباك القوات العسكرية الفرنسية⁽¹⁾، وذلك بفضل التفاف الشعب حول قضيتهم الوطنية مؤيدا أهم حزب قاد البلاد إلى الاستقلال يوم 20 مارس 1956م ألا وهو الحزب الدستوري الجديد.

ولا شك أن الظروف الدولية والإقليمية قد ساعدت على السير بالبلدان المغربية نحو الاستقلال كما سنرى في كل من المغرب والجزائر أيضا.

ثالثا/ المغرب: أما الوضع في المغرب الأقصى أو كما يعرف باسم مراكش كان يختلف عن بقية بلدان المغرب العربي، فمن الناحية التاريخية تسجل الخصائص الأتية:

1- نوع الاحتلال المطلق في المغرب منذ 1912م، فقد كان مزجحا بين دولتين هما فرنسا وإسبانيا وهذه الأزديانية كان لها سلباتها كما كانت لها إيجابياتها من جهة أخرى.

2- النظام القبلي المنكسر بقوة في كل البلاد.

3- الطابع الجبلي الذي يميز المغرب.

هذه الخصائص جعلت بلاد المغرب الأقصى أكثر مناعة وحصانة ضد أي دحيل أجنبي، وهذا فقد واجه المحتلون صعوبات جمّة ومقاومة شرسة من الشعب المغربي، ونجد الإشارة في هذا السياق إلى أهم المقاومات العنيفة، التي كانت تنوكة في حقن المحتلين من الفرنسيين والإسبان على حد سواء، ألا وهي ثورة الريف بقيادة عبد الكريم الخطابي (1921-1927)⁽²⁾.

4- تأخر الاحتلال الفرنسي للكنية للمغرب إلى سنة 1935⁽³⁾، مما ساعد على سرعة ظهور الأحزاب السياسية في فترة وجيزة بعد فرض الحماية؛ فتمتد مطلع الثلاثينات من القرن العشرين بدأت الأحزاب السياسية تتكون تدريجيا، وبدأ الشباب ينتف حولها ويتخبط في صفوفها، وهذه الأحزاب هي "كتلة العمل الوطني" و"الحزب الحركة القومية"، بزعامة الوزاني⁽⁴⁾، ولما بادرت سلطات الاحتلال بحل كتلة العمل الوطني انتف الشباب حول الزعيم الوطني "الحلال الفاسي" فأسس الحزب الوطني⁽⁵⁾، ولكن الحركة

⁽¹⁾ - Jean Lacouture : vingt hommes et la France, édition de seuil, Paris . 1961.

⁽²⁾ - مسعود كامل الخماري: المرجع السابق من 571-572.

⁽³⁾ - أما تمكين القوات الفرنسية من إخضاع الثورات الشعبية المسلحة وخاصة في أقصى الجنوب إلا في سنة 1935، وقد كلفها ذلك الكثير من الجراحات البشرية والمادية. انظر المرجع نفسه من 570-571 ومحمد كامل ليله: المرجع السابق من 518.

⁽⁴⁾ - محمد كامل ليله: المرجع السابق من 570.

⁽⁵⁾ - يذاكر شارل هنري جويان في كتابه إفريقيا الشمالية نشر من 188، ان عزال الفاسي والوزاني قد جودا لخصائص مختلفة، فداؤول منسبوع (التمامة) من رة الإسلامية وله عناصر شعبية كبيرة جدا، أما الوزاني فتفانته بحرية وسياسة أكثر اعتمادا للبرجاء الاستعداد لتقديم بعض السازجات، وقد اعتمدت سياستهما فكلهما يحقق حول تلك الاستقلال.

الوطنية المغربية قد تعرضت إلى المضايقات والمنع والإقصاء كمسائر الحركات الوطنية في المغرب العربي كحل الأحزاب وفي الزعماء أو مسجونهم⁽¹⁾.

ولكن مع بداية الحرب الكونية الثانية اختلفت الأوضاع عما كانت عليه من قبل، لأممها مع مرور فرنسا بأوضاع حرجية، حيث شهدت الساحة الدولية والمغربية حملة من التطورات كان لها التأثير المباشر في نمو الوعي القومي والوطني، والتفاف الشعب حول أهم حزب سياسي فاعل وهو حزب الاستقلال المؤسس في ديسمبر 1943⁽²⁾، ومن أهمها:

1- الوعود التي قدمتها حكومة فرنسا الحرة لمراكش، والتي تقضي بمنحها الاستقلال والحرية بعد نهاية الحرب الكونية الثانية.

2- ميثاق الأطلسي الصادر يوم 14 أوت 1941م، الذي أقر مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها.

3- إزال قوات الحلفاء في أسفي والرباط والدار البيضاء في أكتوبر 1942م، مما أتاح للمعارضة فرصة الاتصال بتلك الجيوش المنظمة ورؤية معداتهم العسكرية المتطورة.

4- زيارة فرانكلين روزفلت Franklin Roosevelt رئيس الولايات المتحدة الأمريكية لمراكش خلال الحرب الكونية الثانية، واجتماعه بسلطانها ووعدده أيضا بالعمل إلى جانب الشعب المغربي لئلا يحرره واستقلاله⁽³⁾.

5- إلغاء مؤتمر الدار البيضاء المنعقد يوم 14 جانفي 1943م، وقد حضره فرانكلين روزفلت عن الولايات المتحدة الأمريكية، ونستون تشرشل Winston Churchill عن بريطانيا وشارل ديغول عن فرنسا. وإن كان قد بحث في كيفية إزال قوات الحلفاء بالأراضي الفرنسية وتحريرها، فإن القيادة الأمريكية قد اعترفت بأن الاستعمار الفرنسي هو أسوأ ما يمكن أن ينكب به شعب من الشعوب⁽⁴⁾.

6- تحرير وثيقة الاستقلال يوم 11 جانفي 1944م، بعد نشاطات سرية حثيثة برعاية حزب الاستقلال، وبأييد واضح من السلطان "محمد بن يوسف"⁽⁵⁾، حيث تعد هذه الوثيقة تحدي صارخ لسلطة الاحتلال الفرنسي.

¹ - إلهام عبد السلام: المرجع السابق، ص 403.

² - أنوار مديري حوليات: المرجع السابق، ص 379.

³ - محمد كامل: المرجع السابق، ص 519، وأنوار مديري حوليات: المرجع السابق، ص 375.

⁴ - محمد كامل: المرجع السابق، ص 574.

⁵ - المرجع نفسه، ص 571.

ولكن مع اقتراب نهاية الحرب الكونية الثانية شهدت الحركة الوطنية المغربية منعطفًا حاسمًا إذ سارعت فرنسا إلى استعمال القوة والتشكيل بالشعب وكل التيارات الوطنية⁽¹⁾، مما اضطر الكثير من الشخصيات الفاعلة في الساحة السياسية إلى مغادرة البلاد والالتجاء إلى مصر ومواصلة الكفاح إلى هناك، حيث تم تأسيس مكتب المغرب العربي⁽²⁾، وكان لـ "علال فاسي" و"عبد الكريم الخطابي" دور كبير في تفعيل القضية المغربية التي أخذت صبغة عربية ودولية، خاصة بعد مطالبة السلطان محمد بن يوسف في خطاب طنجة 1947م، بحق استقلال بلاده وتأكيد على ارتباط المغرب بالعالم العربي والمغرب العربي بصفة خاصة⁽³⁾.

وهكذا نجد أن النشاط السياسي المغربي قد بلغ درجة كبيرة من النضج والوعي القومي. مما يفسر اضطراب السلطات الفرنسية إلى القيام بشبه مفاوضات مبكرة مع السلطان محمد بن يوسف، أثناء زيارته الرسمية لباريس في خريف 1950م، ولكنها تعثرت بسبب الاختلاف الكبير بين الطرفين، حيث اكتفى الفرنسيون بعرض إصلاحات ثانوية في حين بين السلطان أن العلاقات المبنية على أساس الحماية في ضوء التوجهات العالمية الجديدة لم تعد مقبولة، وعليه يجب احترام حق الشعب المراكشي في نيل حريته واستقلاله⁽⁴⁾، وكان من الطبيعي عدم تفويت هذا الأمر للسلطان المغربي باعتباره أيدٍ شعبه عدلانية وشجعه للنهوض واستعمال كل الوسائل لتحقيق هدفه المشروع.

وفي سنة 1952م، تازمت الأوضاع وعصت الأراضي المغربية للمظاهرات والاحتجاجات وأعمال العنف، وفي المقابل تمت سلسلة من الاعتقالات والقمع المنظم ضد أهم الأحزاب السياسية وخاصة حزب الاستقلال، واتجهت سلطات الحماية إلى نفي السلطان محمد الخامس خارج البلاد، وقد وافق ذلك كله تدهور الأوضاع العامة في تونس، إثر استشهاد الزعيم التونسي فرحات حشاد في ديسمبر 1952م⁽⁵⁾، وتفاقم الأوضاع أكثر بعد نفي السلطان محمد الخامس إلى جزيرة ماغشقر يوم 20 أوت 1953م⁽⁶⁾ فكان رد فعل الشعب المغربي عنيفًا وجارمًا ضد سياسة الإدلال التي طبقتها

¹ - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 382.

² - كانت البداية مع تأسيس "جمعية الدفاع عن مراكش" بالقدادة والتشجيع ليشمل تضامنا حراكيا وتواصيا، بهدف إلى غاية الاتحاد مع تحقيق الاستقلال.

³ - Jean Lacouture : op-cit, p153.

⁴ - علاء عبد الحليم : المرجع السابق، ص 406-407.

⁵ - المرجع نفسه، ص 409.

⁶ - نفي محمد بن يوسف إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر.

سلطات الحماية في البلاد ضد الشعب المغربي وزعمائه، إذ قامت الثورة أو المقاومة الشعبية المستحقة في كل مكان (1).

ومع تسارع وتيرة الأحداث تنهزم فرنسا في مارس 1954م، في معركة ديان بيان فو في الهند الصينية - كما سلف الذكر -، ثم ندفع الثورة الجزائرية في أول نوفمبر 1954م، ويتم المحرمات الشهيرة في منطقة الشمال الفسطيني يوم 20 أوت 1955م، في الذكرى الثانية لفي محمد الخامس، ولذا فلم نغض إلا ثلاثة أشهر على هذا التاريخ حتى يعود محمد الخامس لبلاده يوم 16 ديسمبر 1955م (2)، ثم جرت، بعد ذلك مفاوضات بين الطرفين، انتهت بتوقيع التصريح المشترك الذي ألغى معاهدة الحماية المفروضة على الشعب المغربي منذ 30 مارس 1912م، وكان ذلك يوم 02 مارس 1956م.

والحق أن الضغط السياسي الذي مورس على البلدان المغاربية خلال فترة الاحتلال، قد أدى إلى تطور الوعي الجماهيري، ولم يعد في مقدور سلطات الاحتلال وقف مجرى الأحداث، خاصة بعد الحرب الكورية الثانية، بل فن زاد شعور اخلل بخطر وحدة الكفاح المسلح بين أبناء شمال إفريقيا، مما جعله يتجهج سياسة جديدة تقوم على التفريق بين البلدان المغاربية، فركز إلى التفاوض مع الحبيب بورقيبة للوصول إلى اتفاقية الاستقلال الذاتي، وذلك بعية تقويت الفرصة على الأطراف المتحاربة ضده في المنطقة، وبذلك تصبح تونس في حالة نعيم مغناطيسي تمنحها هذا المكسب غير المكتسب، لأنه مقيد بالعديد من الامتيازات والشروط، كما قامت السلطات الفرنسية بالإجراء نفسه مع المغرب الأقصى حيث كان من شروط رفع الحماية منع تقديم أي تعاون أو مساعدة للثورة الجزائرية، أما الطرف المتبقي من المعادلة فقد كان موقفه أكثر صعوبة من البلدين الجارين كون الجزائر ستضطر إلى مجاهدة العدو بصورة مفردة.

وجملة القول أن الوعي السياسي المغاربي قد تزامن كنه تقريبا مع بعضه البعض، وإن كانت النتائج التي نوسلت إليها البلدان الثلاثة المجاورة للجزائر، تختلف رميا عن النتائج التي نوسلت إليها الجزائر، فقد حصلت ليبيا على استقلالها ثانيا سنة 1952م، وحصلت تونس والمغرب على استقلالهما كبرا سنة 1956م، بينما أأخر استرجاع استقلال الجزائر إلى سنة 1962م، ويعود السبب في ذلك إلى الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية التي كانت تحتلها الجزائر، لأنها تكاد تكون قارة بذاتها لتتبع مناعها وتضاريسها ومحمولاتها، ولكونها تشكل القرب النابض للبلدان المغاربية.

¹ محمد كامل ليد: المرجع السابق، ص 520.

² حمود كامل: المرجع السابق، ص 575.

المبحث الثالث: التطورات السياسية عشية ثورة الفاتح من نوفمبر في الجزائر سنة 1954م:

لاشك أن الحديث عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية السائدة في الجزائر عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر سنة 1954م، يهدف إلى فهم الظروف التي اندلعت فيها الثورة ووضعها في إطارها الصحيح، فالتحليل الموضوعي يقتضي أن نأخذ بعين الاعتبار مجموع العوامل المسببة لتغيرات الجهورية التي وقعت في البلاد وليس نجزئها كل على حدا، لكي ندرك طبيعة الثورة وحقائقها المتحاشية، وهي أن هذه الثورة لم تأت نتيجة ظروف اقتصادية واجتماعية كان يعاني منها الشعب الجزائري فحسب، بل هي أحد من ذلك بكثير، إذ تمثل الامتداد العضوي للمقاومة الوطنية الجزائرية طيلة الوجود الاستعماري، ولو كانت ثورة مطالب اقتصادية واجتماعية، لتوقف منذ البداية ولكان ذلك عامل ضعفها وفشلها، ولكنها استمرت طيلة سبع سنوات ونصف متحدة كل الخطط والأساليب العسكرية والسياسية الجهنمية التي اتبعتها سلطات الاحتلال الفرنسي بهدف إجهادها في المهمل.

والحقيقة أن الوجود الفرنسي في الجزائر هو القائم على أساس هذه النظرية المادية، ولهذا كان هذا العامل العنصر الجهوري في فشل السياسة الاستعمارية على الرغم من قوة أساليبها وإمكاناتها.

لعل الحديث عن أوضاع الجزائر عشية اندلاع الثورة يتطلب تشظيره إلى شطرين: الشطر المغربي والشطر الاستعماري لطبيعة الواقع الجزائري، في ظل وجود الاحتلال منذ أن وطأت أقدامه هذه الأرض الأبية، حيث كانت الدولة الجزائرية تسط سباحتها على كل هذه البلاد المتساعفة، مما جعلها تتمتع برخم ثقافي وغني حضاري يضاهي حضارات شعوب البحر الأبيض المتوسط الأخرى في ذلك الوقت، كما كانت لها تعاملاتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية الواسعة، ويتضح ذلك من خلال المعاهدات والاتفاقيات التي أبرمتها مع مختلف دول العالم في إفريقيا وأوروبا وآسيا وأمريكا، بواسطة المشير الدبلوماسي، الذي لم يتوقف إلا بعد الاحتلال سنة 1830م، حين قام الفرنسيون بارتكاب الجريمة التاريخية، التي ستبقى وصمة عار في الملدنية الفرنسية على الدوام، وكما يقول د. جمال قنان: "فالجريمة لا تمثل في نظرنا في كون فرنسا قامت بغزو البلاد واستعمارها فهذا شيء ليس جديد في العلاقات بين الأمم والشعوب، وإنما الجريمة تكمن في الإدعاء بأن الدولة التي أطاحت بها فرنسا لم تكن موجودة وأن الشعب الذي استعمره لم تكن له سيادة"¹.

¹ كانت الجزائر تعتمد على قوتها البحرية في الحفاظ على الأمن والسلم في البحر المتوسط، حيث تم عقد العديد من المعاهدات مع امبرورية الحروب، كما كانت أسس ربحا في كثير من المعاهدات، فضلا عن عقدت ثلج المعاهدات بالجزائر سنة 1815-1816، وهربند ربحا على عشر (11) معاهدة وأخير ثمانية عشر (18) معاهدة، ومع فرنسا سبعون (70) معاهدة، بالنظر مولود داسم ثابت بنطاس: "تاريخية الجزائر استيريه وحديثها الإداريه قبل 1830"، ج1، ط1، دار النشر للطباعة والنشر، قسنطينة: 1985، ص 14.

² جمال قنان: مضامير ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المؤسسة الوطنية للاقتصاد والنشر والتوزيع، الجزائر: 1994، ص (240).

ومن هذا المأطلق بدأت فرنسا بأول خطوة وهي إلحاق الجزائر بمقتضى مرسوم 22 جويلية 1834⁽¹⁾ الذي اعتبر الجزائر أرضا فرنسية، ثم كان إصدار مرسوم 185 الذي اعتبر الجزائريين رعايا فرنسيين، وأطلق عليهم اسم المسلمين الفرنسيين⁽²⁾، وعليه فإن الاحتلال الذي طبق في الجزائر يعتبر من أعظم أنواع الاحتلالات والهيمنة الأجنبية في العصر الحديث، لكونه لا يعترف بالشخصية الوطنية للشعب الجزائري أو أي حرية سياسية، وعلى الرغم من اعتبار الجزائريين رعايا فرنسيين -لا يتمتعون بدرجة المواطنة- فإنهم محروكين من جميع الحقوق، وذلك تحت ستار مجموعة من القوانين الخاصة مثل قانون الأهالي⁽³⁾ ولم يخط بالمساواة إلا فئة قليلة وهي الحالة اليهودية المتواجدة في الجزائر منذ القدم، في حين حرم الجزائريون من حق الانتخاب إلا في سنة 1919م، عقب الحرب الكونية الأولى كعقاب لما بذلوه من تضحيات دفاعا عن فرنسا بعد تخليدهم إخباريا في جيوشها، ولم يمنح هذا الحق كذلك إلا لفئة قليلة⁽⁴⁾.

وإن حدث تغيير نوعي على الصعيد الدولي أثناء وبعد الحرب الكونية الثانية فإن الإدارة الفرنسية لم تغير من سياستها إلا بصورة شكلية محاولة الإمساك بزمام الأمور في ظل تزايد النشاط التحرري في الوطن العربي من جهة ونشاط الحركة الوطنية الجزائرية من جهة أخرى، التي أصدرت بيان موحّد يوم 10 فيفري 1943م تضمن مطالب إصلاحية مستعجلة ومطالب استقلالية موحدة⁽⁵⁾، ومن أهم ما تضمنته البيان هو تطبيق مبدأ حق تقرير المصير بالنسبة للشعب الجزائري وجميع الشعوب المستضعفة بالعالم الاستعماري واستنكاره واعتباره أحد أشكال الاستغلال الجماعي الذي تعاقبه دولة على حساب دولة أخرى.

وكان رد فعل السلطات الفرنسية بعد سلسلة من الاعتقالات التي تعرض لها قادة الحركة الوطنية هو عادم الاعتراف الرسمي بمطالب البيان، إذ اعتبر الحاكم العام "كاترو" "Catroux" تلك المطالب سابقة

⁽¹⁾ مرسوم 22 جويلية 1834 الذي اعتبر الجزائر قطعة من الأرض الفرنسية وجزءا لا يتجزأ منها ومن ثم، تم وضعها تحت إشراف حاكم عام عسكري فرنسي، وفلسد، إلى ثلاث دوائر: (قسنطينة، وهران، الجزائر).

⁽²⁾ راجع تايكن: التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956، ص 2؛ الحركة الوطنية المستمرة والتوزيع: الجزائر 1981، ص 100.

⁽³⁾ قانون الأهالي le code de l'indigène الصادر من المرسوم بعد ثورة 1871، لكنه جدد بعد اتفاقية بونما (1881) وقدرت صادق هذه البراءة. وتضمن هذا القانون سلسلة من العقوبات الخرافية التي تسبب لها علاقة بالقانون أو إصدار القوانين (نظم ثلاثة وثلاثين (33) عقوبة مثل نقل الجزائريين دون رغبة أو الإجماع دون إعطاء سلاح أو دجيرة إجابة فرنسا: الساهر في الجزائر في ولايات واليهود... الخ) فإن هذا القانون فرض المراقبة الشاملة وبناء على ذلك مبدأ المساواة الجماعية عند حصول أي حوادث في أي مكان وتطبيق العقوبة الجماعية مثل السجن أو المصادرة أو الترحيل دون صدور حكم قضائي يضي بذلك.

⁽⁴⁾ مصطفى حلال: الديمقراطية المرجع السابق، ص 46.

⁽⁵⁾ برال هنان: المرجع السابق، ص 194.

لأولها⁽¹⁾، أما الرجل الأول في البلاد شارل ديغول فقد صرح ببرازافيل في شهر جانفي 1944م بأن هدف السياسة الفرنسية هو تأهيل الشعوب المستعمرة لأن تحكم نفسها نفسها في إطار اتحاد فيدرالي مع فرنسا⁽²⁾، ثم كان إصدار أمر 07 مارس 1944م، الذي منح حق التجنس بالجنسية الفرنسية دون شرط التحلي عن الأحوال الشخصية لشرعية من المجتمع الجزائري قدرت بواحد وستين ألف (61000) جزائري وقد كانت تلك الإصلاحات التي أعلنتها فرنسا بعيدة كل البعد عما جاء من مطالب في بيان الشعب الجزائري.

وبعد تحليلنا للأوضاع السياسية في الجزائر، ولو بصورة موجزة حتى نهاية الحرب الكونية الثانية يتضح لنا أي نوع من الاستعمار قد فرض في الجزائر وتبرز معالم السياسة الفرنسية حيية، وما تحازر الثامن ماي 1945م، في اعتقادي إلى حلقة مستمرة لهذه السياسة التي لم تتغير في يوم من الأيام.

فيما كان العالم يحتفل بنهاية الحرب الكونية الثانية قاست مظاهرات رفع فيها العلم الجزائري لأول مرة وأراد الجزائريون من وراء ذلك، الاحتفال بنهاية الحرب من جهة وتذكير فرنسا بحقوقهم في الاستقلال من جهة أخرى⁽³⁾. ورسم فرحات عباس⁽⁴⁾ انطباعات الشعب أثناء محازر 8 ماي بقوله: "لقد كانت الجماهير الشعبية تنهب وطنية وتتقد حماسا عاقدة العزم على التطوع إلى حياة حرة مستقلة"⁽⁵⁾، وها هي جريدة البصائر في عددها المائة وخمسة وسبعين تصف مجريات الجزيرة الرهيبة: "وما كاد ركب المظاهرات يتحرك في مدن سطيف وقنلة وخراطة ومدن أخرى بالجزائر حتى فوجئ بحملة عنوانية، فمزقت التلافيف وديست، وحصد حاملوها بالرصاص والطلقات النيران بعد ذلك تحصده المظاهرين بلا تمييز وحلقت الطائرات المحملة بالقنابل والدمار تلك المدن والقرى وتسوي الأرض بحثت الجزائريين... واستهكت الخرمات حتى خيل للناس أن الحرب قد انتقلت من أوروبا إلى الجزائر...."⁽⁶⁾.

¹ André Nouchi, la naissance du nationalisme algérien, 1914-1954, édition de minuit, Paris, 1962 p136.

² Ibid, p138.

³ عبد الله شريف وعبد المنعم: الجزائر في مرآة التاريخ، دار مكتبة اليبعث، فسطاط: 1965، ص 225.

⁴ فرحات عباس (1899-1985م)، ولد بيجل من أسرة مواهبة أمراء، أكمل على شهادة البكالوريا بفستيف، عمل في جامعة البوكرية من 1921-1923م، تابع دراساته الجامعية فحصل على دكتوراه في الحقوق من جامعة الجزائر سنة 1927م. كان من أكثر دعاة التنازل والإصلاح. كرس في مارس 1944 حملة أحياء البيان والحرية التي ضمت مختلف السرايا، أودت هذه الإصلاحات التي تنسب لنفس يوم 31 ماي 1945، مهمة تنظيم مظاهرات 08 ماي 1945، سنة 1946 تأسس حزب جديد وهو الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، - ينظم لظهوره إلا في شهر جوان 1956م، كان أول رئيس حكومة جزائرية، وله العديد من الكتب التاريخية والمؤالات، التي تتناول التاريخ السياسي والعسكري لجزائر، إن الاحتلال الفرنسي، أنظر عند الكريم بوالعصب، والآخرين، - مجلد أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، دار العربي للطباعة والنشر والتوزيع، عن مثله: 2004، من ص 206-213.

⁴ - فرحات عباس، حزب الجزائر وثورته، في الاستعمار، ترجمة أبو بكر رحان، مؤسسة فضالة الحمدي، المغرب، مؤرخ تاريخ، ص 253.

⁵ محمد، شذائخ الصديقية أيام حادثة في حياة الجزائر، المؤسسة الوطنية للعلوم الطبيعية، الجزائر: 1999، من ص 29-30.

إذن حسن خلال هذا النص يتبين لنا بوضوح أن مظاهرات 8 ماي 1945م، كانت علامة شاركت فيها أعداد كبيرة من مختلف الشرائح الشعبية، ورفعت فيها اللافتات والأعلام مطالبة بحق الجزائر في نيل الحرية والاستقلال كغيرها من شعوب العالم التي حققت استقلالها، ومذكرة فرنسا في الوقت نفسه بوجوب وفائها بما قدمته من وعود للجزائريين أثناء الحرب الكونية الثانية مقابل المساعدات المادية والبشرية التي كانت قد تلقتها من الجزائر عندما كانت تكن من مرارة الضعف والهزيمة أمام القوات النازية.

وعلى الرغم من أن مجازر ماي 1945م، كانت أكثر وحشية في الشرق الجزائري هو الحال في قلعة عرامة وسطيف... وغيرها من المدن، لا فهذا لا يعني أحصاها بهذه المدن أو في الشرق الجزائري عموما بل إنها قد امتدت لتشمل الوسط والغرب، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل دلالة واضحة على الوعي الوطني الكبير الذي يبعثه الجزائري بما فيها من اتجاهات سياسية مختلفة وشخصيات وطنية بارزة وجماهير شعبية عريضة.

وقد استمرت هذه الجريمة في حق الإنسانية حوالي شهرين أو أكثر حيث توالى العمليات بهذه الوحشية وتعزير من الطائرات والمدفعية الجوية والبحرية كانت الأرض تدك والبوت تكد والأرواح تزهق والدماء تراق والأعراض تدنس، وانتهت حصيلة قادة الإجرام الفرنسي بأرقام تكاد تكون خيالية خمسة وأربعون ألف (45000) ضحية وحكم بالإعدام على تسعة وتسعين (99) شخصا وستة وستين (66) شخصا بالأشغال الشاقة المؤبدة...⁽¹⁾

هذه مأساة الشعب الجزائري التي سنهيا حيلة جديدة جيل 1945م، الذي سيحمل على عاتقه تفجير الثورة بعد تسع سنوات فيما بعد في الفاتح نوفمبر 1954م.

وبخلاصة القول أن مجازر الثامن ماي 1945م، كانت الفاصل بين سياسة انصاف الخلول السياسية الإصلاحية والسياسية الثورية، حيث انطلقت الحركة الوطنية معتمدة على أسس جديدة والتقى جميع الزعماء الوطنيين على هدف واحد وهو الاستقلال، وبعد ذلك نقطة تحول حاسم، فبالنسبة للمستوطنين كانت تعبير صارخا عن قمة الوحشية التي طامنا الصقوا قمتها بالوطنيين وهي في الحقيقة الصفة التي تميزهم⁽²⁾.

أما بالنسبة للوطنيين فقد كانت تعبيرا عن قمة الضعف الذي شعروا به إزاء الآلة الخيرية الاستعمارية التي استخدمها الكولون، ولكنها كانت من جهة أخرى فرصة سالحة للتقارب بين مختلف

1- عبيد المالك. "من جوارح فرنسا في الجزائر" مديح 8 ماي 1945، كندمة وتعبير ثورة أول نوفمبر 1954. الثورة الجزائرية: أحداث وتأملات، إنتاج جمعية أول نوفمبر، مطابع عمار قروي، بانيق الجزائر، 1994، ص 19-20.

2- عبد الكريم والخصمات: المحاولات الأساسية في الحركة الوطنية الجزائرية، 1945-1954، مجلة سيرة، 5، مطبعة العبد، قسنطينة، الجزائر، 1981، ص 30.

الاتجاهات السياسية الجزائرية، ولهذا يمكننا التساؤل عن مدى أوعية وفاعلية سياسة التوزيع بالإصلاحات التي اعتادها السجلات الاستعمارية بعد الثامن ماي 1945م، ومن ذلك معرفة واستجلاء رد فعل الشعب والحركة الوطنية خاصة على دستور سبتمبر 1947 م .

إن استقرارنا للواقع السياسي يجعلنا نفهم حقيقة التغيير الذي حدث، وإن نصيب دستور 20 سبتمبر 1947م⁽¹⁾ بعض المواد التي تنص على المساواة بين المعمرين والجزائريين والقيام بإصلاحات اقتصادية وسياسية مستعجلة⁽²⁾، فإنه لم يلق أدنى نجاح من الطرف الجزائري⁽³⁾، لأنه كان أولا قانونا عسكريا بالدرجة الأولى وثانيا لأنه تضمن مواد ألغت ما فيه من مواد أخرى ولهذا فإنه يستحق فعلا وصف " المنسخ القانوني" الذي أطلقه عليه " فرنسيس جونسون" Francis Jhonson وزوجته كوليت Colette في كتابهما " الجزائر الخارجة عن القانون" فمثلا المادة الثانية التي تعلن حق المساواة بين جميع سكان العمالات الجزائرية دون تمييز من حيث الأصل أو الجنس أو اللغة أو الدين، ومن جهة أخرى تعلن مادة أخرى على أن " مجلس الجزائر" يتكون من مائة وعشرين (120) عضوا مقسم بالتساوي بين الجزائريين والمستوطنين وهذا هو منطق المساواة بين أقلية لا تزيد عن ثمانمائة ألف (800,000) وبين أغلبية تقدر بتسعة ملايين من الجزائريين، كان فيما سبق لا يحق لهم انتخاب أو اختيار عدد النواب الذين يمثلونه في البرلمان الفرنسي أو مجلس الشيوخ⁽⁴⁾.

وإذا كان القانون الفرنسي قد منحهم هذا الحق أخيرا فإن الإدارة الفرنسية في الجزائر قد اتجهت إلى تروير الانتخاب وتعيين عملائها في المجالس المنتخبة⁽⁵⁾.

والاستنتاج الذي يمكن أن نستخلصه من كل هذا، هو عدم فاعلية النشاط السياسي والوصول إلى باب مسدود، فلم يبق المجال مفتوحا إلا للاحتجاجات الحادة ضد هذا النظام الاستعماري والتدبير بتعسفات الإدارة، فغياب الحرية والتمييز العنصري والتروير الانتخابي والقمع الوحشي أثار ضغط جماهيري⁽⁶⁾، تولد عنه قدرة وفوة على المواجهة التي أعدت للقيام بالثورة، ونحن إذ نذكر هذه المشاركة

⁽¹⁾ - محمد جبار في الدستور: الثورة بالأموات تطلق بين جميع سكانها بدون تمييز في العنصر واللغة جميع القوانين الاستثنائية... تطبيق إصلاح زراعي واسع وإلغاء الملكية الإقطاعية... الاعتراف باللغة العربية كصفة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية ومع الحرية في تعريبها... حرية ممارسة العمل الصحفي بالعميل... إلغاء المحاكم الإدارية... إلخ.

André Noushiop cit p 136. حرية العبادة بالنسبة لجميع السكان وتطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة بالنسبة للدين الإسلامي نظر

¹ - محمد جبار في الدستور: الثورة بالأموات تطلق بين جميع سكانها بدون تمييز في العنصر واللغة جميع القوانين الاستثنائية... تطبيق إصلاح زراعي واسع وإلغاء الملكية الإقطاعية... الاعتراف باللغة العربية كصفة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية ومع الحرية في تعريبها... حرية ممارسة العمل الصحفي بالعميل... إلغاء المحاكم الإدارية... إلخ.

² - محمد جبار في الدستور: الثورة بالأموات تطلق بين جميع سكانها بدون تمييز في العنصر واللغة جميع القوانين الاستثنائية... تطبيق إصلاح زراعي واسع وإلغاء الملكية الإقطاعية... الاعتراف باللغة العربية كصفة رسمية إلى جانب اللغة الفرنسية ومع الحرية في تعريبها... حرية ممارسة العمل الصحفي بالعميل... إلغاء المحاكم الإدارية... إلخ.

³ - راجع مبرور "الجزائر قانونا جزائريا 1947"، رسالة الأطلس، 128، الحلقة 35، مارس 1997، ص 11.

⁴ - راجع مبرور "الجزائر قانونا جزائريا 1947"، رسالة الأطلس، 128، الحلقة 35، مارس 1997، ص 11.

⁵ - André Moine : Ma guerre d' Algérie , Édition sociales, Paris. 1979, p23.

الجزائرية في الانتخابات فهذا لا يعني أن الحركة الوطنية قد انتهت طريقا واحدا لتحقيق أهداف بل يمكننا أن نميز ابتداءا من سنة 1947م، النشاط العسكري السري إلى جانب النشاط السياسي العلني -الشرعي- أما النوع الأول فهو نشاط حثيث لإعداد الثورة المسلحة ستقوم به المنظمة السرية الخاصة بأسبوري، محكم وباحترام تام لعنصري الزمان والمكان⁽¹⁾.

وهذا التنوع في النشاط السياسي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية أدى أحيانا إلى ظهور تقاطعات مختلفة بين من يمثل هذه الاتجاهات⁽²⁾ فهناك مثلا من يرى في الانتخابات وسيلة من وسائل الدعاية والنضال السياسي، وهناك رأي معارض يعتقد بأن المشاركة في الانتخابات والإعداد لها ليس بالأمر الطيب ولهذا فهو يتطلب وقتا طويلا وبالتالي سيجلبهم عن التفرغ إلى الإعداد للعدل المسبح، أو أنه سيؤثر عليهم سلبا بطريقة غير مباشرة بحكم احتكاك المنتخبين بالمدرسة الفرنسية، وهكذا فسيحاولون من وطنيين ثوريين إلى ميسانيين إصلاحيين⁽³⁾.

وهذا ما يسمح لنا بمعرفة البدايات الأولى لأزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية، فبعد هذه التجربة العقيمة في الانتخابات، كان على الحركة أن تعقد اجتماعات تقييمية لما مضى ووضع برنامج لما هو آت، وهذا الغرض تم عقد اجتماع سري يومي 15/16 فيفري 1947 طرحت فيه العديد من القضايا كان أهمها: تحديد نشاط الحزب وعملة السياسي المعن وغير المعن، وأهم قرار تم اتخاذه-على ما يبدو- هو الإعلان عن ميلاد المنظمة السرية الخاصة L'OS التي حملت على عاتقها الإعداد للثورة المسلحة⁽⁴⁾. وكان من أهم الانعكاسات المترتبة عن هذا المؤتمر، بروز تياران متعارضان⁽⁵⁾ تيار بزعمارة أحمد مصالي الحاج وآخر تحت قيادة الدكتور الأمين دباغين⁽⁶⁾.

¹ - محمد امري فيفري: المرجع السابق، ص 79.

² Slimane Shikh : l'Algérie en armes, office des publications universitaires, Alger : 1981, p85.

³ عبد الحلال: الحركة الوطنية بين العمل السياسي والعمل الثوري، (1945-1947)، مجلة المذكرات، 3، المجلد الوطني للمجاهد، المنظمة الجزائرية للدراسات، وأخبار الجبهة الجزائرية، 1995، ص 82.

⁴ عبد الحلال المرجع السابق، ص 83.

^(*) - يذكر واضح لمزيد أن فكرة الدكتور الأمين دباغين بأن يملأ قيادة الحزب بالعناصر البربرية هو السائد الذي حظي بما بين المتأخرين المساندين، وبخاصة المساندة بالبربرية التي تعمدت، بتشجيعه في قيادة حزب الشعب حين كان يسيطر سيطرة فعالة على الحزب، انظر ربيع بيجد: "العضوية البربرية"، مزيج صادق، ع 31، مجلة 38، ص 11.

^(**) - حسين جليل: ولد بسكيكندة مباحث في نجم شمال إفريقيا ثم في حزب الشعب الجزائري مدرب جبهة التحرير الوطني سنة 1955، انقطع عن كل سياسي سنة 1956، شارك في توقيع بيان مع بن غدة وعباس فرحات وخير الدين خند مساندة لومدين، انظر أحمد حري، جبهة التحرير الوطني: الأسطورة والواقع، ترجمة: كميل مافرواح، مؤسسة الأبحاث العربية ودور الكلمة لستور، بيروت، لبنان: 1983، ص 33.

ومسيرر هذا الاختلاف بصورة أكثر حدة أثناء ما عرف بالأزمة الليبرية (1948-1949) التي تغذت من البرعة الطائفية الرجعية، وقد شجعتها السلطات الفرنسية ضمن سياسة فرق تسد.

وفي سنة 1949 استقال نائبان من الحزب هما الدكتور الأمين دباغين وجمال درودور⁽¹⁾ وفي شهر فيفري 1952 وقع خلاف آخر حول زيارة مصالي إلى الشرق الجزائري، غير أن الخطر انحدرت تلك التي وقعت بالشلف وأدت عن قتل جزائريين وحرق الكثير منهم وشن حملة اعتداءات واسعة وإبعاد مصالي مرة أخرى إلى فرنسا⁽²⁾.

وبدأت القطيعة تتضح ابتداء من مؤتمر أبريل 1953 بشأن عدة قضايا أهمها تلك التي تتعلق بتحديد صلاحيات رئيس الحزب وتعيين أعضاء القيادة، وحول هذا وجه مصالي مذكرة في سبتمبر 1953 وهو في المنفى بفرنسا للجنة المركزية ينتقد فيها "السياسة الإصلاحية للقيادة" ويعلن عن سحب ثقته من الأمين العام ويتمسك بالسلطات المنبثقة في يده، وكان الرفض هو رد اللجنة المركزية⁽³⁾.

وهكذا بدأت الأزمة تنقل من القمة إلى القاعدة سنة 1954م، حيث سيرز في المساحة نيار ثالث وهو فئة من المناضلين الشباب، الذين لازموا الحياء وامتنعوا عن الانضمام إلى أي طرف من الطرفين لافتناعهم الوحيد، بأن علاج كل المشاكل التي يتخبط فيها الحزب والحركة الوطنية عموما هو التحجيل بإعلان الثورة، فلماذا لا تسخر هذه الطاقات المهدورة فيما ينفع البلاد والعباد؟ ولماذا لا توجه هذه الاصطدامات العنيفة والمواجهات الشرسة نحو العدو؟.

وتجدر الإشارة إلى أن أزمة الحركة لم تمس فروع الحزب في عمالة قسنطينة التي لم نصمم لأي جهة من الجبهتين المتناحرتين، أما في القبائل والعاصمة التي يوجد فيهما مسؤولون مثل: كريم بلقاسم⁽⁴⁾ أو عمر أو عمران فقد كانت لهم علاقات مع الجبهتين دون تعهد أو التزام حقيقي⁽⁵⁾.

1 - Ferhat Abbas : guerre et révolution d'Algérie, la nuit coloniale, édition Julliard, Paris, 1960, p213.

2 - محمود قنديل والحمداني مراري، المنامة السياسية 1900-1954 الطريق الإصلاحي والطرفي للثورة، ترجمة عبد الشاهر بن حركات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 100-111.

3 - محمد بوشناق: تصير قذاف نوفمبر 1954، "مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية" مرجع سابق، ص 852.

4 - كريم بلقاسم (1922-1970) : أحد أجداد أبرز قادة الثورة التحريرية الجزائرية وواحد من التسعة، ولد في غزاغ المزارع ولاية تيزي وزو، التحق على الشهادة الابتدائية ولم يسمح له بدخول المدرسة الإعدادية سنة 1945 انضم إلى حزب "الشباب الجزائري" حركة لتحرير الجزائر انضم لاحقا سنة 1946، مسؤول في الحزب، عين كل منطقة القبائل سنة 1949، جازر عدل الثورة قبله التسع سنوات، والده ابن بوعن ذلك الشجر الكبير الذي قدم خلال مؤتمر الصومام، أصبح وزير للمعاشات المسجلة في الحكومة المؤقتة الأولى والثانية، اعتيل بعد الاستقلال باندلس سنة 1970

4 - Ahmed Mehsas : le mouvement révolutionnaire en Algérie (de la 1er guerre mondiale à 1954), librairie édition l'harmattan, Paris, p p 307-308.

وإن حسنت الأزمة حل مشاكل الحزب بقرار البدء في العمل المسلح، فإنها من جهة أخرى أعاققت مشاريع الإعداد لانطلاق الثورة خاصة في مجال تهيئة الرجال وتنظيمهم وشراء الأسلحة مثل إحياء خطط للحصول على أسلحة حربية من "التمامة" وإجهاد محاولة للاتصال بالفرنسيين المساهمين⁽¹⁾ الحزبان بين الذين كانوا يترددون في عنشلة⁽²⁾.

وفي عضم هذه الأحداث المتسارعة بقي "فرانسوا ميترون" fransoia métiron وزير الداخلية الفرنسي خطابا في الجزائر يوم 19 أكتوبر 1954م/ مما جاء فيه: "إن الجزائر هي في وسط مجموعا الفرنسي الواسع، وهي قطب الرحى، ومركز قوتنا عن فرنسا بالجزائر وبفصل الجزائر والجزائر بفرنسا⁽³⁾".

هكذا كانت فرنسا تظمن إلى وضعها بالجزائر وتنفس الضغوط وتظمن على حد تعبير فرانسوا ميترون، فهل كانت حققة في ذلك؟ أم أن الأحداث ستجاوز هذه التصريحات؟

وبالإضافة القول أن الأوضاع السياسية في الجزائر قد مهدت بطريقة أو بأخرى لقيام الثورة التحريرية المسلحة فأزمة أقدم حزب في الحركة الوطنية صاحب الاتجاه الاستقلالي، جعلت هذه الأخيرة واقعة بين فكي كماشة، بين سياسة الاحتلال التي تميزت بتجاهل كبير لأبسط حقوق الشعب الجزائري وتصنيف الخناق على كل التيارات السياسية الوطنية، وبالتالي إغتيال كل الأساليب والوسائل التي اعتمدها من أجل إفتكك حقوقها، ومن جهة أخرى حدوث تلك الأزمة التي عصفت بأوصال الحزب وبدأت تنقل من القمة إلى القاعدة، الأمر الذي جعل سلطات الاحتلال تبشّر وقيل بل وتظمن لتلك الأوضاع السائدة في الجزائر، ولم يكن المخرج من تلك الوضعية الحرجة التي آلت إليها الحركة الوطنية الاستقلالية إلا القيام بالثورة ضد المتسببين فيها، لأن العدو الأول والوحيد- كما جاء في بيان أول نوفمبر- هو المحتل الفرنسي الذي وقف موقف المشجع والمتفرج في آن واحد.

المبحث الرابع: المسألة الاقتصادية في الجزائر عشية اندلاع الثورة:

تتمتع الجزائر بثرواتها الطبيعية شأنها في ذلك شأن بلاد المغرب الكبير، ونظرا لامتداد مساحتها الشاسعة سعت بينها الطبيعية وتعددت مواردها الأولية فكانت مقصدا للتجار، حيث شهدت سواحلها بناء مراكز اقتصادية هامة، أما الصحراء فلم تكن أقل أهمية عن السواحل كونها البوابة المؤدية إلى أواسط إفريقيا، ولهذا كانت معبرا لافزائل التجارية المحملة بالعديد من المواد التجارية.

(1) - الفرنسيون المساهمين: الفرنسيون المساهمين هم أجيال الذين كانت لهم لهم فرنسا.

(2) - مصطفى خلائع وسام السلي: المرجع السابق، ص 91.

(3) - Le journal d'Algérie, octobre, 1954.

ونكمن الأهمية الإستراتيجية للجزائر من الناحية الاقتصادية أساسا، في موقعها المتميز فهي مفتوحة على القارات الثلاث إفريقيا آسيا وأوروبا، وإشرافها على أهم مسطح مائي يتوسط قلب العالم وهو البحر المتوسط مما جعلها دائما مقصدا لكل عين طامعة ولكل يد نرجس في امتلاك ما ليس لها.

وقد عرفت الجزائر في العصور الحديثة نشاطا اقتصاديا متعدد الموارد، حيث تميرت بوجود زراعة منظورة وإنتاج صناعي متنوع وشاسع في التجارة البحرية والبرية، وقد استطاعت تكوين العديد من البلدان بالحبوب والمنتجات الأخرى⁽¹⁾، لاسيما الدول الأوروبية التي شهدت أزمات اقتصادية حادة⁽²⁾ مثل فرنسا نفسها.

وإذا كان هذا حال الجزائر قبل احتلالها فكيف أصبحت أوضاعها الاقتصادية في ظل الوجود الفرنسي؟ وما مدى مساهمة سلطات الاحتلال في تلك الأوضاع؟

مما لا شك فيه أن الدوافع الأساسية للحد الاستعماري إلى ما وراء البحار، هو افتقار الدول الأوروبية الحديثة إلى المواد الأولية وتوفرها في البلدان الإفريقية والآسيوية والعالم الجديد، علاوة على توفر اليد العاملة الرخيصة بهذه القارات، التي قد تساهم في تطوير النهضة الصناعية التي عرفتها الرأسمالية الغربية. وانطلاقا من هذا التحليل التاريخي للمادي نوافع الاستعمار وطبيعته ومصمونه الحقيقي، يمكن توقع الخيانة التي سيؤول إليها الاقتصاد الجزائري، وفي المقابل القوة والتقدم اللتان سيحررهما الطرف الآخر (فرنسا) على حساب المستعمرات وخاصة منها الجزائر.

إن أول خطوة شرعت فيها الإدارة الاستعمارية هي التزاع الأراضي ومصادرتها وتركيزها في قبضة طغمة من الاستعماريين، حيث بدأ الاستعمار والاستغلال بأراضي البابلوك والوقف، وبعدها شرعت السلطات الفرنسية في سن العديد من القوانين الجائرة حتى تسهل عملية الاستيلاء على الأراضي ذات الملكية الجماعية مثل أملاك العرض وأملاك القبائل⁽²⁾، وتنتج عن ذلك تفاوت هائل بين الملاك الأوروبيين والملاك الجزائريين، فبينما كان خمسة وعشرون ألف (25000) مسنوط من أصل ثمانمائة ألف (800.000) يملكون 2750000 هكتار من أحسن الأراضي الخصبة فقد كان من الجزائر 532000 لا يملكون سوى 7672000 هكتار ويمثل الثلث (1/3) منها فقط منتجة، أما الثلثين (2/3) منها فهي

¹ - مصطفى طلائع وحسام العملي، المرجع السابق، ص 48

² - مسكاة الحارثي في فرنسا كما قال الشاعر: الثورة الجزائرية مفدي وكريانة

وجاءت فرنسا... فكنا كرمها
فاضرحهم فسدما الدهر...
وكنا نطعم الطعام
وكلم نطعم الصغار، ص 53.

² - سبارفيل، المرجع السابق، ص 66

معتبرة كإملاك عامة تخضع لنصرف الإدارة الاستعمارية⁽¹⁾، وقد أشارت الإحصائيات قبل سنة 1954 أن نسبة ملكية الأرض الصالحة للزراعة هي مائة ونسعة (109) هكتارات للأوروبي وأربعة عشرة (14) هكتار فقط للجزائريين⁽²⁾.

ويتضح الأمر بصورة أكثر خطورة عندما نعرف أن الأراضي تنتج أساسا محاصيل تجارية معدة للتصدير وليس للزراعة المعاشية مثل الحمضيات، التبغ، الكروم، وخاصة هذه الأخيرة واستنادا إلى ما ورد من إحصاءات مثل إحصاء 1935م، فقد تم إنتاج 82318000 هكتولتر من الخمور صدرت منها (4/5) إلى الخارج وبلغت قيمة صادراتها مائة وأربعين مليون (140.000000) فرنك⁽³⁾، وخلال الفترة الممتدة بين 1954م و1958م تم إنتاج ما يعادل سبعة عشرة مليون هكتولتر من الخمور، وكان المستفيدون الوحيدون من هذا المنتج هم المستعمرون وحدهم وعاملوا مؤسسات النقل البحري، وفي المقابل أصبحت سوق الحبوب وباقي المزروعات فقيرة، مما جعل الجزائريين يعيشون في ضيق حائل ومجاعات.

ولكي نتضح الرؤية أكثر عن هذه الوضعية يمكن الإشارة إلى أنه في سنة 1871م، قدر استهلاك كل جزائري من الحبوب بـ خمسة (5) قناطر سنويا ثم انخفض استهلاكه من هذه المادة الأساسية سنة 1940م إلى قنطارين ونصف (2.5) أو أقل⁽⁴⁾، وهذا ما يؤكد التدهور المستمر في التغذية عند المسلمين الجزائريين حيث انخفض خلال سبعة عقود إلى أقل من النصف وذلك من خلال سياسة التحويل التي اعتمدها المحتل الفرنسي.

وقد كانت الزراعة طوال المرحلة الكولونيالية مقسمة إلى قطاعين: القطاع الحديث وهو مدك خاص بالمستوطنين، وقد استخدمت فيه الوسائل الحديثة كالجرارات والمحاربات والأسمدة والري الاصطناعي وبما السدود ونحو ذلك من الآلات والوسائل المختلفة، بالإضافة إلى اعتماد مساحات واسعة منه على الري.

أما القطاع الثاني فهو القطاع التقليدي الذي كان موكا للأهالي المسلمين وهو قطاع ظل يعتمد على الوسائل التقليدية كالحراث الخشبي الذي تجره الحيوانات، وعلى اخصاد اليدوي بالمنحل بالإضافة إلى انحصار أراضي في المناطق الجبلية القليلة الإنتاج والبعيدة عن مصادر مياه الري، وغياب الأسمدة الاصطناعية

¹ عماد بوجعفر، المرجع السابق ص 372.

² راجع تركي، المرجع السابق ص 87.

³ مصطفى صلاي وبسام العسلي، المرجع السابق ص 49.

⁴ André moine, op.cit. p18.

كالفوسفات واليوتاسيوم، ونحو ذلك من المواد والخدمات الزراعية التي تضاعف الإنتاج وتحسن ظروف معيشة الفلاح الجزائري.

وعلى الرغم من أن الجزائر تحتوي على احتياطي هام من الفوسفات كان يتم استخراجه من مناجم الكويف، فإنه ظل يتنزع لتصرف المؤسسات الفرنسية المتواجدة بفسطاطية والتي تعذر معظم إنتاجها⁽¹⁾.

وبما كان الفلاحون الجزائريون يشكلون أراضي شاسعة أصبحوا لا يملكون إلا مساحات قليلة متناثرة في أماكن متباعدة، في حين أصبح بعضهم يعمل في مزارع المعمرين كخماسين أو ثلاثين، وهناك من أصبح عاملاً أجير عند المعمرين بعد أن فقد أرضه وعجز عن خدمتها بسبب الضرائب الباهظة والتكس والتقوانين الجحيفة التي طبقها فرنسا عليهم، وهناك من أصبحوا بطلان معدومي الملكية بعد أن عوشت الآلة الواحدة للمحرك والحصاد المجهود الذي كان يبذله هؤلاء العمال، إذ يجد الباحث في هذا الموضوع أن الحاصلة الوحيدة قد عوشت أكثر من مائة هلال أو عامل كان يحصل بالمنجل البدوي.

وبحلال الحرب النكوبية الثانية وقعت الجزائر في أزمة اقتصادية عميقة نسيبت في مجاعة قاتلة بالأرياف حيث انخفض إنتاج الحبوب من عشرين مليون قنطار في سنة 1941م، إلى عشرة ملايين قنطار سنة 1944م، وإلى 3600000 قنطار سنة 1945، وتراجعت قطعان الغنم من 6400000 رأس سنة 1939م، إلى 2800000 رأس فقط سنة 1946م، وارتفع سعر قنطار القمح الصلب من 800 فرنك إلى 2000 و3000 فرنك⁽²⁾، وقد أدى هذا التدهور في الموارد الاقتصادية إلى سوء التغذية لدى الجزائريين، مما أدى إلى انتشار الأوبئة الفتاكة وظهور السوق السوداء المخيفة والمضاربة في المواد الغذائية، مما كان يؤدي بحياة مئات الآلاف من الأهالي الجزائريين، وفي هذه الوضعية البائسة للشعب الجزائري حدثت مظاهرات ماي 1945م.

أما مساحات الأراضي فقد اختلفت بين وحدات كبرى ووحدات متوسطة وصغرى، وإذا عرفنا أن المساحات الكبرى كانت ميزة ملكية الأوروبيين والتي تمثل أكثر من 70% من أنواع الملكية لديهم، فإن الوحدات المتوسطة والصغرى تمثل ملكية الأهالي المسلمين الجزائريين التي كانت منفردة ومتباعدة - كما سلف الذكر -.

أما الوحدات الكبرى فلم يكن نصيب الجزائريين منها إلا بنسبة 2% من المجموع العام في حين كان نصيبه في الوحدات الصغرى يصل إلى نسبة 60%⁽³⁾.

⁽¹⁾ Ibid, p18

⁽²⁾ سوير، مظهر، المرجع السابق، ص 189.

⁽³⁾ مصطفى طلاس وسام العسلي، المرجع السابق، ص 50.

وفي ظل هذه الظروف يتساءل الباحث عن وصعية الفلاحين الجزائريين عشية اندلاع الثورة التحريرية الكبرى، لأنها تعتبر ممرآة لتلك الأوضاع الاقتصادي الصعب، ففي سنة 1954م، بلغ عددهم حوالي 6500000 فلاح ولا يتجاوز معدل دخلهم السنوي 180 دينار للفرد الواحد في الوقت الذي كان فيه معدل دخل الفرد الأوروبي في السنة نفسها قد بلغ 3600 دج (أي 360000 فرنك فرنسي قديم)، وهو رقم يفرق قليلا معدل دخل الفرد في فرنسا⁽¹⁾، هذه الفجوة العريضة من الشعب الجزائري ظلت تعيش تحت وطأة الفقر والجهل والمرض والظلم طوال الحقبة الاستعمارية كلها إلى غاية 1954م. وانطلاقا من هذه الأوضاع المزرية كيف يمكن للمرء أن يتصور شعبا عاش هذه الحقبة الطويلة كلها ويبقى مكتوف الأيدي أمام شريعة ثورية تدعوه إلى الانفضاض على الوضع القائم والانضمام إلى ثورة عارمة تدمره من ريقه العبودية ويراثين الاحتلال؟.

أما قطاعا الصناعة والخدمات، فإن الفرق بين دخل الفرد الجزائري والأوروبي، فقد كان شاسعا فمعدل الأجر السنوي الأوروبي في القطاعين كان 6000 دينار (أي 600000 فرنك فرنسي قديم) وبالنسبة للعامل الجزائري 1500 دينار (أي 150000 فرنك فرنسي قديم) فقط⁽²⁾، وبذلك يتضح المستوى الحقيقي للجزائريين في معيشتهم ودخلهم، وتبرز الصورة الحقيقية بكل أبعادها، فالاستعمار جعل من الجزائر مصدرا للمواد الأولية وسوقا لتصريف السلع الفرنسية، وجعل من الشعب الجزائري فريسة للاستغلال المظلم لمواد وقواعد اصالح الإقطاع الفرنسي المحلي والاحتكار الباريسي.

وبالنسبة للقروض المقدمة لتدعيم الصناعات الحقيقية فإن الإحصاءات سنة 195م، 4 تؤكد أن 92 % من القروض ذهبت للمؤسسات الصناعية الأوروبية البالغ عددها خمسة وستين ألف (65000)⁽³⁾ بينما المؤسسات الجزائرية فلم تكن تخطي إلا بنسبة ضئيلة من إجمالي القروض. وعلاوة على ذلك عليس للجزائريين هيئة تمثلهم في المجالس الإدارية للمؤسسات الاستعمارية فبالإضافة إلى الفوائد التي كانت تجنيها فرنسا من وراء ذلك⁽⁴⁾، وغنى الجزائر بالمعادن المختلفة وبطاقة إستراتيجية غير محدودة، فإن هدفها هو تدمير البنية الاقتصادية التحتية حتى تجعل من هذا الشعب آلة في يدها بالنظر للمشاكل التي تعيط به من كل جانب، وإن قامت ببعض المبادرات كمد طرق السكك الحديدية وبناء السدود وإقامة المراكز الكهربائية والمدن الحديثة... إلخ، فإن ذلك لم يكن إلا لخدمة مصالح المستوطنين والدولة الفرنسية واستغلال إمكانيات وغيرات الجزائر. وعلى سبيل المثال فإن المعادن المستخرجة كانت

¹ - جمال قناب، مرجع السطور، ص 210.

² - المرجع نفسه، ص 21.

³ - اعتبار بوحوض، المرجع السابق، ص 373.

⁴ - André moine, opcit, p18

أصدر كلها إلى فرنسا على شكل مواد خام، والإحصائيات الرسمية للصادرات سنة 1953، والمدة في هذا جدول:

المعدن	الإنتاج	التصدير
الخام	3 322 000 طن	3 031 000 طن
معدن	11 800 طن	9 100 طن
المعدن	702 600 طن	562 000 طن
المعدن	295 000 طن	9 000 طن

وبالمقارنة بين فرنسا والولايات المتحدة، في الجزائر، في سنة 1953، حيث تصدرت فرنسا في الفروع للمصانع الفرنسية الصناعات، أو لبعض الصناعات الرئيسية قصد تصفية المعادن من الأثرية والمواد العائقة بها، أما الصناعات التقليدية اليدوية التي كانت مزدهرة قبل الوجود الاستعماري، فقد اختفت بسبب هجوع أصحابها واستيراد المنتجات الصناعية على نطاق واسع، وبما أن فرنسا تصدرت الصناعة في جميع عيانات أول دعم لها، لم تكن الصناعة تحصل إلا نسبة ضئيلة من اليد العاملة الأهلية حوالي 7%، وهذا ما جعل البلاد بواجهة بالمواد الأول.

أما صادرات الجزائر، فنظر إلى أن الاقتصاد الوطني كان في حالة ركود، والصادرات كانت في حالة ركود، وطبقا لما قبل الصناعات مثلا، كان يقتصر على المنتجات الفرنسية، والأعداد الجارية مع فرنسا بفرنس على الجزائر العامة عن العالم، ويسعد أي مناقشة أجنبية، فإن فرنسا وحدها تستهلك 78% من صادرات الجزائر، بينما تستهلك فرنسا في منتجاتها الزراعية والمواد الأولية، وأما فرنسا بفرنس 80% من المواد المستوردة، والساهي عبارة عن مواد غذائية مثل: القهوة، الشاي، السكر، الخ، وتوضح الإحصائيات الرسمية لسنة 1953، طبيعة هذا التبادل في الصادرات الجزائرية كانت تتركز في منتجاتها الزراعية.

أما من ناحية القيمة، فقد تمكنت من تحقيق كذا، في سنة 1953، في الجدول التالي:

الصادرات	الواردات
191.671.6 طن	617.665.2 طن
820.138 مليون فرنك فرنسي	694.202 مليون فرنك فرنسي

وبذلك، فإننا نلاحظ أن الصادرات كانت أكثر من الواردات، كجزء لا يتجزأ من التراب الفرنسي حسب رأيهم، ألا وهو الأهداف التي يتناولها التصدير الجزائري في نهاية الأربعينات من القرن العشرين.

مصدر: المجلس الوطني للشباب، المجلس الوطني للشباب، 51.

المصدر: المجلس الوطني للشباب، المجلس الوطني للشباب، 51.

المصدر: المجلس الوطني للشباب، المجلس الوطني للشباب، 52.

وعلى الرغم من أن عمليات التنقيب في مرحلة ما قبل الثورة كانت جريئة، إلا أن الأبحاث أكدت أن الإنتاج السنوي سيصل إلى ثلاثة عشر مليون (13.000.000) طن عام 1960م، ليرتفع سنة 1970م إلى خمسة وعشرين مليون (25.000.000) طن¹.

إضافة إلى أهمية البترول كثروة حيوية في الاقتصاد الفرنسي، الموقع الاستراتيجي الهام للجزائر وقربها أكثر من أوروبا وخاصة فرنسا، علمنا لماذا كان تشتت فرنسا بالجزائر شديدا، وبالتالي ندرك أن تحقيق الاستقلال لن يكون إلا بالقوة أي العمل المسلح، فالجزائر ظلت مركز القوة بالنسبة للاقتصاد الفرنسي مما كانت تقدمه من موارد طبيعية ضخمة وزراعية متنوعة دون مقابل، وأيدي عاملة رخيصة سحرت الخدمة الإقطاع الزراعي الواسع والمؤسسات الصناعية للمستوطنين بالجزائر، بل واستغلال طاقات الأهالي الجزائريين على الأراضي الفرنسية نفسها، ولهذا فإن اقتصاد الجزائر ظل ينهار تدريجيا بصورة مستمرة أمام تطور رؤوس الأموال الأجنبية، فتركزت أموال ضخمة في أيدي طبقة فرنسية برجوازية تمتعت بكل الامتيازات والحقوق، في حين بقي الأهالي المسلمون-الذين اعتدوا مواطنون من الدرجة الثانية-مطالبين بأداء العديد من الواجبات التي لا تنتهي.

وفي هذه الظروف كانت بداية التحضير لاندلاع الفاتح من نوفمبر 1954م. فهل يمكن القول أن هذه الظروف كانت من أكبر العقبات التي استوجب على النظام السياسي والعسكري للثورة اجتيازها طيلة سنوات الثورة؟.

المبحث الخامس: المسألة الاجتماعية في الجزائر عشية اندلاع الثورة:

لا بد من النظر بتمعن في هذا المبحث لمعرفة بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية للشعب الجزائري قبيل اندلاع الثورة التحريرية ولو بإيجاز، ومن ثمة يمكننا تحديد العلاقة بين الشعب والثورة، فهل الشعب هو الذي قام بالثورة؟ أم أن الثورة هي التي جرت الشعب واحتلت إليها في إطار حركة تاريخية وتفاعل بين القوتين؟، قوة الثورة وقوة الشعب، وبالتالي تحديد مجريات الأحداث زمانيا ومكانيا وإيديولوجيا.

من المعلوم تاريخيا أن الجزائر جمعت على أديمها منذ 1830م حتى 1962م، أقواما بشرية متعددة الجنسيات واللغات، وهي من خاتمة المجتمعات الأوربية، تمثلت في المتسولين والمشردين والمعالمين والمجرمين والضحايا عليهم بالسجن المؤبد والإعدام وغير المرغوب لبقائهم هناك في إحدى الأرياف أو المدن الأوربية، الأمر الذي تسبب في تشكيل مجموعة بشرية متميزة عن الشعبي الجزائري والمختل الفرنسي معا وهم عبارة عن مركب من العقد النفسية والزراعات السياسية والمنطام الاقتصادية والمذهبية والأحقاد

¹ مصطفى طاهر وبسام القسبي: المرجع السابق، ص 52.

البشرية، "تدفع بينهم خصائص مشتركة مثل: الأنانية، الحقد، الكراهية، البغضاء... ضد مجموعة أو جنس لا ينتمي إلى مجموعتهم، وقد كان هدفهم المقدس هو جمع الثروة وتكوين طبقة ممتازة من الأساد لتحكم في الجزائين والفرنسيين معاً، وكان أول ما قاموا به من بداية الاحتلال هو الاستيلاء على الأراضي الخصبة ليتحولوا بعد فترة زمنية إلى إقطاعيين كبار في الريف ورأسماليين احتكاريين في المدن، وهذا أحد الكتاب الفرنسيين يصف حالهم بإحدى المدن الجزائرية بقوله: "انهاجروا الفرنسيون الذين جاؤوا إلى مدينة الخففة قدموا إليها في مشاهد لا يمكن نسيانها، أطفال في حرق بالية، وأقدام حافية في ذلك البرد القارس بعضهم يبيع الفطائر، والبعض الآخر يتسول...."^(١) هكذا إذن حال الأوروبيين الذين جاؤوا لنشر الحضارة.

وهذا أحد كبار الضباط الفرنسيين الذين قادوا عملية الغزو سنة 1830م يصف الوجه الحقيقي لمسألة التمددين التي جاءت بها فرنسا فيقول: "ولنا كان غديهم - أي الجزائريون - غير ممكن هجيب أن نخشدهم بعيداً مثل الحيوانات المتوحشة التي لا يتجاوز المساكن الأتمة يجب أن يتعدوا إلى أعماق الصحراء حتى يتركوا الطريق لمنشآتنا العصرية ويرمى بهم إلى الأبد في أقاصي الرمال"^(٢).

وأصبح المجتمع الجزائري يعيش في معاناة كبيرة عميقة، وغدت البطالة والفقر والحجرة إحدى الظواهر الاجتماعية البارزة، وقد بينت إحدى الدراسات الاجتماعية أن حوالي سبعة ملايين جزائري تعيش تحت مستوى خط الفقر، حسب تقرير منظمة اليونسكو^(٣)، في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات من القرن العشرين. في الوقت الذي كانت فيه طبقة برجوازية أوروبية متحمة، وقد انضمت هذه الفروقات الكبيرة من الدخل الفردي بين المسلم الأهلي والمستوطن الأوروبي، ولكن المشكل الحق يتمثل في من ليس لهم عمل قار - أعني البطالة المقنعة - لدرجة أن الجزائري الذي يعمل هو بالتأكيد صاحب اعتبارات خاصة أو هو من المخطوقين، وهناك إحصائيات تؤكد وجود مليون عاطل ريفي عن العمل عام 1954م، ولم تسجل هذه الإحصائيات سوى 12000 عامل زراعي دائم، يعملون مائة وثمانين (180) يوماً في السنة على الأقل، أما البطالة المقنعة فقد كانت هي الأخرى موجودة بأعداد معتبرة وهي تتمثل في المستخدمين غير الدائمين أو بالأحرى للعمال الزراعيين المؤسمين الذين يشتغلون ثلاثة أشهر في السنة في أحسن الظروف^(٤) وقد قدر عددهم ما بين 650.000 إلى 750.000^(٥).

^(١) André moine, opcit, p19.

^(٢) محمد صالح الصديق: التاريخ السياسي، ص 21.

^(٣) André moine, opcit, p19.

^(٤) جمال قناوة: تاريخ السجون، ص 211.

^(٥) تشارلز روبير أنجرو: تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط ١، مسووات حركات، بيروت 1982، ص 132.

أما المناصب العليا فقد كانت حكرا على الأوروبيين وحدهم، بينما لم يصل الجزائريين إلا لموظائف التي تأتي في أدنى سلم الخدمات مثلا: عمال السكة الحديدية، حراس لضعفات المعمرين. عمال المحاجر والمناجم... الخ.

أما النساء فلم يكن هن نصيب من العمل إلا كخدمات في بيوت الأوروبيين بالمدين أو في ضيعات المستوطنين بالريف، وكان الفرنسيون ينادونهن باسم "فاضة"⁽¹⁾، هو نسبة إلى السيدة فاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم. كما ينادون الرجل باسم محمد نسبة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم. ولكن المعنى قد حُرف بمرور الزمن طبقا للخدمات التي كانت تقوم بها المرأة الجزائرية لدى المعمرين.

والحق انه لم يصل إلى مناصب في المؤسسات العامة سوى القليل النادر من كانت لهم علاقة خاصة بإدارة الاحتلال، أما الأغلبية الساحقة من الجزائريين القادرين على العمل، فقد كانوا يشتغلون في الأعمال الحرة⁽²⁾ وهي أعمال بسيطة لا تزيد في أغلب الأحيان عن سد رمق العيش.

وإذا كانت هذه هي وضعية الرجال والنساء الأهالي المسلمين، فقد كان أطفال الأهالي الفئة الأكثر قهرا في المجتمع، حيث كان عملهم محصورا في مسح الأحذية أو بيع الخراقة في المدن، بينما كانوا يعملون رعاة للمواشي لدى المعمرين أو لدى بعض الجزائريين المخصوصين في الأرياف.

إن هذه الملحة السريعة عن الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأهالي المسلمين في الجزائر إبان المرحلة الكولونيالية، يوضح جليا مستواهم السكني والصحي، حيث يلاحظ الانتشار المذهل للأحياء القصديرية على هامش المدن، ففي قسنطينة مثلا مازالت معالم أكبر الأحياء القصديرية ماثلة للعيان إلى مطلع الألفية الثالثة ويوضح ذلك "خط المؤس" *le trait mésirable* الذي يمتد من حي باردو إلى حي الصنوبر (حي الشالي *chalet*) حيث تسود الأكواخ القصديرية.

أما مدينة الجزائر وحدها فقد كان يحيط بها ما لا يقل عن ثمانية (8) أحياء قصديرية معدل سكان كل حي منها لا يقل عن خمسة آلاف (5000) نسمة، والأكواخ المنتشرة بشكل عشوائي مشيدة من الأكواخ القصديرية تتراوح مساحات كل كوخ ما بين عشرة متر مربع (10م²) إلى خمسة عشرة متر مربع (15م²)، ويضم كل كوخ ما لا يقل عن أربعة أو خمسة أشخاص. ولا يوجد هذه الأحياء أدنى المرافق الصحية مثل المياه ودورات ومخاري المياه وقنوات الصرف أو الكهرباء أو مكان مخصص لوضع القمامة⁽³⁾.

⁽¹⁾ André moine, opcit, p19.

⁽²⁾ - Loc, cit

⁽³⁾ - بلال فتاح، المرجع السابق، ص 212

هذا في المدن أما في الأرياف فالوضعية أسوأ كون الأكواخ تشيد من الطين وتسقف بحزيج من القش والطين⁽¹⁾، أو بالفضش وحده (الديس أو التين) ونأوي عادة أكثر من عشرة (10) أفراد لوجود نظام العائلة الكبرى، وكثيرا ما تسقط هذه الأكواخ على رؤوس أصحابها في موسم الشتاء الممطر، ولا سيما عند تساقط الثلوج أو هبوب الرياح والعواصف العاتية، أما في فصل الصيف فغالبا ما تتعرض هذه الأكواخ إلى الاحتراق لأسباب كثيرة.

وفي هذه الظروف كيف يمكن للمرأة أن يتصور أو يتوقع الحالة الصحية لأهلها المسلمين تبعاً لسوء التغذية من جهة ولسوء المسكن من جهة أخرى؟؟

ويمكن الاستشهاد فيما ذهبنا إليه بلغة الأرقام على النحو الآتي:

أولاً: انخفاض معدل الاستهلاك للفرد الجزائري من الخبث من خمسة (5) قناطر عام 1870 إلى أربعة (4) قناطر عام 1900 إلى قنطارين ونصف (2.5) عام 1940 ثم إلى قنطارين (2) فقط عند بداية الخمسينات.

ثانياً: انخفاض استهلاك اللحوم بانخفاض عدد المواشي، وكل ذلك تسبب في ظهور الأوبئة والأمراض الفتاكة وأخطرها مرض السل الذي انتشر بصورة مذهلة غذاء الحرب الكونية الثانية وقد حصد أرواح الآلاف من الجزائريين سنوياً⁽²⁾.

كما تسجل ظاهرة اجتماعية أخرى لا تقل أهمية عما سبقت الإشارة إليه ألا وهي التزايد الديمغرافي الهائل، فبعد أن كان عدد الجزائريين سنة 1926: 5.150.800 نسمة ارتفع سنة 1936 إلى: 6.201.100 نسمة، ووصل سنة 1954 إلى: 8.745.000 نسمة⁽³⁾، على الرغم من أن الحياة كانت نائسة كما مر بنا. ومن هنا يلاحظ المرء أنه بعد استرجاع السيادة الوطنية، أصبح الشعب الجزائري من أكثر الشعوب الفتية في العالم، ولعل هذا ما يفسر جانب من جوانب قوة الثورة الجزائرية، هنا من جهة، ومن جهة أخرى فقد سجلت في هذه المرحلة سلسلة من الصراعات الكبرى التي عرفها المجتمع الجزائري إلى خارج الحدود الوطنية، ففي الجناح الغربي من البلاد توجه العديد من العائلات النلمسانية والمعسكرية إلى المغرب الأقصى منذ سنة 1932م، فيما توجهت بعض القبائل من تواجي سطيف وبرج بوعرييج وخاصة نحو تونس وسوريا منذ بداية 1937⁽⁴⁾.

¹ - انظر هناك المرجع السابق، ص 212.

² - المرجع نفسه، ص 213.

³ - عدد بر وجوش، المرجع السابق، ص 371.

⁴ - الخليل صاري، ومعه قد تم، المرجع السابق، ص 50.

أما نحو أوروبا فقد ارتفعت المحجرة الجزائرية بشكل كبير خلال الفترة الممتدة من سنة 1947 إلى سنة 1954 خاصة نحو فرنسا، حيث وصل عدد الذين اختاروا الاستقرار بها سنة 1947 ختار عن لقمة العيش إلى 44900 مهاجر ليقتفر هذا العدد سنة 1954 إلى 120642^(١).

أما فيما يتصل بالمحجرة الداخلية من الريف إلى المدينة - وإن كانت مسكنا إلى حين - فقد ارتفعت هي الأخرى بشكل مذهل حيث انتقل عدد سكان المدن المسلمين من 722000 عام 1936 إلى حوالي 1600000 عام 1954، وتكدسوا في الأحياء القصديرية حتى لم يعودوا قادرين على إيجاد أي عمل لسد رمس الحياة^(٢).

وباستقراءنا للأوضاع السائدة يمكننا الوقوف على أسباب هذه الظاهرة الاجتماعية التي هي في الواقع لا تخرج عن إطار السياسة الفرنسية بما طبقت من تعسف واعتصام بالأراضي وإفلاس للقطاع الصناعي المحلي أمام المنافسة الأوروبية، والقهر السياسي للأهالي المسلمين طبقا للقوانين المنظمة للمجتمع الكولونيالي في الجزائر آنذاك مثل قانون الأهالي indigène وحيف البلديات المختلطة commune mixte والبلديات الأهلية commune indigène الرادعة وقانون الحجز الإداري والتجديد الإداري والتحكم الاستثنائية^(٣)، وتطبيق قاعدة معاقبة الجار بجريرة جاره كقانون الغايات ونحو ذلك من القوانين التعسفية الأخرى.

وفي هذا يقول الشيخ البشير الإبراهيمي (1889-1965)^(٤): "أيها الإخوة الجزائريون الأبطال: لم تبق لكم فرسا شيئا تخافون عليه، أو تداروها لأجنى، ولم تبق لكم حيطا من الأمل تتعقون به، تخافون

^(١) - حار فنان، المرجع السابق، ص 211.

^(٢) - شارون روبر أجروند، المرجع السابق، ص 139.

^(٣) - القانون الاستثنائية: صدر قانون التحكم الاستثنائية يوم 26 مارس 1902 وبمقتضاه ذهب ذلك الجهات القضائية العسكرية لقرى كل بلاد العالم ترصد حاكم أو محال عسكريا تلتص بمحاكمة أفراد القوات المسلحة، ولكن القريب والأضي في الأمر أن يفسر هذه الأحكام والقوانين على الجيوش، المدنية واعتبارها الطرف الذي يعل بالأمن والسلام العام للجيوش والمملكة، فضلا عن ذلك مع الأهالي الجزائريين indigène الذين اعتبروا مواطنين من الدرجة الثانية لا يتمتعون بأذن الحقوق، فإن هم ردا اجتماعا للحكم العسكري ضمن نظام البلديات الأهلية بالمحيط، وإذا تم تطبيق الحكم العسكري أيضا ضمن نظام البلديات المختلطة التي تنقسم إلى قسمين قسم مدني يخلق شؤون بلدية نحو جردة وأما في باريس على المستوطنين، وقسم آخر عسكري يطبق القوانين العسكرية على الأهالي الجزائريين.

^(٤) - محمد السام الإبراهيمي: من كبار العلماء المسلمين في الجزائر، وحارها بعلمه وسأله، وإفادته، ولد بسعيد، من أسرة متفهمة، جادا العرف في سن مبكرة وحرس الشعة العرفية وأصول الدين في العشرينات بسنن جاهدة مع الشيخ عبد الحميد بن باديس، ثم كان تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي سيكون نائب رئيسها في ديسمبر 1942، شارك عظماء، بوعبد الإسلامي الجزائري سنة 1936، وفي أثناء الحرب العالمية الثانية من قبل السلطات الفرنسية إلى مشية نحو (جنوب غرب، الجزائر)، سجن عطف محارر 08 ماي 1945، وأطلق سراحه سنة 1946، بعد الاستقلال عارض التوجه الاشتراكي الذي تبناه نظام الحكم فأودع السجن ولم يزل به المقام طويلا حيث توفي يوم 22 ماي 1965، انظر بوعصاف، وأخرون، المرجع السابق، ج 1، ص 03 06.

فكما رأينا فالوضع الاجتماعي قد وصل إلى درجة كبيرة من المعاناة والتأزم، وبالتالي انفجار الجماهير الشعبية كان متوقعا في أي لحظة ضد ذلك الظلم الكبير المسلط على الأهالي الجزائريين بقسوة ضد النساء والرجال على حد سواء، بل وحتى الأطفال لم يسموا من هذه السياسة الاستعمارية العنصرية، التي كان هدفها الأول والأخير هو إبقاء الشعب الجزائري دائما مهتمشا مستغلا من قبل فئة المستوطنين المالكة والسيطرة على كل الامتيازات.

وخلاصة القول أن المجتمع الجزائري قد عان الأمرين إبان الوجود الاستعماري الفرنسي: من الجهل والفقر، والمرض والتهيش، والعصرية النقية، ولم يفلت من القبضة الحديدية التي كان يمسك بها الكولون رفات الجزائريين إلا بعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر، التي أفضت الجماهير الواسعة من سباتها العميق الذي سيطر عليها طوال قرن وربع قرن، فبدأت تلك الجماهير المهيضة الخواص تتلمذ بالتدريج وتضع في مصفات قليلة، ماردا جبارا زعزع أركان الصرح الاستعماري الكبير الذي ظلنا هيمس على الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب العربي عامة، وفي الجزائر بوجه خاص.

المبحث السادس: المسألة الثقافية في الجزائر عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م:

طلت الحياة الثقافية في الجزائر منذ بداية الاحتلال تسير نحو الموت المؤكد خلال القرن التاسع عشر (19م)، نتيجة لسياسة القدم والبناء التي انتهجتها سلطات الاحتلال منذ 1830م، وتكن مع مطلع القرن العشرين بدأت تسير بخطوات وثيدة نحو الإحياء والبعث من جديد، بفضل الجهودات انضمية التي بذلها بعض الوطنيين الجزائريين على مستويات متعددة، لإخراج البلاد من ظلام الجهل والامية والإقصاء والتهيش، فأسسوا الجمعيات، وأصدروا الصحف باللغتين العربية والفرنسية، وشيدوا المساجد وأفتوا الدروس والمحاضرات العامة والخاصة، ولكن الأمية ظلت ضاربة أطنابها حتى استرجاع الاستقلال الوطني سنة 1962م، ولم يتحزج الرقم المسجل منذ عقود عن مكانه، حيث كانت نسبة الأمية في الجزائر تقدر بـ 94% في عالم الرجال، وفي عالم المرأة أكثر من 98%⁽¹⁾ عداة استرجاع الاستقلال الوطني، هذا بعد انتشار التعليم الفرنسي الرسمي والتعليم العربي الحر الذي اضطلعت بكل واحد منهما الإدارة الفرنسية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وقد زاد من تدهور الحياة الثقافية الحرب الكونية الثانية، التي أتت على الأخضر واليابس وأغرقت معظم شعوب العالم في مستنقع الدم الذي أريق في بلدان كثيرة، لا ناقة لها في هذه الحرب ولا حمل. حيث حمد نشاط الجمعيات الأهلية الحرة التي كانت تسعى إلى إخراج الأمة من كابوس الجهل وشبح الأمية، وإذا

¹ - أحمد محسن: الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المستقلة، لجنة الحاج مسعود، جامعة غراس، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، المودق، الجزائر، 2002، ص 412.

كمت لا أملاك إحصاءات ثالثة حول نسبة المعلمين في كل سنة خلال تلك الحرب، فإن الأرقام التي سأشير إليها خلال سنة 1944م، من خلال هذا الجدول ⁽¹⁾ ستوضح بجلاء النسبة البسيطة من المعلمين الجزائريين - هذا مع الفروقات الصارخة بين عدد السكان الجزائريين الأوروبيين، حيث كانت نسبة الأوروبيين تقدر بنسبة 9% من مجموع السكان في الجزائر:

الصفة	عدد المتدربين	الميزانية	عدد المتدربين
جزائريون	110.000	88 مليون	699
أوروبيون	200.000	399 مليون	1400

والنلاحظ من خلال هذه الأرقام، هو التمييز العنصري الكبير بين الأغلبية الساحقة من أبناء الأهالي المسلمين، والأقلية من أبناء المستوطنين، حيث نجد معظم الميزانية المخصصة لقطاع التعليم في الطور الابتدائي تكاد تقتصر على أبناء المستوطنين وحدهم، بينما كانت النسبة المخصصة منها للأهالي لا تصل حتى إلى الربع، كما نلاحظ أيضا ذلك التناقص بين عدد المتدربين الذي يصل على مائتي ألف (200.000) من أبناء المستوطنين الذين يمثلون الأقلية من حيث العدد، بينما يتخلف العدد إلى حوالي النصف، مئة وعشرة آلاف (110.000) جزائري متدربين فقط، وهم الذين يمثلون الأغلبية الساحقة التي تعيش على هذه الأرض منذ الأزمن، ولكنهم آخر المستفيدين من التعليم.

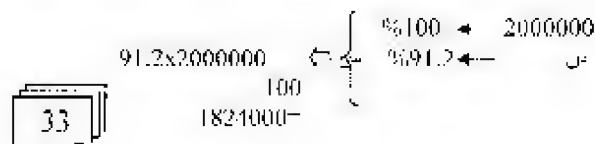
وإحصاء سنة 1954م، يبين أن هناك قرابة مليوني طفل جزائري هم في سن الدراسة من ستة إلى أربعة عشر (6 14) سنة، ولكن المدرسة الفرنسية لم تستقبل منهم سوى نسبة قليلة جدا، حيث أعدد 91,2% منهم في حالة أمية كاملة أي 1824000، وأنهم أن نسبة الأطفال المسلمين المتدربين لم تتجاوز في أغلب الأحيان 6%، ولكن الحكومة الفرنسية زعمت في تقرير لها سنة 1955م، أن النسبة قد بلغت 20% ⁽²⁾، بينما إحصائية سنة 1954م، تنمذ ذلك فكيف يقفز المتدربون من 6% إلى 20% خلال سنة واحدة فقط؟ وقد كان جملة الذين يحسنون الكتابة والقراءة باللغة العربية سنة 1954م، يقدر بثلاثين وأربعين ألف (242.000) نسمة وباللهغة الفرنسية أربع مائة وواحد وأربعون ألف وثلاثمائة وأربع وخمسين (441.354) نسمة فقط ⁽³⁾.

ولا شك أن ذلك يرجع بالدرجة الأولى، إلى خوف المحتل من رفع المستوى الفكري في المجتمع الجزائري، لأنه كان يدرك مدى أهمية التعليم في إيقاف الحرس الوطني والمشاريع القومية والإنسانية ضد الظلم والاحتلال لدى المسلمين الجزائريين، ولذلك فقد كانت السياسة الفرنسية تقوم على مبدأ التجهيل والامية

¹ المصدر نفسه، ص 403.

² Marcel Egretentut, réalité de la nation Algérien, Edition Social, Paris, 1957, p138.

³ جمال فتاح، المجتمع السياسي، ص 213، وعبدالله بوجوش، المراجع الأساسي، ص 374.



في الجزائر منذ بداية الاحتلال، وحتى القنة القليلة التي حظيت بشيء من التعليم الفرنسي، كان التعامل معها يتم على أساس صفة الأهلي، الذي لا يتمتع بحقوق المواطنة⁽¹⁾، ولذلك فقد أدرك أولئك التلاميذ في وقت مبكر، فساد منطق المساواة في الحرية والعدالة والأخوة التي كانت فرنسا الديمقراطية تريد نشرها، فكثيرا ما وجدوا تناقضا واضحا بين ما كانوا يتلقونه كدروس نظرية عن التاريخ الجيد لفرنسا والثورة الفرنسية وبين ما يجدونه في واقعهم الأليم من تمييز وفقر ومعاناة.

وإذا كان هذا حال التعليم الابتدائي لدى أبناء الأهالي، فإن التعليم الثانوي بالنسبة هؤلاء يكاد يكون مجرد حلم نراودهم بعد نهاية المرحلة الابتدائية، إذ لم يكن يتجاوز عدد الذين وصلوا إلى هذا التطور سنة 1954م، 6260 تلميذ فقط، أما التعليم العالي فلم يستقبل في هذه السنة سوى قرابة ست مائة (600) طالب من الأهالي⁽²⁾، والمغبولين الآتين ببيتان لنا بصورة جلية التباين بين عدد المستوطنين والأهالي في التعليمين الثانوي والجامعي خلال الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين⁽³⁾.

السنة الدراسية		عدد الأوروبيين		عدد الأهالي	
1939	1940	في التعليم الثانوي	في التعليم الجامعي	في التعليم الثانوي	في التعليم الجامعي
16771	1777	1358	89		
16457	3287	1209	8		
20658	4280	2734	306		

السنة	عدد الطلبة الأهالي في التعليم العالي
1941	142
1950	360
1951	386
1952	442
1953	572
1954	513
1955	584

¹ - عمر الدين معرفة: فترات محاسن وعذوبة في الحركة الوطنية، ومرحلة الاستقلال 1899-1985، مذكرة لى شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، بقراف، الدكتور عبد الكريم بوالعصب، الابن، تقديم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة عنابة، تاسيط، الجزائر، 2000، ص 24.

² - Charles Robert Ageron, les Algériens Musulmans et la France .P 36.

³ - احمد محاسن: التعليم الثانوي، ص 405-406.

أما نوع التعليم الذي كان يجب أن يخصص للأهالي في طبيعة الحال ليس ذلك الذي يبعث منهم منقذين أو إطارات تشغل مناصب - مهمها كانت درجتها- في المؤسسات الاستعمارية، وإنما هو التعليم الذي لا يكاد يسمح لهم بمراءة الأحرف، وفك رموز المفردات الضرورية لحياهم اليومية، بالإضافة إلى تعلم بعض الحرف كالمدادة والتجارة والبناء... وغيرها من الأعمال التي تتطلب الجهد العضلي ليكونوا في مستوى خدمة الطبقة الكولونيالية البرجوازية التي تحتكر مختلف الأنشطة الاقتصادية.

ومن خلال هذه الإحصاءات ⁽¹⁾ يتضح عدد الطلبة المسلمين في التخصصات المختلفة بالجامعة

خلال سنة 1954م:

النسبة المئوية للطلبة المسلمين	بمجموع الطلبة	عدد الطلبة المسلمين	عدد الطلبة الأوروبيين	التخصص
10.48%	1707	179	1528	الحقوق
13.34%	824	110	714	الطب
8.43%	403	34	69	الصيدلة
12.76%	1347	172	1175	الآداب
0.78%	768	06	762	العلوم
09.92%	5049	501	4548	المجموع

والملاحظ من خلال هذه الإحصاءات أنه كان هناك تفاوت كبير بين عدد الطلبة الأهالي والأوروبيين، لاسيما في تخصص العلوم والصيدلة ولبها فرع الحقوق، إذ تنخفض النسبة في شعبة العلوم إلى أقل من 01% أما في الصيدلة فهي نسبة متدنية أيضا تقدر بـ 8.43% وفي بقية الشعب مجتمعة والمتمثلة في الحقوق والآداب والطب فإنها لا تتجاوز 12.19%، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حقيقة تاريخية مفادها إبعاد الأهالي عن مختلف العلوم التي تساعد على التطور والنهوض من كبوتهم الطويلة التي أصبوا لها من جراء المد الاستعماري الفرنسي، الذي ناء بكنكله على البلاد منذ سنة 1830م.

أما إذا انتقلنا إلى التعليم التقني والمهني فإننا نسجل الأرقام الآتية ⁽²⁾، في التعليم الزراعي:

النسبة المئوية	المجموع	الجزائريون	الأوروبيون	المؤسسات التعليمية
0%	74	0	74	المدرسة الوطنية للزراعة
04%	75	03	72	المدرسة الجهوية لتسليح النعاس

¹ شارل روبرت كيرجوس، مرجع السابق، ص 175.

² أحمد ميسا، المصدر السابق، ص 407.

المدارس الزراعية (سكنية ، عين تيموشنت، قائمة)	103	26	129	20.15%
مراكز التكوين الفلاحي	11	43	54	79.62%
المدارس الزراعية	116	05	121	04.13%
المجموع	376	77	453	16.99%

وأهم ملاحظة نسجها في هذا الجدول هي عدم وجود أي جزائري في المدرسة الوطنية للزراعة، أما أعلى نسبة الطلبة الأهالي فتجدها في مراكز التكوين الفلاحي، ونحن لا نستغرب ذلك إذا علمنا أن نسبة هائلة من مجموع الشعب الجزائري، كانت تشغل في القطاع الفلاحي كخماسين أو أجراء يوميين لدى كبار الملاك المستوطنين، وبأحور زهيدة لا تسد أحيانا رمق العيش، ولهذا فإن تأهيلهم للخدمة في تلك الأراضي كانت حتمية بالنسبة للاقتصاد الكولونيالي.

هذا وعلى العموم، فإن التعليم النقي بصفة عامة لا يزيد عن خمسمائة (500) طالب مقارنة بالتعليم الجامعي، الذي وصل فيه عدد الطلبة سنة 1954م، إلى 5049 طالب من الأوروبيين والجزائريين معا. ونحن أن السياسة الفرنسية قد حفت في هذا المجال بعض أهدافها حيث تركت فئات الشعب العريض، لاسيما في الأوساط الريفية نعوص وتسيح في ظلام دامس⁽¹⁾، ولكن مع ذلك فإن الشعب الجزائري ظل متمسكا بهويته وأصاليته على الرغم من سياسات التجهيل التي دامت عشرات العقود من الزمن.

وقد كان للجمعيات والنوادي والمساجد والصحف الوطنية التي تأسست في العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين خاصة، بعض الأثر في إحداث نقطة فكرية عامة مست الأوساط الشعبية⁽²⁾. وقد كان الجمعية العلماء المسلمين في هذا كله الباع الطويل، حيث كونت حركة ثقافية نشطة ونشرت التعليم العربي في المدارس والمساجد والنوادي وفي المحاضرات العامة، على نطاق واسع في أوساط الأهالي.

وقد ركزت الجمعية في نشاطها على بناء المدارس الحرة، والتي بلغت عشية اندلاع الثورة سنة 1954م، حوالي مائة وخمسين (150) مدرسة بمعدل قسمين لكل منها⁽³⁾، وعدد معتبر من المساجد لا نملك حتى الآن أرقاماً دقيقة عنها، وأصدرت الصحف من جرائد ومجلات أعطت بعدا ثقافيا وحضاريا للشعب الجزائري ودافعت عن هويته بقوة الحق ووضوح البرهان، وحاربت التطرفين المتحرفين

¹ الم الخامس بعد اندلاع حركة الوطنية الجزائرية: مرجع سابق، ص 61.

² الطاهر عبدلي: المرجع السابق، ص 316.

³ المرجع نفسه، ص 319.

والمشعرين الذين كانوا يسبحون في فلك الإدارة الاستعمارية التي حركتهم كبيادق ضمن خططها الشامل الذي استهدف الحرية العربية الإسلامية للأمة، خاصة وقد أدركت أن الدين الإسلامي ليس مجرد معتقد ديني كما هو الحال بالنسبة للأديان الأخرى، بل إنه ملازم للحياة الشخصية والاجتماعية وحتى السياسية ومن هذا المنطلق كان حصارها المفروض على الدين الإسلامي شديدا⁽¹⁾.

وهذا فإننا نجد في القانون الأساسي لجمعية التربية والتعليم التي أسسها المفكر عبد الحميد بن باديس سنة 1930م -وعيا كبيرا بالتحديات التي سيواجهها العلماء في سبيل نشر حركة إصلاحية قائمة على أسس متينة، حيث ورد فيه: "إن غرضنا من الوجهة التربوية، هو تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم. ومن الوجهة التعليمية تنقيف أفكارهم....."⁽²⁾.

وفعلا فقد ساهمت الجمعية مساهمة فعالة في إحياء الثقافة العربية الإسلامية عن طريق التربية والتعليم اللذين كانا متجهها الأول في التغيير، وتمكنت من تكوين نخبة وطنية متسبعة بقسم الدين الإسلامي الخفيف، والمبادئ الوطنية بعيدا عن البدع والخرافات وأفكار التغريب والفرنسة.

وبخلاصة القول أن مجال الثقافة كان منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر ميدانا خصا لتكريس الفكر الاستعماري وحسن مقومات الشخصية الوطنية للشعب الجزائري، ولم ينهض من كبوته إلا مع التباثير الأولى للقرن العشرين، ولهذا فإن الوضع الثقافي قبل اندلاع الثورة لم يكن أفضل من الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي عانت منه الأمة قاطبة ودحا من الزمان، مما يفسر تعدد الأسباب والدواعي التي جعلت الشعب الجزائري يهب عن بكرة أبيه في وثبة واحدة للثورة على الواقع الأليم الذي كرمته الدراسة الاستعمارية منذ قرن وربع قرن من الزمن، واستطاعت ثورة الفاتح من نوفمبر أن تغير تلك المساة الوطنية إلى واقع مشرق بفضل حكمة قادتها وإرادة الشعب في الالتفاف حولها.

ومما سبق عرضه وتحليله في هذا الفصل نخلص إلى القول أن الحرب الكونية الثانية قد أحدثت تغييرات جوهرية في كثير من بلدان العالم، طالت كل المبادئ السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية على الصعيد العالمي، وأدت إلى اختلال موازين القوى بظهور دول جديدة ترعمت العالم وأخرى تراجع، مكانتها إلى الخلف، وخاصة الدول الاستعمارية التقليدية مثل: بريطانيا وفرنسا على سبيل المثال، مما أدى إلى انتشار الحركات التحررية واستقلال بعض البلدان، وبقيت بلدان أخرى تشق طريقها نحو الاستقلال.

(1) كانت أول خطوات المشروع الاستعماري هاربة الدين الإسلامي قد تمت في تقديم «من تأسد والامسلا» على الأوقاف الإسلامية في كميات تحول بعدها إلى كنائس أو كاتدرائيات ونحن نعلم بعض الروايات المصيبة والصوفية بالإضافة إلى تحويل المراكز الثقافية إلى معاهد ثقافية افريقية... إلى غير ذلك من الإجراءات التي طبقها إدارة الاحتلال.

¹ «فاخر عمري: المرجع السابق، ص 318.

ففى المغرب العربى نجد تونس قد نبذت أسلوبا جديدا فى الضال بدءا من سنة 1949م، وهو سياسة حد وظالب التى أعنتها أهم حرب فى البلاد الحزب الدستورى الجديد برعامة الخيب بورقية أما الحركة الوطنية فى المغرب الأقصى فإن أهم ما ميزها، هو الثفاف الجماهير الشعبية حول السلطان محمد الخامس، الذى وقف إلى جانب حرب الاستقلال فى مطلبه الأول، وهو استرجاع الاستقلال الوطنى للشعب المغربى، وتيسار وتيرة الأحداث بمدين البليدين مما أدى إلى قيام المقاومة المسلحة عسا مع مطلع الخمسينات من القرن العشرين، ثم استقلالهما فى سنة واحدة وفى شهر واحد⁽¹⁾، وبالنسبة لعمملكة الالبيرة فقد كانت هى أول بلد عربى يستفيد من تلك التحولات العالموة التى أحدثتها الحرب، إذ تمكنت من الحصول على دعم دولى، وأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا سنة 1949م، بمنحها الاستقلال الكامل فى أجل اقضاء بداية سنة 1952م.

أما الجزائر فقد شهدت الناء الحرب الكونية الثانية لها منظما لإمكاناتها المادية وظافاتها البشرية مما أدى إلى الخيار اقتصادها وانتشار السوق السوداء والجماعات والأوبئة الفتاكة فيها، وأهم ما ميز الساحة السياسية بها هو ذلك الشاط المسنم والحضور الغربى لمختلف التيارات الوطنية، التى وحدت مطالبها فى بيان الشعب الجزائرى الصادر يوم 10 فيفري 1943م، برعامة السيد فرحات عباس عنى الرغم من تضيق الخناق الذى تعرضت له واعتقال الزعماء والمناضلين الوطنيين وسجنهم.

ولم يكن يجرى الأحداث فى الجزائر يتقبه ما حدث فى بقية البلدان المغاربية، وإنما كان أشبه ما يكون بالعارك الدامية التى دارت رحاها فى جبهات القتال بأوروبا، ولكن ضد شعب أعزل من السلاح...عشرات الآلاف من القتلى والجرحى...عشرات القرى والمدامر هدمت عن بكرة أبيها...انتهاكات واستبداءات أخلاقوة ارتكبت فى حق الأبرياء، جزاء الأمة فى انقاد فرنسا من الخراب المدمر كان جزاء سيجمار، إنما محازر الثامن ماي 1945 م الرهبة، التى وضعت حدا لسياسة أنصاف المحتل وبداية مرحلة جديدة قوامها ما اتخذ بالقوة لا يسترد إلا بمثنها، مراجعات عامة لسياسة الأحرار الوطنية وأسمائها ومناهجها وتطورات حاسمة فى أنظمتها وهياكلها...من مدارس ابتدائية إلى معاهد عيا إلى طحة قوية فى كتابات العلماء وخطابهم العام، من اتحادية لتنظيم الانتخابات إلى حرب وطنى يطالب بجمهورية جزائرية (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائرى) من حزب محصور إلى حزب وطنى (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) من تنظيمين تنظيم شرعى سياسى وتنظيم عسكري مرى إلى جبهة وجيش وطنى.

الأحداث تتطور بسرعة اتجاه الانفجار...لم يعد هناك وقت لتسمع الانظار، كل التنظيمات السياسية والثقافية تنتهى إلى طريق مسدود عنى المستوى المنظور، وبى السرية كان يجرى ما لم يكن فى

(1) حصل كل من المغرب وتونس على استقلالهما فى 02 مارس 1956 وتونس يوم 20 مارس 1956.

الحسبان، تنظيم سياسي جديد اسمه اللجنة الثورية للوحدة والعمل ينطلق بخطوات سريعة، ولكنها خطوات ثابتة ، يعقد بضع اجتماعات متتالية تنتهي في آخرها إلى توقيع العهد وتحديد الموعد، الفاتح من نوفمبر 1954 م، اجتماع الأمة كلها- والأمة لا تجتمع على ضلال تنطلق الشارة الأولى على مساحات شاسعة من الوطن، فاق انفجارها بركان فوجي باما الياباني ، عندئذ يسدل الستار على الفصل الأول من مسرحية طويلة يحكم عقدها الاستعمار وانفت أدوارها الوطنيون.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: تطور الثورة التحريرية الجزائرية ومؤسساتها السياسية والعسكرية

المبحث الأول: اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر

المبحث الثاني: هجومات الشمال الفلسطيني 20 أوت 1955م

المبحث الثالث: مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م

المبحث الرابع: إضراب الثمانية أيام 28 جانفي - 04 فيفري 1957م

المبحث الخامس: مظاهرات ديسمبر 1960م والذهاب إلى المفاوضات

المبحث السادس: الوفد الخارجي و لجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.F.)

المبحث السابع: المجلس الوطني للثورة الجزائرية (C.N.R.A.) والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية

(G.P.R.A.)

الفصل الثاني: تطور الثورة التحريرية الجزائرية ومؤسساتها السياسية والعسكرية:

وحسب الحركة الوطنية الجزائرية سنة 1954م، إلى طريق مسدود بسبب الأزمة التي أوقعها فيها صراع بعض الزعامات السياسية⁽¹⁾، فكان إعلان الثورة هو المخرج الوحيد. وذلك بعد توجه العناصر الثورية إلى تفجير الثورة خاصة مع ملازمة الظروف الدولية والإقليمية وحتى الداخلية. وقد تشكل هذا الاتجاه من مجموعة من الشباب المتحمس المناضل والواعي بخيار الكفاح المسلح، الذين كانوا الثروة الأولى للمنظمة السرية⁽²⁾. والذين كانوا يؤمنون بأن استمرار الأزمة ستنهك الحكم على مستقبل الشعب الجزائري ومصيره لأن العالم كان يتغير بوتيرة سريعة في اتجاه تحرير الشعوب وهضمتها، لذلك فإن الثورة الجزائرية اعتمدت على العمل المسلح أو الخرب كوسيلة وليست هدف. لأن الهدف أسمى وأبلى.

لقد أظهرت الثورة منذ اندلاعها بأنها حركة منظمة وواعية، وليست عملا فوضويا وخربيا وعشوائيا بالنسبة، فأذاعت ياتها الأول، الذي أعلنت فيه للعالم أهدافها ووسائلها الشرعية، كما أذاعت البيان الذي عرفت فيه جيش التحرير الوطني وأهدافه ووسائل كفاحه. وبعد ذلك دعمت نفسها بياكل ومؤسسات فعالة، تضمن لها الاستمرار والنجاح، وأنجزت مهمات عسكرية وسياسية على المستويين الداخلي والخارجي، في غاية من الأهمية والدقة والوضوح.

تعم لقد كانت الحرب مفروضة على الجزائريين، لأن إدارة الاحتلال رفضت اليد الممدودة من قبل قيادة الثوار، التي رفعت شعار التفاوض والحوار والتفاهم بالطرق السلمية منذ البداية، لكن الطرف الآخر لم يكن منحاويا معها، مما أدى إلى إطالة عمر الحرب التي استمرت إلى غاية 19 مارس 1962م.

المبحث الأول: اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر:

تعرفت الثورة بأنها تغيير جوهري مفاجئ في الأوضاع الاجتماعية والسياسية للدولة، يهدف إلى تخرج على النظام المألوف، ولا تخنوا عادة من العنف، وتختلف الثورة في معناها ومضمونها وأهدافها عن الانقلاب، الذي يسعى إلى مجرد قلب لنظام الحكم وإحلال سلطة مثل أخرى، والثورة الحقيقية هي التي تنبعث من الشعب، وتحرر عن ميوله ورغباته، وإن دبرها وقادها أشخاص معينون، وهي أنواع:

ثورة سياسية تنشد الحرية. وثورة اجتماعية تنادي بالمساواة. وقد تهدف أحيانا إلى تحقيق الجانبين معا، وترى أن المساواة السياسية لا بد أن تقوم على أساس من المساواة الاقتصادية، والثورة هي وسيلة ناجحة من

⁽¹⁾ المقصود بذلك أزمة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية صيف 1954م.

⁽²⁾ - ولذا ذكر من بينهم حمزة آيت أحمد وأحمد بن بلة ومصطفى بن بولعيد وشمس بوشياف والعري بن مهدي ودلموس مراد

وزايج - بلفاسم وسعدان بوجعة وغيرهم

⁽³⁾ أحمد مكنون: "الرأي العام الفرنسي والثورة الجزائرية"، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مكنون، فسطاط، تحت إشراف أ.د. عبد الكريم بوصفصاف: 2006.

وسائل التقدم وحسب من حزمة التاريخ التي تحقق الحرية والعدل والمساواة، وصورة من صور التطور الإنساني على الرغم مما يصحبها من عنف، ومن الثورات ما لا مخلص منه ولا سبيل إلى درئها، وإنماهم أن يعالج الحكمة وأن تستمسك بأهدافها إلى النهاية وأصبح شيء فيها أن يطرأ عليها تحول معكوس، فتصبح دكتاتورية وهي تنادي بالحرية أو إقطاعية وهي تعلن المساواة¹.

وكانت أمريكا المنطلق الأول للفكر الثوري الحديث، الذي تجلى وأنتج الثورة الأمريكية سنة 1776م، وكانت الثورة الفرنسية المنطلق الثاني الذي أنتج الثورة الكبرى سنة 1789م. وبعدها ثورات أوروبا سنوات 1830م و 1848م ثم الثورة السوفياتية سنة 1917م، والتي أُنشئت الفكر الثوري الماركسي اللينيني، كإيديولوجية عالمية للشعوب المعادية للإمبريالية الغربية. ولقد مر هذا الفكر الثوري بعدة تطورات، حتى تعددت مدارس وإيديولوجياته وقاداته فاختلفت التعاريف، والمفاهيم.

وقد عرف الفيلسوف الفرنسي بورديو Bordeaux الثورة على النحو الآتي² : "إن الثورة كواقعة، حدث محصور في فترة من الزمن، فهي تدغ اختراع بظلم نفسه تبعاً للتبدلات المتحققة، بعد أن تصل لأهدافها ويستتب الأمن والهدوء. أما الثورة كفكرة فهي قوة لا تنضب ديناميكية في إلهام ملموس وهي مطلب مغروس في قلب الإنسان يحضيه باستمرار على مقارنة التحرر الذي يُعد به فكرة الثورة، كواقعة تاريخي بذكر بسوء، والتي غالباً ما تكون وهمية".

هذا التعريف، يحاول التفريق بين الثورة كحدث أو كواقعة والثورة كفكرة، حيث نفهم أنه من المفروض أن تتجسد الفكرة في شكل واقع وإذا لم يحقق ذلك فهي وهم وسراب.

ويذهب علماء الاجتماع والسياسة في القرن العشرين إلى تعريف الثورة بأنها تغيير مفاجئ وسريع وعنيف، يشمل القانون الرسمي للمجتمع أو الدستور ونظام القيم التي يمثلها، ووضع نظام آخر، ويفرقون بين عدة أنواع من الثورات، فهناك الثورة السياسية التي تُغيّر فيها الطبقة الحاكمة ونظام الحكم، والثورة الاقتصادية التي يغير فيها النظام الاقتصادي بعنف، والثورة الدينية والقومية. أما الثورة التي تحاول أن تغير كل الظلم وكل القيم فسميت بالثورة الكلية.

والثورة إنما هي قضاء على النظام الاجتماعي والسياسي، وإرس القضاء على الجماعة التي تسببه لتحل جماعة أخرى لأن ذلك انقلاب، ولكن ليحل محله نظام اجتماعي وديني وسياسي جديد³.
فالثوريان الأخيران جد متقاربان جدا خاصة في السرعة والفجائية وتغيير الظلم التي كانت سائدة.

1- الدكتور إبراهيم منكور، ونخبة من الأستاذة العرب : معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر : 1975م، ص 206.

2- حنا جاف شوقي، تاريخ الفكر السياسي من الدولة القومية إلى الدولة الأممية، ترجمة محمد عرب صاصيلا، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت: 1991 ص 39.

3- صبر طائفي، في مفهوم الثورة والنقد الثوري، مجلة الأصل، العدد 73/74، سبتمبر / أكتوبر 1979م، ص 45-46.

انطلاقاً من هذه التعاريف كتبها، فإن ما حدث في الجزائر ابتداء من أول نوفمبر 1954م إلى سنة 1962م، هو حرب وثورة وطنية سياسية اجتماعية، بل وحضارية لأنها تستهدف استرجاع الأرض وحرية الإنسان وسيادته على ثروته الوطنية، قامت بها جميع الفئات الاجتماعية في الريف. تم التحدث إلى المدينة من أجل التحرر من الظلم والاستعباد الذي فرضه النظام الإقطاعي والنظام الديزالي المتوحش. وهي ثورة سياسية لأنها تهدف إلى إقامة دولة جديدة في الجزائر بدل الدولة الاستعمارية، وتتميز عنها في القيم الدينية والثقافية والتعبوية، كما حددتها بيان أول نوفمبر "دولة ديمقراطية اجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية".

أولاً: بيان أول نوفمبر 1954م وأهداف الثورة الجزائرية:

يمثل بيان الفاتح من نوفمبر 1954م، أول وثيقة للثورة الجزائرية، وبعد أهم وثيقة من وثائق الجزائر الحديثة فقد حمل روح الثورة الجزائرية وأبعادها الوطنية والعلمية والإنسانية، وكانت له دلالة لا تقل أهمية عن بيان إعلان تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية، وقد يفوقه في القوة والدلالة¹.

فيمكن للدارس أن يقسم محتواه إلى الأفكار التالية:

أسباب ودوافع إعلان الثورة:

ويحددها في النقاط الآتية²:

- إدراك الحركة الوطنية للهدف الأخير من مسيرتها النضالية.
- اتحاد الشعب حول قضية الحرية والاستقلال.
- تعليق الأمل على انفراج الوضع الدولي، وملاءمته لحل المشاكل الإقليمية، كالمقضية الجزائرية.
- السند الدبلوماسي، وخاصة من طرف الإخوة العرب والمسلمين الذين لن ييحبوا لدعم انكفاج الجزائري.
- فشل الحركة الوطنية بسبب الصراعات الشخصية بين القيادات القديمة والقيادات الشابة.
- تصميم نخبة من المناضلين الواعين على إحراج الحركة الوطنية من مأزق صراع الأشخاص، ودفعها نحو العمل الثوري على غرار المغاربة والتونسيين.
- رفض الاستعمار إعطاء الشعب الجزائري أدنى حرية بالوسائل السلمية.

ثانياً/ برنامج جبهة التحرير الوطني:

بعد عرض أسباب الانتقال إلى العمل الثوري يعرض البيان اسم الحركة التي ستقود المعركة الحقيقية وهو جبهة التحرير الوطني، هذه الجبهة التي ستكون مفتوحة لجميع الوطنيين الجزائريين من جميع الطبقات

¹ - يحيى بو عزيز، *ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين*، ج 2 طبع منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ص 22.

² - بيان أول نوفمبر 1954م.

الاجتماعية وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية لتنظيم إلى الكفاح التحرري دون أدنى اعتبار آخر¹، ثم ينتقل أصحاب البيان إلى عرض البرنامج السياسي لهذه الجهة حيث جاء فيه² :

الهدف : الاستقلال الوطني بواسطة:

1. إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية.

2. احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

الأهداف الداخلية :

1. التطهير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي، والقضاء على جميع مخلفات الفساد وروح الإصلاح التي كانت عاملا هاما في خلفنا الحالي.

2. تجميع وتنظيم جميع الطاقات السلمية لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري.

الأهداف الخارجية :

- تدويل القضية الجزائرية.

تحقيق وحدة شمال أفريقيا في إطارها الطبيعي العربي والإسلامي. ومعنى ذلك توحيد بلدان المغرب الكبير، لأن بلدان شمال إفريقيا يضم ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا، وهو هدف قديم لدى المناضلين الجزائريين ضلوا يتمسكون به حتى قيام ثورة الفتح من نوفمبر 1954م، ولم يتخلوا عنه بل فقد حاولوا تحصيله سياسيا وعسكريا للكفاح ضد الاحتلال الأجنبي .

- في إطار ميثاق الأمم المتحدة تؤكد عطفنا الفعال تجاه جميع الأمم التي نساند قضيتها التحريرية. وبعد عرض الأهداف يعرض البيان وسائل الكفاح حيث يقر بأن الكفاح سيكون بجميع الوسائل حين تحقيق الهدف^(*).

1 - بيان أول نوفمبر، مرجع سابق.

2 - المرجع نفسه.

(*) - شروط التفاوض مع السلطات الفرنسية:

تضمن المدن شروطا وتعهدات لصالح نفوس مع السلطات الفرنسية تحيا لإزالة السماء وروحية في تحقيق السلم إن اعترفت هذه السلطة الاممية بخلق الشعوب التي تسعمرها في تقييد مصيرها بنفسها. وهذه الشروط والتعهدات هي:

1/ الاعتراف بالحسنة الجزائرية بطريقه علمية وروحية. ملغية بذلك كل الأفكار والقرارات والقوانين التي تبطل من اجراء اثرها. فريسة رغبت التاريخ والجغرافيا والثقافة والدين والعادات الشعب الجزائري. 2/ فتح مفاوضات مع المسئولين المفوضين من طرف الشعب الجزائري على أساس الاعتراف بالسيادة الجزائرية ووحدة لا تتجزأ. 3/ خلق جو من الثقة وذلك بإطلاق سراح جميع المعتقلين ورفع كل الإجراءات الخاصة بإيقاف كل مطاردة ضد الأفراد، المجموعات في الموضع.

- فون جميع مصالح الفرنسية، كانت أو اقتصادية، ولنحصل عليها بصفة سلمية وكما أن الأمر بالنسبة للأشخاص والعائلات. - جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية، ويعتبرون بذلك كأصحاب لجوء ثانويين. - لا يجوز اختيار الجنسية الجزائرية في هذه الحالة يعتبرون كجزائريين لا لهم من حقوق وما عليهم من واجبات. - تحديد الروابط بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع اتفاق بين الطرفين اللذين على أساس المساواة والاحترام المتبادل.

وبهذا وضع البيان وثيقة مشرفة للتفاوض مع فرنسا، إن أرادت الاعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير المصير.

ثالثا/ دعوة الشعب إلى الانضمام لجهة التحرير الوطني:

وفي هذا الجزء الأخير توجه أعضاء لجنة الستة بنداء إلى الشعب الجزائري بدعوته فيه للانضمام لمسعى الكفاح الوطني⁽¹¹⁾.

وبهذا قررت هذه الطليعة الثورية الخروج من عقم النضال السياسي والدخول مباشرة في المقاومة المسلحة كحل وحيد لتخلص من الاستعمار.

فقد كانت الثورات دائما من صنع الطلائع، التي تمهد وتقرر ثم تختلط وتجر الجماهير بالتدرج إلى أن تنفج بالنفورة، عندها يكون الشيء والاحتضان اللذان لا بد منهما لتحقيق النصر، وهذا ما كانت عليه الثورة الجزائرية، حيث أثار بيان أول نوفمبر الطريق للمناضلين والجماهير الشعبية لاحتضان الثورة، ذلك أن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة.

فقرر هؤلاء المناضلون الوطنيون الواعون، التوجه نحو تفجير الكفاح الثوري المسلح خاصة وأن الظروف الدولية والإقليمية كانت ملائمة للقيام بذلك.

وصفوة القول أن النخبة الوطنية التي أدركت عقم النضال السياسي لاسترجاع الاستقلال الوطني، قد وضعت لذلك الاختيار كل التنظيمات والتهيئات اللازمة لإنجاح الكفاح المسلح، بوضع القواعد والأسس الشعبية المتينة، قبل اللجوء إلى إعلان الحرب، ولذلك نجحت الثورة على الرغم من قلة إمكاناتها المادية والخبرات العسكرية في الميدان.

المبحث الثاني : هجومات الشمال القسطنطيني 20 أوت 1955م:

ظهرت في صيف 1955م، معالم سياسة الثورة الجديدة للثورة الجزائرية، بعد اتصالات تمت بين عدد من قادة الولايات (الثانية والثالثة والخامسة)، وبعد تلقي قائد الولاية الثانية زيغود يوسف، رسالة من قائد الولاية الأولى الذي نولى قيادة الثورة في الأوراس، بعد إلقاء القبض على قائدهما الأصلي مصطفى بن بواعيد، يطلب فيها من زيغود يوسف أن يقوم بعمل ما "لتخفيف الضغط الاستعماري المفروض" على الأوراس منذ اندلاع الثورة، وهكذا وجد قائد الولاية الثانية نفسه مضطرا إلى القيام بمبادرات وعدم انتظار الكثير من قادة الثورة الأحرار وشرع في التنسيق مع قادة الداخل، وقام بتنظيم عمليات 20 أوت 1955م، وذلك بقصد تخفيف الضغط على الأوراس والقيام بعمليات جماعية وجماهيرية، أي بمشاركة

⁽¹¹⁾ "ما جاء فيه" إننا ندعوك لبلارة هذه الوثيقة، وواجبك هو أن تضم إليها لائقه بلادك، وأنعمل ما في أن استرجع له حريته، إن جبهة التحرير الوطني هي جهنم وانتصارها هو انتصارك".

الشعب الذي ينبغي أن يحرر نفسه بنفسه، وقد تقرر أن تكون العمليات في منتصف النهار، وكان التقيد من ذلك المجاهرة بالثورة وقطع كل الاتصالات مع الاستعمار¹.

وبفضل هذه العمليات تمكن الثوار في داخل الجزائر من القضاء على إستراتيجية الجيش الفرنسي التي كانت تقوم على أساس "أن التمرد يجب أن يدفن في مهده". كما أن نجاح الثورة في تنفيذ أحكام الإعدام في صفوف بعض الأوروبيين، حسب المصادر الرسمية الفرنسية، قد خلق الرعب والهنع في نفوس الأوروبيين بالجزائر، وشجع الجزائريين على الانضمام إلى جيش التحرير الوطني الجزائري².

لقد برهنت هذه المحرمات على مدى قدرة الثورة على الصمود والرد على السياسة الاستعمارية ودقة جيش التحرير الوطني في ضرب أهداف محددة، بحيث كانت هذه العمليات مكررة ومنسقة على عدة مدن وقرى ونقاط عسكرية بلغ عددها تسعة وثلاثين هجوما مثل: سكيكدة وقسنطينة والحروب وعين عبيد والعل وميلة وجيجل والميلية، وغيرها من قرى ومدن الولاية الثانية. وتمكنت الثورة من تحقيق انتصار سياسي حارحي تمثل في إدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها العاشرة سنة 1955م، كما أكدت المحرمات أن هذه الثورة منظمة ولها أهداف محددة. حيث أكدت الاستعمار خسائر فادحة في الأرواح والأموال والعتاد في وضع النهار، وأنها مقاومة شرعية وأبست عصيانا مدنيا أو تمردا أو خروجا عن القانون حسب الادعاءات الفرنسية السابقة.

وكان من نتائج هجوم 20 أوت 1955م، قيام فرنسا باعتقال وإعدام المئات بل الآلاف من الجزائريين الأبرياء، حيث أعدم 1300 جزائري، وبؤكد مراسل "نيويورك تايمز" بأن الأوروبيين بعدما فقدوا واحدا وسبعين شخصا في حوادث 20 أوت 1955م، نظموا أنفسهم في منيشيات وقاموا بقتل جماعي ضد المسلمين، حيث تجاهل الفرنسيون كل الاتفاقيات المزمرة حول التعامل مع الأسرى والمساكين في الحرب خاصة اتفاقية جنيف التي وقعتها فرنسا، بل تمت الإعدامات بالجملة وبدون محاكمة³، وأكثر من ذلك شملت مواطنين أبرياء ومسافرين جاؤوا من فرنسا صبيحة المحرمات إلى ميناء سكيكدة متوجهين إلى عائلاتهم بشرق الجزائر.

واستطاعت هذه المحرمات القضاء على ما تبقى من التعايش بين المجموعتين الأوروبية والجزائرية المسلمة، وسقطت فكرة "الاندماج التام" التي كان جاك سوستيل أيامها يدعو إليها إلى جانب ذلك فقد تفككت صفوف جماعة الواحد وستون داخل المجلس الجزائري، إذ انسحب أغلبهم وأصدروا بيانا بعد شهر فقط يرفضون فيه الاندماج.

1- أحمد منور، "الرأي العام الفرنسي والثورة الجزائرية"، مرجع سابق.

2- بوحوش صابر: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ونهاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، ط1 بيروت: 1997، ص 388.

3- صالح فرحون، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، دار العلوم للنشر والتوزيع، غطاية، الجزائر: 2002، ص 263.

ونتيجة لتلك الأحداث، تراجعت الحكومة الفرنسية عن إجراء الانتخابات التشريعية التي كانت مقررة في الثاني من شهر كانون الثاني-جانفي 1956م، كما تراجعت عن سعيها لإنجاد مفاوضات جزائري يسير في نفس اتجاهها. فمن لا يزال يؤمن بفضل الثورة وهذا بعدما وضعت أحداث 20 أوت 1955م حدا حاسما لمسألتي التأييد أو المعارضة للثورة، وذلك عن طريق الالتحاق بأحد طرفي الصراع، إما جهة التحرير أو السلطات الفرنسية، ولا مجال لمنطق الحياد بالنسبة للشعب الجزائري¹.

ونتيجة لما حصل يوم 20 أوت 1955م، لم يبق من تفاؤل المحاكم العام سوستيل شيء يذكر بعد انتفاضة منطقة الشمال القسنطيني الواسعة². وهذا بعدما حققت هذه الأحداث عدة نتائج مهمة بالنسبة لثورة الجزائرية، منها: الكشف عن حقيقة السياسة الفرنسية الرامية إلى إبادة الشعب الجزائري، وكذلك فقد ازداد التحام القاعدة الشعبية والثقافة حول جبهة التحرير الوطني بكيفية أوسع وأقوى، وانغلت لثورة دفعة جديدة، مكنتها من الانتقال إلى المرحلة الشعبية الحقيقية، مما فرض على أعوان الإدارة الاستعمارية تعديل موقفهم بعد أن عرفوا أن الثورة مستمرة ولا يمكن القضاء عليها، لأن الشعب برمت حوضها، وأظهروا بعدها رفضهم لتجديد النداءات المعارضة للثورة، إلى جانب تمكنها من فك الحصار على الأوراس لانتقال قوات كبيرة إلى منطقة الشمال القسنطيني، فإها أشعرت العالم أن ما يجري في الجزائر هو ثورة حقيقية، وبرهنت بالتالي أن ما يحدث في الجزائر ثورة ورائها كل الشعب الجزائري، وهذا ما أكسب القضية الجزائرية دعما جديدا وانتصارا هاما على الدبلوماسية الفرنسية، التي فشلت في تخادعة الرأي العام العالمي، بتصويرها بأن ما يجري في الجزائر عبارة عن أعمال إرهابية يقوم بها أشخاص خارجين عن القانون، وبداية تراجع المواقف المؤيدة لسياستها³.

تفد عملت أحداث 20 أوت 1955م، على دفع المسيرة الثورية إلى الأمام، وبعث روح الأمل من جديد في صفوف المجاهدين والشعب معا، ولم تنق الثورة محصورة في مناطق الأحداث فحسب، بل اتسعت الهجومات لتشمل مناطق شتى من التراب الوطني، ففي المنطقة الخامسة (وهران)، بدأت العمليات المسلحة بما بعد وصول السلاح الذي كانت نفتقر إليه فأحدثت تلك العمليات التي وقعت بالتواحي الواقعة بين ندرومة والغزوات وتلمسان وناحية مغنية، مفاجأة للمستعمر، لأنها المنطقة الوحيدة التي بقيت حتى تلك الفترة توصف بأنها "هادئة تماما" في تقارير الاستعمار الفرنسي.

¹ - علي كافي، يوم 20 أوت 1955م أسبابه ونتائجه، انظر، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة، السنة الأولى، العدد الثالث، 1955، السلطة الجزائرية للعمليات، الجزائر، ص 21.

² - حربي حمد، الثورة الجزائرية سنوات المكافحة، ترجمة نجيب حيرة، وصالح العلوي، المؤسسة الوطنية للثقافة، الدار البيضاء، الجزائر، 1994م، ص 17.

³ - ازغندي محمد حسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 100.

أما الإدارة الفرنسية، فقد أصبحت بخيبة أمل، وأثرت تلك العمليّات على معنويات القوات الفرنسية نفسها، حيث أصبح أفرادها يرون في جيش التحرير الوطني الفرع الأكبر، والخطر الدائم على حياتهم، وانتشرت بينهم روح التمرد والعصيان ضد الحرب في الجزائر.

وبما زاد في تعزيز صفوف الثورة، انضمام التشكيلات السياسية الوطنية إلى صفوفها كأفراد وهذا بعدما أعلنت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم السابع من شهر جانفي 1956م، بضرورة الاعتراف باستقلال الجزائر وإعادة السيادة الشرعية الوطنية للشعب الجزائري، وأعلن مراحات عباس بأنه وحرية يؤكدان بصورة واضحة عزمهما على مساندة القضية التي تدافع عنها جبهة التحرير الوطني¹.

كان رد فعل الحاكم العام جاك سوستيل، الاعتماد على مبدأ المسؤولية الجماعية وأسفر ذلك عن مقتل 12000 نسمة، بحيث تعرضت كل شرائح المجتمع الجزائري لهذه الحملة ولم ينج منها حتى حلفاء الاستعمار أنفسهم، وهكذا دخلت الجزائر كنهها في الحرب².

وأمام هذا القمع الوحشي الذي عجز الزعماء المعتدلون عن درأه، مما أفقدهم ثقة الرأي العام وأدرك حينها ممثلو الطبقات الوسطى أنهم كانوا يعيشون في الوهم وخارج الواقع، فانضموا إلى جبهة التحرير الوطني مقدمين لها ضد فرنسا وضد الحركة المصالية إشارات مؤهنة وعشكة³ لكن في المقابل أصبح الفرنسيون يتفنون في تعذيب الشعب الجزائري، بل تمكنوا من تجاوز درجة التنازير في التعذيب، وهذا ما عرّف الضباط الفرنسيين ولم يكتفوا بذلك، حيث أعلنوا سياسة الأرض المحروقة، عن طريق هدم القرى، وكان لهذا الأسلوب الوحشي للقادة العسكريين الفرنسيين، تأثيره على الشعب الجزائري، بحيث تعمق لديه الإيمان بختمة التخلص من وحشة المستعمر، وذلك بمواصلة الكفاح المسلح⁴.

المبحث الثالث: مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م:

أولاً- ظروف انعقاده:

بعد مؤتمر الصومام أهم اجتماع وطني لقادة الثورة خلال مرحلة الكفاح المسلح، فقد أسس لعملية تنظيم الثورة، ووضع هياكلها وأجهزتها السياسية والعسكرية، كما تبلورت خلاله إستراتيجية توحيد جميع الجزائريين لمواجهة الاستعمار والانتصار عليه، وهي الإستراتيجية المستمدة من بيان أول نوفمبر، الذي أكد أن جبهة التحرير الوطني تتبج الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية، وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية أن تنضم إلى الكفاح التحرري دون أدنى اعتبار آخر.

¹ - المراجع السابق، ص 101.

² - حربي محمد، مرجع سابق، ص 148.

³ - نفس المرجع، ص 150.

⁴ - أبو عبيدي محمد لحسن، مرجع سابق، ص 103.

وعن تحديد عي ظروف انعقاد المؤتمر، يعني تقييم مسيرة سنتين مرت خلالها الثورة بعدة تطورات كانت أهمها:

انتشار الثورة وتبدد مخاوف الكثيرين ممن اعتقدوا أنها ستتتهي، وسقوط مزاعم المستعمر الذي رآهن عسى وأدها في أسابيع، وهكذا انضمت جميع تيارات الحركة الوطنية إليها .

نجاح محومات 20 أوت 1955م، التي أفضت الجماهير الشعبية في الثورة، وإنزال الثورة بذلك من الجبال والأرياف إلى المدن.

إتشاء المنظمات الجماهيرية لتأطير الفئات الشعبية وضمان الوفاء للثورة، حيث تكون التعبئة ضمن أطرها وهياكلها، فتمت هيكلة العمال في الـ إ.ع.ع.ج. UGTA في 24 فيفري 1956م والتجار في شهر مارس وإضراب الطلبة في 19 ماي .

ثانيا- نتائج المؤتمر:

بعد تلاوة تقارير المناطق، درس المؤتمر مختلف القضايا المعروضة عليه، وناقشها ثم خرج بحملة من القرارات المهمة، والتي تناولت مختلف الجوانب التنظيمية والعسكرية والسياسية وهي:

1/ **التظيم الإقليمي:** قرر المؤتمر تقسيم البلاد إلى ست ولايات⁽¹⁾، واستبدلوا لفظ المنطقة بلفظ الولاية. وتقسيم الولاية إلى مناطق، والمناطق إلى نواحي والناحية إلى قسما¹.

وأما مراكز القيادة فمخضع لبدأ الإدارة الجماعية، وتتكون من القائد برتبة صاغ أول(عفيد) وله صفتان عسكرية وسياسية، وهو يمثل السلطة المركزية بجهة التحرير الوطني، ويحيط به ثلاثة نواب من الضباط يعنون بالفروع الآتية: الفرع العسكري، الفرع السياسي، وفرع الاستعلامات والاتصال، وتوجد مراكز قيادة لكل من الولاية والمنطقة والناحية والقسم².

2/ **القرارات العسكرية:** تناولت التوحيد العسكري والرتب العسكرية والرتب، والمنح العائلية

3/ **القرارات السياسية:** خرج المؤتمر بحملة من القرارات أهمها:

أ/ تأسيس المجلس الوطني للثورة

ب/ لجنة التنسيق والتنفيذ.

ج/ المحافظون السياسيون .

د/ المجالس الشعبية المنتخبة

(1) - الولايات الستة هي: الأولى: الأوراس المنخفضة، الثانية: الشمال القسنطيني، الثالثة: القبائل، الرابعة: الجزائر، الخامسة: وهران، السادسة: الصحراء.

¹ - الزمخري محمد أمين: المرجع السابق، ص 124.

² - المرجع نفسه، ص 124.

هـ/ تحييد العلاقة بين الداخل والخارج و إعطاء الأولوية للداخل على الخارج مع مراعاة مبدأ التشارك في الإدارة.

و/ العلاقة بين الحبهة والجيش، إعطاء الأولوية للسياسي على العسكري.

ز/ تشكيل محاكم لحاكمة المدنيين والعسكريين على حد سواء، وإعطاء الحق للمتهمين في اختيار من يدافعون عنهم¹.

والحق أن مؤتمر الصومام قد كرّس بن وعظم مبدأ القيادة الجماعية، على المستويين الداخلي والخارجي، ووضع مؤسسات قوية لنورة، وهي: المجلس الوطني للثورة ولجنة التنسيق والتنفيذ، ولجان أخرى اقتصادية واجتماعية وإعلامية وثقافية... الخ.

كما خرج المؤتمر أيضا بوضع ميثاق تضمن القضايا الوطنية إبان الثورة وبعد استرجاع الاستقلال الوطني، لاسيما فيما يتصل بالمنهج السياسي والاقتصادية والثقافي، وشكل عصارة الفكر السياسي لقادة الثورة الجزائرية، التي نعت في تحويل جبهة التحرير الوطني إلى منظمة وطنية حقيقية وحيدة، حققت تفوقها على سائر الأحزاب السياسية.

هذا على الرغم من أن البعض يرى في القرارات اعترافا عن مبادئ أول نوفمبر عندما تليق البعد الإسلامي والاقتراب من الاتحاد اللاتكني².

وحملة القول أن مؤتمر الصومام كان أكثر المخططات المضيفة في مسار الثورة التحريرية الجزائرية، لأنه زودها بأنظمة وقوانين حديثة تتلاءم مع مسيرة الكفاح الوطني، بل فقد كانت أكثر بعد في الزمان والمستقبل.

المبحث الرابع : إضراب الثمانية أيام 28 جانفي-04 فيفري 1957م:

بعد إضراب الثمانية أيام الذي عرفته الجزائر عام 1957م، من بين الأحداث البارزة التي مرت على الثورة الجزائرية في مواجهة الاستعمار الفرنسي، وذلك لأن هذه العملية التضاللية تعد امتدادا لعمليات الكفاح التي قامت بها بعض المناطق كهجومات 20 أوت 1955م في الشمال القسنطيني، وهي عمليات منطقة وهران في أول نوفمبر عام 1955م، وتكمن أهميته في امتداده إلى فرنسا، حيث كانت الجالية الجزائرية المهاجرة على موعد معه بتأطير من فدراية جبهة التحرير.

لذا يكمن التساؤل عن الأسباب الكامنة وراء اتخاذ قرار الإضراب لثمانية أيام من طرف أول لجنة تنسيق وتنفيذ للثورة (أوت 1956م-أوت 1957م)، والتي كان مقرها الجزائر العاصمة، ترى ما هي وقائع هذا

¹ - أحمد أوزاني المدني، المصدر السابق، ص 244-246.

² - مصطفى هشماوي: جنور نوفمبر 1954 في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، ص 127.

الإضراب وتناحجه¹.

لقد نظم هذا الإضراب لمدة 28 جانفي إلى 04 فيفري 1957م، بمناسبة انعقاد الدورة الاستثنائية للجنة الأمم المتحدة، بهدف إبراز انضمام كل الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني، وهذا بعدما سبقته فترة تحضيرية لهذا الإضراب، حيث عقدت قيادة الثورة اجتماعات مكثفة، ولكن تفهم حقيقة هذا الحدث ينبغي أن ننصبه في إطاره التاريخي من عدة نواحي:

الثورة الجزائرية، السياسة الفرنسية، والمستوى الدولي، لمعرفة كيفية اتخاذ قرار الإضراب. فالنسبة لجبهة التحرير الوطني، حاولت تجاوز التحديات التي واجهتها عام 1956م، على الرغم من السعة التي حظيت بها هذه الجبهة لمكافحة من أحل قضية عادلة، إلا أنها لم تكن تسيطر كلية على الوطن حسب شهادة بن يوسف بن خدة⁽²⁾ حيث وجدت جبهة التحرير نفسها في مواجهة الحركة المصالية في اصطدامات عنيفة، كانت خاصة بالعاصمة وفي منطقة القبائل ومنطقة الخضنة وتحديدًا ما بين الخنفرة وبوسعادة وقصر البخاري، وأمدد هذا الصراع الدامي نحو فرنسا، حيث كانت الجبهة تبذل ضعيفة أمام سيطرة الحركة المصالية على المهجر، بسبب دعايتها الزائفة والتي أدعت بأن ما يحدث في الجزائر من عمليات عسكرية في الجبال والعمليات الفدائية في المدن التي كان يقوم بها جيش التحرير، هي من صنعها. وهذا ما يفسر عدم تبعية معظم الجزائريين في تلك الفترة لجبهة التحرير الوطني، والتي تحاول تغيير هذه الموازين لمصنعيها، وفي الوقت نفسه كان عليها أن ترد على شعارات جاك سوستيل بأن الجزائر جزء من فرنسا، والذي لم يكن يعترف حتى بالاستقلال الداخلي لجزائر، وكانت سياسته مبنية على التفرقة، وزيادة عدد قوات الجيش الفرنسي، واستخدام القمع والتشديد، وهذا نتيجة استجابة السلطات الفرنسية وعلى رأسها الحكومة اليسارية لرغبة المتطرفين من المعمرين³.

لذلك عملت لجنة التنسيق والتنفيذ على عقد أول اجتماع بعد شهر من تعيينها في مؤتمر الصومام. لدراسة الوضع في الداخل الوطني والدولي، وبدأت جبهة التحرير تعمل على إظهار ثبوتيتها وزعامتها لمختلف الوطني، فاستغلت حمة أحداث طرأت على الوضع الدولي قبل اتخاذها قرار الإضراب، وتشمل هذه الأحداث:

- تحويل طائرة أعضاء اللجنة السياسية الخارجية الخمسة وما ترتب عن هذه العملية من ردود الفعل في الجاهل الوطني والدولي.

1- بن يوسف بن خدة: شهادات ومواقف: دار النعمان للطباعة والنشر الجزائر: 2004، ص 109.
2- بن يوسف بن خدة من مواليد الترواقية بالمدينة 23 فيفري 1920، تال البكولوجيا، ثم تحصل على شهادة الصيدلة من جامعة الجزائر، انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري عام 1942م، تعرض للسجن لفترة ثمانية أشهر. بعدها انتخب عضوا في اللجنة المركزية للحزب، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، ثم أصبح أمينًا عامًا بين سنتي 1951-1954، سجن بين نوفمبر 1954م -عني 1955م، ربح التنازل بالثورة، عين في مؤتمر الصومام، عضوا في لجنة التنسيق والتنفيذ، غادر العاصمة بعد مقتل العربي بن مهيدي إلى الخارج، حيث تولى مهمة مهامها منها رئاسة الحكومة المؤقتة للثورة لوقت 19-1961 مارس 1962م، توفي في 04 فيفري 2003.
3- بن يوسف بن خدة، مصدر سابق، ص 110-111.

- العدوان الثلاثي البريطاني الفرنسي الإسرائيلي على مصر الشقيقة في 29 أكتوبر 1956م حيث شاركت فرنسا فيه للانتقام من مصر، التي كانت تحتضن الثوار بأراضيها معقدة بأنها هي التي تسيّر الثورة وتساعدنا.

تبني الكتلة " العربية " الأسبوية" للقضية الجزائرية وعزمها على عرض القضية على جامعة الأمم المتحدة . وهذا اتخذ قرار الإضراب، والذي جاء بعد دراسة واقعية من طرف أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ وبالإجماع. وتمهيدا لذلك تم إرسال التعليمات اللازمة واخذة لكل المسؤولين لمساعدة هذا العمل ونداعيمه، حيث أرسلت التعليمات إلى رفاقهم في تونس والمغرب، واتحادية فرنسا والوفد الخارجي بالقاهرة¹ . لقد أصدرت جهة التحرير الوطني نداء إلى الشعب الجزائري تدعوه فيه إلى الإضراب لمدة أسبوع أي من يوم الاثنين 28 جانفي إلى 04 فيفري 1957م، والذي استهدف التذليل على أن جهة التحرير الوطني هي المعبّر الشرعي عن إرادة الشعب الجزائري بأكمله، والسيادة هي إرادة الشعب بأكمله.

وجاء في البيان الذي وزع في شكل منشورات: "أيها الشعب المجاهد، أيها المواطنين من تجار وعمال وموظفين وفلاحين، وخمريين، إنكم مستعدون لأسبوع الإضراب العظيم، أسبوع الكفاح السلمي للأمة ... واصبروا للصحة والبطش، وأنواع العذاب الذي يسطه عليكم العدو... شدد أزركم وتأخذ بأيديكم إلى النصر، على الاستقلال"² .

وقد استجابت كل الشرائح الاجتماعية الجزائرية لتعليمات جهة التحرير، وشمل الإضراب كل التراب الوطني وأخارج أيضا، حيث تواجد الجالية المهاجرة في فرنسا، وحيث الجزائريون في تونس والمغرب امتدحوا للإضراب، وبلغت نسبة الإضراب 90 في المائة، سواء في الإدارة أو المصالح العمومية الرسمية مثل البريد والسكك الحديدية ومختلف أنواع المواصلات، أو في الأسواق العامة، وتحت مظاهر الإضراب في غلق الدكاكين، ومقاطعة الشراء، وهذا من أجل أن يكون لهذه العملية الصدى الواسع، وحق يتمكن مسؤولو الثورة في الخارج من استغلال تلك الأحداث وتلويح الرأي العام الخارجي بالقضية الجزائرية وبعدائها.

أما في داخل الجزائر فقد تم توزيع منشور الإضراب على نطاق واسع، وهي موجهة أساسا إلى الجماهير الشعبية بهدف توضيح أهداف الإضراب والغاية منه، مما سهل من عملية تنفيذه في الوقت المحدد وشمل معظم أرجاء الجزائر.

ونظرا لتسوية الإضراب هيأ الجيش الفرنسي كل الوسائل الجسمية، وازدادت عمليات القمع الشاملة ضد آلاف المواطنين الذين ألقى القبض عليهم وتم استنطاقهم بأشنع وسائل التعذيب.

¹ - بن يوسف بن حدة، مصدر سبق، ص 120.

² - نقلا عن مجلة الرواية، إضراب الثمانية أيام 28-4 فيفري، 1957، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، العدد الأول، جانفي-فيفري، 1996، ص 81.

وفي الأيام التالية لهذا الإضراب، حمل العمال قهرا إلى مقر أعمالهم، كما أباح الجنود الفرنسيون لأنفسهم سحب أرزاق الجزائريين، وحاصرت الأحياء العربية في المدن الكبرى بالأسلاك الشائكة لتسهيل عمليات التسييط.

وإذا كان التجار المسلمون قد أخبروا فإن زبائنهم أيضا قد أضربوا عن الشراء بدورهم، وتبدوا الأبواب المكسرة من طرف الجيش الفرنسي ومن ورائها منظر المقاهي الشعبية الخالية من روادها، واستمرت بعد 30 جازمي عمليات المناجزة وظل عدد المضربين مرتفعا على الرغم من الإجراءات المتخذة ضدهم واضطراب البعض القليل من العمال إلى الالتحاق بمكثمين بأعمالهم، واستمرت جهود السلطات الفرنسية لإرغام العمال والموظفين على استئناف عملهم على الرغم من ذلك ظلت مقاومتهم مرتفعة¹. ومن النتائج الأساسية التي استحصت من الإضراب: التفاف الشعب الجزائري حول جبهة التحرير الوطني واستقاط الجزائر الفرنسية، بالإضافة إلى تعزيز مكانة الجبهة داخليا وخارجيا، وتزايد الشعور بالخوف لدى الكولونيون على الرغم من وجود الجيش الفرنسي بكثافة.

لقد وجدت جماهير المدن نفسها مرة أخرى في خضم المعركة بعد التجربة الأولى أثناء عشرين أوت 1955م، حيث تأكدت هذه الجماهير من أن هذه الحرب أصبحت مفروضة على الشعب الجزائري، فاستجاب أغلبيتها لأوامر جبهة التحرير الوطني، وهذا تأكيدا على أنها المفاوض السريعي والوحيد.

لقد كان هذا الإضراب تجربة أخرى لجبهة التحرير الوطني لإثبات تواجدتها بالجزائر، وتحقيق أهدافها الميدانية في مواجهة السياسة الاستعمارية وضغوطاتها المختلفة، ونتيجة هذه التطورات الناجمة عن الإضراب، توند في أوساط الفرنسيين شعور حاد بالخوف الممزوج بالرعب بعد أن شاهدوا الشعب الجزائري مضطرا ومفلا لأوامر جبهة التحرير الوطني التي قررت هذا الإضراب العام، وفهم هؤلاء الفرنسيون الذين قروا من الأرياف ولجأوا إلى المدن بعد أن سيطر عليهم الشعور بالخوف وقلة الأمن، واضطراب الاستقرار على الرغم من وجود القوات المسلحة الفرنسية بجانبهم، فإن أمنهم لم يعد أمرا مضمونا. وقد تطور هذا الشعور بتطور الحرب، كما يمكن إدراك القوة السحيقة التي صادت تفصل بين الجزائريين والفرنسيين، والتي وأكب نموها تطور الحرب واشتداد عمليات القمع والإرهاب².

¹ ابن زرو، ابن خلد، مصدر سابق، ص 122.

² أحمد ميعور: "الرأي العام الفرنسي والثورة الجزائرية"، مرجع سابق.

وبهذا دخلت الجمهورية الفرنسية الرابعة في مرحلة الاحتضار، لأن القادة العسكريين الذين برزوا في معركة الجزائر العاصمة وأثناء سواجحة إضراب الثمانية أيام، هم الذين قاموا بانقلاب 13 ماي 1958م، وأقروا بالجنرال شارل ديغول للحكم¹.

وبخلاصة القول أن إضراب الثمانية أيام الذي استمر من نهاية شهر يناير - جانفي 1957م إلى أربعة فبراير فيفري 1957م، قد شكل حجر الزاوية في النهضة على التفاف الشعب حول قيادته الثورية، على الرغم من سوء العذاب الذي سيطر على العمال والتجار والحرفيين الذين امتنعوا عن العمل في ذلك الإضراب الكبير.

البحث الخامس : مظاهرات ديسمبر 1960م والذهاب إلى المفاوضات :

عمل شارل ديغول على ضمان نجاح مشروعه الجديد، الذي أعنته في شهر نوفمبر 1960م، وشعاره "الجزائر جزائرية"، والذي أكدته في تصريح مما جاء فيه: "لما كنت قد توليت الرئاسة الأولى في فرنسا، فقد قررت باسمها اتباع الطريق الذي لا يؤدي إلى الجزائر التي تحكمها فرنسا، وإنما إلى الجزائر الجزائرية، ويعني ذلك أن الجزائر ستصبح مستقلة وتتمتع إذا شاءت -وهذا هو الواقع- بحكومتها، ومؤسساتها وقوانينها"².

وحاول ديغول الترويج لمشروعه عن طريق الدعاية الواسعة له من جهة، وزيارة الجزائر بنفسه بتاريخ 9 ديسمبر 1960م من جهة أخرى³. تعد هذه الزيارة الخامسة من نوعها، حيث قرر ديغول القيام بجولة تفقدية جديدة تدوم ما بين خمسة أيام إلى ستة أيام، وتشمل زيارة المدن التالية: عين شوشة، تلمسان، الشلف (Orléans ville)، تيزي وزو، بجاية، سكيكدة (Philippe ville)، وبسكرة. وقدف إلى معاناة حذيفة ما يجري في الجزائر عن طريق إجراء العديد من اللقاءات الشخصية تجمع الجنرال ديغول بمختلف الضباط العسكريين وأعضاء المصالح والإدارات الفرنسية، والعديد من الشخصيات الجزائرية المنتخبة في المجالس الاستشارية الفرنسية لتحضير الاستفتاء الذي تقرر إجراءه في 8 جانفي 1961م. فكانت هذه الزيارة سببا في اندلاع مظاهرات المعمرين، حيث وعمرد الإعلان عن تاريخ الزيارة، قامت جبهة الجزائر الفرنسية، التي أصبحت تتمتع بثور واسع وسط المعمرين، بإصدار بيان إلى المعمرين بتاريخ 8 ديسمبر 1960م⁴ ومما جاء في هذا البيان: "يطلب من العمال والفلاحين والحرفيين والموظفين وأرباب العمل، ومن النساء والشيوخ والأطفال الخروج إلى الشارع للتأكيد على مبدأ الجزائر الفرنسية"، ثم ختم البيان قائلا: "لقد حان الوقت لإبراز تصميمنا القوي على أن نبقي فرنسيين فعلا سيكون قد فات الأوان".

¹ بن يوسف بن خدة، مصدر سابق، ص 128.

² - شارل ديغول، مذكرات العمل، ترجمة سموي فوق العدة، ط2، منشورات غريب، بيروت، 1986، ص 102.

³ فرانسوا ميتران، المرجع السابق، ص 278.

⁴ - La Dépêche de Constantine : N° 16743 vendredi 9 décembre 1960.

وقد انطلقت مظاهرات المعمرين بصفة رسمية يوم 9 ديسمبر 1960م، في أهم المدن الكبرى مثل الجزائر العاصمة، وهران، وقسنطينة، وعين قوشنت، والماسان، وسكيكدة، والبيدة وسيدي بلعباس وصاحبت هذه المظاهرات صاحبة شئ سلسلة من الإضرابات في مختلف القطاعات الاقتصادية والتجارية مما أدى إلى شلل تام لأغلب تلك المدن. وهذا الرد على تحركات ديغول، ورغبته في إقناع الأوروبيين في الجزائر أنه سيد الموقف في فرنسا، وأنهم لن يستطيعوا من الآن فصاعدا فرض إرادتهم على فرنسا. فكان رد فعل الجزائريين المسلمين ردا مزيجا بين العنوية والتنظيم من جهة التحرير الوطني، بعدما قاموا بمظاهرات معادية ينادون فيها باستقلال الجزائر والتفاوض مع جبهة التحرير الوطني، وأكدت هذه المظاهرات، بأنه من الصعب على فرنسا أن تسترد ثقة المواطنين الجزائريين، الذين عانوا من القمع الذي مارسه الجنرالات الفرنسيون وجنودهم¹.

فالالام المتراكمة هي التي دفعت الجماهير إلى مظاهرات 11 ديسمبر 1960م، علاوة على توجيه وتنظيم جبهة التحرير الوطني إلى القيام بهذه المظاهرات التي شكلت منعطفا حاسما في مسار الثورة، وكانت العتبة الأولى التي انطلقت منها مفاوضات الانفصال النهائي عن فرنسا في الوقت الذي كان الفرنسيون يعتقدون بأنهم قد قمعوا الثورة الجزائرية وأهلكوا قواها، وأنهم أحرزوا النصر العسكري.

إن الانتفاضة الشعبية التي عمرت بها الجماهير الجزائرية في المدن، لدليل قاطع على بطلان الإدعاءات الفرنسية، وأكدت على وحدة الشعب الجزائري وثقافته حول قيادته الشرعية والوحيدة جبهة التحرير الوطني وحكومتها المؤقتة، وأظهرت هذه الانتفاضة روح الكفاح والقدرات التضالية التي ظلت مرتفعة لدى الجماهير على الرغم من الإرهاب البوليسي والعسكري، فأفنت ديغول بضرورة التفاوض، وأن كل محاولة لرمي إلى حل عسكري ستبقى بدون جدوى.

حظيت مظاهرات 11 ديسمبر 1960م، بتغطية إعلامية واسعة من قبل الصحافة الفرنسية المرافقة لزيارة الجنرال ديغول، كما حظيت باهتمام الصحافة الأمريكية والبريطانية التي نشرت العديد من المقالات، تحدثت فيها عن وقائع هذه المظاهرات الشعبية وحقيقة الصراع الفرنسي- الجزائري. وقد ألهمت هذه التغطية الإعلامية إلى حد كبير في دفع المنظمة الأومية إلى مناقشة القضية الجزائرية للمرة السادسة، وسط تضامن دولي متزايد.

وفي يوم 20 ديسمبر 1960م، أصدرت الجمعية العامة قرارا تحصل على موافقة ثلاث وسبعين دولة، مقابل ثمانية دول، وتضمن القرار:

1- الاعتراف بحق الشعب الجزائري بحرية تقرير مصيره والحصول على الاستقلال.

¹ - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، ص: 524.

2- الاعتراف بضرورة الحصول على كل الضمانات التي تسمح له بتحقيق هذا الهدف، مع احترام سلامة الأراضي الجزائرية ووحدةها .

3- يعود للأمم المتحدة مسؤولية تطبيق حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره¹ .
وقد توصل الناطق الرسمي لأركان الحرب داخل مقر الولاية العامة إلى الخلاصة الآتية: "إننا قد تكبدنا ديان بيان في النفسية"² .

وهذا يدل على الفشل الذريع الذي منيت به المخططات الفرنسية في مواجهة إرادة الشعب الجزائري في الاستقلال.

وهكذا انقلب السحر على الساحر، وبينما حياء كبير الفرنسيين ورواسهم الأمل في صيانة الجزائر من الضياع، ليؤكد فكرة الجزائر الفرنسية، فإذا به يعطشهم بأعني قوة جماهيرية لم يسبق لها مثل تادي بالجزائر الجزائرية العربية المسماة، فتأكد ولأول مرة أنه لا أمل في المماطلة و العناد السياسي والعسكري لأن القوى الحية في الأمة الجزائرية، لم تعد ترضى بأي بديل كان عن استقلالها الوطني.

لأن بيان أول نوفمبر كان قد أكد من ست سنوات حلت أن الثورة لا تريد القيام بالحرب من أجل الحرب، بل تفضل الحوار والتفاهم، فالجواب ليس هدفا وإنما وسيلة لتحقيق الاستقلال. وكانت دعوة جبهة التحرير صريحة: "من أجل تجنب التفسيرات الخاطئة والأعداء، ومن أجل إظهار رغبتنا في السلام والحد من الخسائر البشرية وإراقة الدماء، تعرض على السلطات الفرنسية أرضية مشرفة للنقاشات"³ .
ومن هنا طرحت فكرة المفاوضات بقوة على الساحة الجزائرية، لكن الرد الفرنسي كان سريعا على لسان وزير الداخلية فرانسوا ميتيران: "التفاوض الوحيد في الجزائر هو الحرب".

هكذا فرضت الحرب على الجزائر وظال أمدها بسبب تعنت وتصلب القادة الفرنسيين وقاطعهم ومراوغاتهم. ولم تكن لدى السلطات الفرنسية النية الصادقة في فتح باب المفاوضات مع الثورة لأن المشكلة بالنسبة لها مشكلة داخلية فرنسية، لكن بعد الضغوطات الخارجية التي ظهرت بدأت الحكومات تتحجج بعدم وجود محاور حقيقي من جزائريين، أمام عدم الاعتراف بجبهة التحرير الوطني التي وصفت بأنها منظمة إرهابية، وهي إحدى العوائل التي اختلقتها فرنسا مما أحر إجراء المفاوضات. ولكن الذهاب إليها أصبح أمرا ملحا على الطرفين، ولأسيما الطرف الفرنسي، والملح أن المفاوضات انطلقت بين جبهة التحرير الوطني والحكومة الفرنسية في صيف 1961م. ولكنها كانت مفاوضات طويلة وشاقة، بدأت في شكل اتصالات غير رسمية من أجل حسن النضر ودراسة نقاط القوة ونقاط الضعف، كانت أول تلك الاتصالات مع

¹ - Khalfia Mammeri, Les Nations Unies face à la question algérienne 1954-1962, SNEID, Alger, 1969 p206.

² - جزائري مساري، مظاهرات ديسمبر 1960 ودورها في التحرير الوطني، مجلة الجمهورية، العدد الثاني، 1999، المركز الوطني للتراسات والاحتفاء في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، ص 148.

³ - بيان أول نوفمبر.

التفصيل الثاني: تطور الثورة التحررية الجزائرية ومؤسساتها السياسية والعسكرية.....(1)

مصطفى بن بواعيد وبين يوسف بن خدة في سجنهما حيث التقى بمدير الدائرة العسكرية للحاكم العام جاك سونيل، كما التقى بكل من فرحات عباس وحسين لحول والشيخ خير الدين قبل التحاق هؤلاء رميا بالثورة.

أما أول لقاء بقيادة الثورة فجري في بداية 1956م، بين مبعوثي غي مولي الصحفيين جان دانيال وروبار بار، بعد أن دبر لهما أندري مندوزي لقاء مع بن يوسف بن خدة وعبان رمضان . وفي شهر مارس التقى عبان رمضان بمبعوثي مانداس فرانس، اخامين شارل فازلي وريني ستيب ، ودار الحديث بينهم حول إمكانية تنظيم مفاوضات رسمية، وأثناء ذلك قدم عبان رمضان شروط الثورة وهي:

- 1- تعيين وفد يمثل جبهة التحرير الوطني من قيادات الداخل والخارج.
 - 2- الالتقاء في إيطاليا أو يوغسلافيا.
 - 3- وقف عمليات القمع وتقديم ضمانات لأعضاء الوفد الجزائري .
 - 4- يتوجب على الطرف الفرنسي تعيين بعثة عالية المستوى¹ .
- ثم التقى محمد حيزر في القاهرة بمبعوثين عن غي مولي، عرضا عليه النقاط الآتية:
- 5- وقف المعارك وإلقاء السلاح . إجراء انتخابات حرة . إخلاص إلى مائدة المفاوضات مع النواب الذين يختارهم سكان الجزائر.

وهذا كله بقصد إحراج جبهة التحرير الوطني، وإعطاء انطباع عنها بأنها جبهة متشددة وغير مسعدة لحل المشكل الجزائري بطريقة سلمية، وعليه فإنها تتحمل مسؤولية مواصلة الحرب وسقوط الضحايا في ميدان المعركة، كما أن " غي مولي" كان يهدف إلى عزل الجبهة عن تونس والمغرب، وذلك في حال عدم خضوع القيادة الجزائرية إلى الضغوط التونسية والمغربية بانتهاج سياسة معتدلة . ومن جهة أخرى تحصلت الحكومة اليسارية على منظمات خاصة نحوها لها مجلس النواب الجديد فراحتم تزيد من القدرة التجميعية لحيشتها.

وعلى الرغم من ذلك انعقد لقاء آخر في السادس والعشرين من شهر جويلية 1956م، ببلعاد جمع الجزائريين أحمد قراسيس أحمد يزيد مبعوثين فرنسيين عن الحزب الاشتراكي الحاكم برعاية " الماريشال بروز تيتو" (1892-1980)⁽²⁾ طالب خلالها المبعوثان الجزائريان تمثيلا رسميا للحكومة الفرنسية وإجراء لقاءات سرية وغير رسمية . فوقع ذلك يوم 17 أوت 1956م بروما، حيث قاد البعثة الجزائرية محمد حيزر، لكن الطرف الفرنسي عرض نفس مقترحات لقاء القاهرة إضافة إلى توضيحات إضافية عن حدود الاستقلال الداخلي، التي تستثني الحريات العامة والحقوق الفردية والمسألة العسكرية والشؤون الخارجية

¹ - Dahou Ould Kablia , la guerre d'Algérie , contacts , pourparlers , négociations , l'autre combat pour l'indépendance , in l'I-Massadié, n° 07 p 23..

² - تيتو: جوزيف بروز؛ 1892-1980، رئيس يوغسلافيا سابقا، من أصل كرواتي .

والنخطيط الاقتصادي والمالية¹. وردت الثورة على هذه المقترحات بعد سبهر بالرفض، حيث كان مؤتمر الصومام قد حدد شروط التفاوض كما جاءت في بيان أول نوفمبر، لتتوقف هذه الاتصالات بعد ذلك بسبب الشروط التي أكد عليها ميثاق الصومام واختطاف الزعماء الخمسة والعدوان الثلاثي على مصر والاعتداء الفرنسي على قرية ساقية سيدي يوسف وعدم الاستقرار السياسي في فرنسا بسبب سقوط الحكومات ثم قيام حركة 13 ماي 1958م، التي حملت ديغول إلى السلطة.

لقد تمادت الحكومات الفرنسية في تطبيق سياستها المقلسة في التعامل مع الثورة الجزائرية رافضة الاعتراف بكفاح الشعب الجزائري، على الرغم من توفير الثورة من جانبها كل الظروف المساعدة خاصة بعد تأسيس الحكومة المؤقتة ناصبة العراقل والصعوبات أمام قرص فتح محادثات جديدة بين الطرفين الجزائري والفرنسي، حول مستقبل الوضع والتوصل إلى اتفاق عادل يحقق مصالح الشعبين.

ولم تبدأ المفاوضات الجدية إلا منذ عهد ديغول الذي أكد من استحالة القضاء على الثورة بالنوازل العسكرية. وعلى الرغم من ذلك فإن المفاوضات الفرنسية، اتبع سياسة المتأخرة للتخريب من المسائل الجوهرية، وعدم الاعتراف الصريح بجهة التحرير كمحاور أساس ووحيد يمثل الثورة والشعب الجزائري.

فكانت المبادرات المعنوية محاولات يائسة للاحتفاظ بالجزائر الفرنسية، وهذا من خلال مبادرة سلم الشجعان التي أطلقها ديغول يوم 23 أكتوبر 1958م، من خلال مؤتمر صحفي خاطبها رجال الثورة²، "أقول دون موارد أن رجال الانتفاضة قاتلوا بشجاعة... فليات سلام الشجعان، وأنا أدرك بأن الأحقاد ستروى".

ثم جاءت المبادرة الثانية التي تعذرت وأعجرت الشروع في المفاوضات، وهي مبادرة تقرير المصير التي أدانها ديغول في بيان 16 سبتمبر 1959م، والتي أراد من خلالها ديغول وضع سند قانوني لسياسته الجزائرية أمام الرأي العام العالمي.

واعتقد أن المبادرة الحقيقية لفتح باب الحوار والتفاوض مع الجبهة، كانت من خلال دعوة الرئيس ديغول بجهة التحرير يوم 10 نوفمبر 1959م، حيث جاء فيها³: "أقول مرة أخرى إنه إذا كان قادة الانتفاضة يريدون النقاش مع السلطات حول شروط المعارك، فبإستطاعتهم القيام بذلك وأكرر أن الشروط ستكون مشروطة".

كان ديغول يعتقد بأن مبادرته تلك كانت إيجابية، وعليه إقناع الأطراف الأخرى بها، حيث يشير إلى مؤيدي فكرة الجزائر-فرنسية والشيوعيين والامتراكيين الذين يعرفون بكثرة انتقادهم له، حيث أن ذلك

¹ - Ibid, pp 24-25.

² - رضا منتف، الجزائر في اثنان، تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962، ط 1، دار نشر غصن، ط 1، المؤسسة الوطنية للثقافة والاشهر، الجزائر- وشار الفزاني، 2003، ص 57-58.

³ - نفس المرجع، ص 70.

سوف يغضب الفئة الأولى، ويخلق لدى الفئة الثانية روح العداوة، وأما الفئة الثالثة، فإنه مفتتح بأنها تؤمن بذلك ولكنها تخفي هذا الأمر¹.

بعد أن اتفق ديجول والحكومة الفرنسية بأن المفاوضات هي المخرج الوحيد والصحيح للخروج من الأزمة الجزائرية، بدأت العراقل الأخرى تظهر لإجهاض هذه المفاوضات وتوقيفها ثانياً فوقعت حركة التمرد في أبريل 1961م.

وبعد هذه الحادثة أبدى ديجول حسن النية في استئناف المفاوضات، فأعلن عن إجراءات محددة تمثلت في هدنة لمدة شهر من جانب واحد، وإعادة فرقة كاملة من الجيش وعدة أسراب من الطائرات إلى فرنسا والإفراج عن حوالي ستة آلاف جزائري، ثم الإجراء الهام وهو الإفراج عن الخمسة التاريخيين².

منذ مارس 1961م، أصبحت المفاوضات جدية ورسمية وتسنج ذلك من نص بحث به ديجول إلى المتفاوضين جاء فيه³: "يعتبر الجزائر ديجول أن المهم في الأمر هو أن يفتح لعاش رسمي، يستطيع الطرفان أن يطلا على الحاضر ولا على المستقبل قبل أن يعرضا لوجهي نظرهما كمسؤولين، واقترحت الحكومة الفرنسية أن نحصل هذه المناقشة؛ علما بأنه لكي تبدأ ينبغي ألا يثار أي شرط مسبق لا من هذا الطرف ولا من ذاك..."

وهكذا أنهى هذا النص المرحلة الأولى من الاتصالات السرية التي كانت تقع من حين لآخر بين قادة الثورة وممثلي ديجول أو الحكومة الفرنسية. وجعل الاتصالات الآن رسمية وبالتالي فتح الطريق إلى اتفاق التي تمخض عنها توقيع الاتفاقيات النهائية التي وضعت حداً للقضية الجزائرية ونوجت بأول إعلان وهو إعلان وقد يطلق النار يوم 19 مارس 1962م.

المبحث السادس: الوفد الخارجي ولجنة التنسيق والتفديد (C.C.E):

أولاً: الوفد الخارجي:

بعد الوفد الخارجي لجهة التحرير الوطني الأداة الدبلوماسية الأولى للثورة التحريرية الكبرى في الجزائر، حيث أدرك قادة الثورة منذ الوهلة الأولى أهمية المعركة الدبلوماسية في الكفاح التحريري الذي سيخوضه الشعب الجزائري ضد القوة الاستعمارية الفرنسية، فكان اتصال محمد بوضياف بمنسق عملية تفجير الثورة بأحمد بن بلة أحد العناصر الثلاث⁽⁴⁾ المشكلة للوفد الخارجي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

¹ - شارل ديجول، مرجع سابق، ص 96.

² - المرجع السابق، ص 126.

³ - ص 136. مرجع سابق، ص 136.

⁴ - تشكل الوفد الخارجي لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية الثلاثي محمد خيضر، وأحمد بن بلة وبيت أحمد وذلك منذ أواخر سنة 1953م، وكان أول من وصل إلى القاهرة هو محمد خيضر وذلك عام 1951 ثم لحق به حسين بيت أحمد في أوائل 1952، حيث كلّفهما بمسئولتي الحاج بتمثيل العرب بدلا من الثلاثي الذي خلال شهر أكتوبر 1952م، وفي أواخر 1953م لحق بهم أحمد بن بلة.

وهذا دحضت عناصر الوفد الخارجي وعلى رأسها أحمد بن بلة في عملية التحضير للثورة المسلحة منذ جويلية 1954م، حيث كانت بكسب الدعم المصري، وتوفير السلاح للثورة¹، ومنذ ذلك التاريخ أصبح الوفد الخارجي يعمل لصالح "اللجنة الخماسية" بدلا من العمل لصالح الحزب، وعشية اندلاع الثورة التحم محمد بوضياف بالوفد الخارجي حيث غادر الجزائر يوم 26 أكتوبر 1954م، عندها صار الوفد يتشكل من الرباعي محمد حبيضر، وحسين آيت أحمد وأحمد بن بلة ومحمد بوضياف، كما أصبح ممثلا لجبهة التحرير الوطني في الخارج.

وفي أول لقاء بين أعضاء الوفد الخارجي، تقرر أن يتولى محمد بوضياف وأحمد بن بلة المهام العسكرية، ويتقاسم المهام السياسية والدبلوماسية كل من محمد حبيضر وحسين آيت أحمد.

وعليه انقسم عمل الوفد في القاهرة بين محمد حبيضر الذي تكفل بالجانب السياسي انطلاقا من مكتبه بقرية لينة بحريه المغرب العربي^{(*) 2}، وإميله أحمد بن بلة الذي تكفل بالجانب العسكري والذي كان له مكتب مستقل. وأما حسين آيت أحمد فقد توجه إلى نيويورك ليصبح أول ممثل لجبهة التحرير الوطني هناك. غير أن الوفد الخارجي لم يتمكن من تحقيق الوعود التي قطعها على نفسه سواء ما تعلق منها بالدعم المقدم من الحكومة المصرية أو عن طريق شرائها السلاح من الخارج، وإثر ذلك ساءت العلاقة بينه وبين التواجد الداخلي لقيادة الثورة.

لذلك نقل نشاط الوفد الخارجي إلى سويسرا وبعض العواصم الأوروبية، لقرب أوروبا من الجزائر. وسهولة الاتصال بمختلف الجهات، وهنا نلاحظ تطور نشاط الوفد الذي أصبح لا يقتصر فقط على شراء السلاح وتأمين إحصائه إلى الثورة، وإنما تعداه إلى شرح القضية الجزائرية وتدويلها³.

ولكن في يوم 24 سبتمبر 1956م، ألقي القبض على عناصر الوفد الخارجي بعد تحويل الطائرة التي كانت تقلهم من المغرب نحو تونس إلى مطار الجزائر وهم: أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، محمد حبيضر ومحمد بوضياف، ومعهم مصطفى الأشرف، ثم ألقي بهم في السجن إلى توقيف القاتل بين الطرفين يوم 19 مارس 1962م.

¹ - عبد الرحمن بن إبراهيم بن الحفوف، الكفاح القومي والسياسي، ج 3 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1981م، ص 463.
² - كانت اللجنة بحريه المغرب العربي بالقاهرة، وذلك في 05 جويلية 1948م، انتقلت عن مكتب المغرب العربي التابع للجامعة العربية، الذي أنشأه خلال مؤتمرات الجامعة المنعقد ما بين 21/15 فيفري 1947م، وضم سبقي الحزب الوطني المغربي الثلاثي، وتشكل المكتب الأول للجنة من: محمد بن عبد الكريم الخطابي رئيسا، وأحمد بن محمد الكريم الخطابي وكيل الرئيس، والمصطفى بوزريعة أمين عام، ومحمد بن محمد أمين للصندوق.
³ - ينظر إلى: عامر ربيعة، دفاع الأثر الوطني الاستقلالي على أعضاء العربي 1945م-1954م، مجلة المصداق، المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وأثرها، العدد 6/سبتمبر 2002، ص 36-40.
⁴ - عبد القادر خليلي، المؤتمرات الأفراسيوية والقضية الجزائرية، مجلة المصداق، المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وأثرها، العدد 11/ماي 2003، ص 222.

لكن الوفد لم ينته بإلقاء القبض على أعضائه المؤسسين، بل فقد تكون من أعضاء جدد وعقد أول اجتماع له بعد حادثة الطائرة بالقاهرة يوم 08 مارس 1957م، الذي تقرر فيه إنشاء مكتب خاص بجهة التحرير ضمن هيئة الوفد، تشكل كالآتي:

أحمد توفيق المدني، رئيسا للمكتب والدكتور أحمد فرنسيس كاتباً، والعباس بن الشيخ الحسين عضواً، وحامد رواجية عضواً، وعبد الرحمان كيوان عضواً. وتم تحديد مهمة المكتب وطريقة عمله على الصفة الآتية:

1. المكتب، مكلف بتنفيذ المهمات التي قررت لجنة التنسيق والتنفيذ قيامه بها.
 2. العلاقات مع الحكومة المصرية حسب تعليمات لجنة التنسيق والتنفيذ.
 3. العلاقات مع الجامعة العربية.
 4. الاتصالات مع السلك الدبلوماسي بمصر.
 5. الاتصال بالشخصيات والمنظمات المصرية والعربية.
 6. مراقبة الصحف والإذاعة، وكل ما ينشر ويذاع عن القضية الجزائرية وإصدار المعلومات والتصحیحات التي يستوجبها ذلك.
 7. الدعاية، وذلك بإصدار بشرة رسمية أسبوعية، أو نصف شهرية تعطي أخبار الجزائر وتبين وجهة نظر الوفد الخارجي في كل المسائل الخاضعة.
 8. إذاعة حديث يومي باللغة العربية في صوت العرب وحديث آخر باللغة الفرنسية عن القضية الجزائرية.
 9. نشر المقالات التي ترد عليه من المكتب المركزي لنشر في الصحف المحلية.
 10. القيام بالأعمال الإدارية والإجراءات اللازمة لأعضاء الوفد من إقامة وسكن وتأشيرات... الخ.
 11. يكون بالمكتب ملحق ثقافي مهمته الاهتمام بالطلبة الجزائريين الموجودين بمصر.
 12. يوضع تحت تصرف هذا المكتب معاونون آتية أسماؤهم : الأستاذ : ابن با أحمد، والحاج البومعادي والسعادي عثمان، وغيرهم ممن يرى المكتب وجوب الاستعانة بهم لإنجاح مهمته¹.
- وبهذا التنظيم الجديد ازداد أداء الوفد فعالية بفعل الدعم الذي أصبح يقدمه له مكتب القاهرة، أصبح الوفد يؤدي دوراً دبلوماسياً رائعا زاد من كسب التأييد الدولي للثورة من خلال البعثات والرحلات المكوكية التي قام بها أعضاؤه.

وعلى إثر انعقاد المجلس الوطني للثورة بالقاهرة يوم 20 أوت 1957م، بعد خروج لجنة التنسيق والتنفيذ إلى الخارج، تم تقسيم عمل الوفد للفترة المسندة ما بين 22 أكتوبر 1956 إلى 20 أوت 1957م، ثم تقرر أن تتولى لجنة التنسيق والتنفيذ التي أسسها مؤتمر الصومام سنة 1956م، مهمة تمثيل الثورة في الخارج

1 - المصدر السابق، ص 286-287

بالإضافة إلى المهام الأخرى الموكلة لها والإعلان عن تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في الوقت الذي يراه مناسباً¹.

هكذا إذن استلمت أحيانا، المنيقة عن مؤتمر الصومام مهمة الوفد الخارجي خاصة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي تأسست في 19 سبتمبر 1958م، بالقاهرة، وهو تطور منطقي للأحداث يندرج ضمن تفعيل دور تلك المؤسسات التي تضمن نجاح الثورة.

ثانياً: لجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.E):

تعتبر هذه اللجنة هيئة تنفيذية: انبثقت عن مؤتمر الصومام، ويتم تعيين أعضائها من طرف المجلس الوطني للثورة. كانت لجنة تمثل مكتباً سياسياً أحياناً وجهازاً للحرب أحياناً أخرى حيث تمسك كل السلطات السياسية والعسكرية ما بين دورات المجلس الوطني للثورة. هكذا جمعت سلطات جهة التحرير الوطني في جهاز قيادي واحد ومحدد ومركزي لا يترك أي ثغرة للفوضى قبل تدخل الصلاحيات².

وقد اختير أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ من بين الأعضاء في الداخل، وكان مقرراً أن يكون أحمد بن بلة ضمن طاقمها إلى جانب قادة الولايات الأربعة في المجلس الوطني للثورة، وهم زيغود يوسف وكريم بنقاسم وأحمد أوعمران والعربي بن مهيدي³، لكن استشهاد زيغود ثم إلغاء القبض على أحمد بن بلة في حادثة تحويل الطائرة يوم 22 أكتوبر 1956م جعل التركيبة الأولى للجنة تتشكل من: عيان رمضان وكريم بنقاسم ومحمد العربي بن مهيدي وبين يوسف بن خدة وسعد دحلب، ثم اختيارهم على أساس تفرغهم واستعدادهم في غياب بن بلة وأيت أحمد وبوضياف.

استقر أعضاء اللجنة في الجزائر العاصمة بشكل سري، وكانوا يجتمعون دورياً ويتخذون القرارات جماعياً، ووزعت المهام على الأعضاء، حيث كان دحلب مسؤولاً عن الإعلام والدعاية، وكان بن خدة مسؤولاً عن الاتصال بالفرنسيين المتعاطفين مع الثورة وبالشيوخ الذين لم يتشكروا بعد بالثورة وعن تأمين الأسلحة، وكان بن مهيدي على اتصال بالتنظيم الفدائي في القصبة، وأما كريم بنقاسم فكان ينسق بين الولايات⁴.

وعلى إثر انعقاد المجلس الوطني للثورة، تم تنصيب لجنة التنسيق والتنفيذ الثانية التي أصبح عدد أعضائها أربعة عشر عضواً بدلاً من خمسة، وهم: كريم وعيان وبوالصوف وبين طوبال وأوعمران ودباغين ومهري ومحمود الشريف وفرحات عباس، إضافة إلى الخمسة المعتقلين بعضوية رمزية أو شرفية⁵.

¹ - المصدر نفسه، ص 131.

² - Sand Dahleb, op cit, p 11.

³ - وايزيد كرواني، الثورة والقيادة السياسية، الجزائر 1954-1968، مركز الدراسات والأبحاث العسكرية، مشقوة (1981م)، ص 134.

⁴ - المرجع السابق، ص 135.

⁵ - Ibid, p p 84-85.

وعندما استقرت اللجنة في القاهرة بدأ نشاطها يتجه نحو العمل السياسي، وحتى القابات التي كانت تُحسب على النشاط العسكري أصبحت تتعاطى السياسة مثل كريم بلقاسم وعبدان رمضان فأُجهت إلى البلدان العربية لشرح القضية الجزائرية وكسب الدعم المادي لها.

وفي 19 سبتمبر 1958 قرر أعضاء اللجنة تحويلها إلى الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي أنهت مسيرته هذه اللجنة بعد وفاة عبدان رمضان وسيطرة البعثات الثلاثة على قيادة الثورة.

البحث السابع: المجلس الوطني للثورة الجزائرية (C.N.R.A) والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (G.P.R.A):

أولا/ المجلس الوطني للثورة الجزائرية (C.N.R.A):

تطبيقا لإستراتيجية الثورة في تأسيس هياكل وأجهزة تنظم العمل وترسخ مبدأ القيادة الجماعية نص مؤتمر الصومام على تأسيس سلطة تشريعية ممثلة في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، حيث اعتبر بمثابة برلمان الثورة، وأعطيت له السلطة العليا في اتخاذ القرارات وهو يتكون من أربعة وثلاثين عضواً، سبعة عشر بالأصالة وسبعة عشر بالنيابة، فقد كلف برسم ونوجيه السياسة العامة الداخلية والخارجية لجبهة التحرير الوطني. وتكثيف خطط عملها، وتوزيع جميع سلطات اتخاذ القرار والمراقبة على أجهزتها.

كما اعتبر هذا المجلس هو المؤسس على السيادة الوطنية وحارسها طالما بقيت الحرب مستمرة وله صلاحية التشريع ومراقبة الحكومة إلى أن تحرر أرض الوطن¹.

والحق أن المجلس الوطني للثورة قد ضم في عضويته كل التيارات السياسية المتضوية تحت لواء جبهة التحرير الوطني: - أعضاء اللجنة المركزية لحركة الانتصار.

- عناصر الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.

- جمعية العلماء - الحرب الشيوعي.

وكان التمثيل من الداخل والخارج.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذا المجلس قد مثل الشعب الجزائري أوسع تمثيل وبأصدق صورة ممكنة في مثل تلك الظروف، فكان هذا المجلس أصدق تعبير عن الإرادة الشعبية في الجزائر، وشكل هذا التمثيل الواسع لمختلف الأطراف الفاعلة في المساحة الوطنية في تلك الفترة تعبيراً قوياً على تجاوز إستراتيجية المرحلة الأولى للثورة، والتي اقتصر فيها الاعتماد على العناصر الثورية فقط، ذلك أن تلك الإستراتيجية لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تحقق الانتصار على المستعمر الفرنسي الذي وظف كل إمكانياته الذاتية والدولية في أن واحد (خلف الأتني)².

¹ - الأمين شربط، التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية 1919-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1998، ص 92.

² - محمد بجاوي، الثورة الجزائرية والقانون، ترجمة علي الخاش، دار الفتحة العربية، ب ت، ص 142.

كما أن للمجلس الحق في زيادة عدد أعضائه وذلك بموافقة ثلثي أعضائه الحاضرين أو الممثلين. ويعين المجلس الوطني للثورة الجزائرية مكتباً له مكوناً من ثلاثة أعضاء فيما بين دوراته، وهو مكلف باستدعاء المجلس الوطني للثورة في دورة عادية أو استثنائية بطلب ثلثي أعضاء المجلس¹.

ومن اختصاصاته: - تعيين الهيئة التنفيذية، التي تقوم بتنفيذ خطته العسكرية والسياسية من بين أعضائه. - منح الحكومة ثقة وتنصيبها بأكثرية الثلثين من أعضائه الحاضرين أو الممثلين.

3. يتخذ القرارات اللازمة التي تتعلق بمستقبل البلاد.

4. يصادق بأغلبية الثلثين على الاتفاقيات والمعاهدات التي تعقدها الحكومة مع الدول الأخرى، باستثناء قضية وقف إطلاق النار، التي يجب أن لا تتم الموافقة عليها إلا بأغلبية أربعة أخماس الأعضاء الحاضرين أو الممثلين².

وبصير هذا المجلس ثلاثة أنواع من الأعمال القانونية هي³:

5. اللوائح: وكانت ذات طابع سياسي لا نكتسي صيغة قانونية صرفاً.

6. الأوامر الدستورية: وهي ذات طابع تأسيسي.

7. الأوامر التشريعية: وهي ذات طابع تشريعي.

وأما عن دورات المجلس الوطني للثورة الجزائرية فقد عقد منذ تأسيسه سنة 1956م، حتى الاستقلال سنة 1962م ست دورات منها: مؤتمران هما مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م ومؤتمر طرابلس جوان 1962م، وأربع اجتماعات في كل من القاهرة وطرابلس الغرب.

وقد عهد الاجتماع الأول في القاهرة خلال الفترة الممتدة من 20 إلى 28 أوت 1957م. وقد حضر هذه الاجتماع ثلاثة وعشرون عضواً وفي هذا الاجتماع ظهرت بوادر التراجع عن بعض قرارات الصومام والعودة إلى الاعتماد على العناصر الثورية، وإبعاد العناصر السياسية حيث حشد هذا التوجه كل من الثلاثي كرم بلقاسم وعبد الحفيظ بوشريف والحضر بن طوبال، وخارج هذا الاجتماع عدة قرارات هي:

1- العدول عن المبدأين الشهيرين وهما: أولوية الداخل على الخارج، وأولوية السياسي على العسكري.

2- تعيين لجنة تسيق وتنفيذ جديدة من تسعة أعضاء، خمسة عسكريين وهم حسب الولايات العقدة: محمود الشريف، بن طوبال، كرم بلقاسم، عمر أوعمران، عبد الحفيظ بوشوف، وأربعة

¹ ينظر: قوانين جبهة التحرير الوطني، محمد يوسف: الجزائر في ظل المسيرة التضالية المنظمة الخاصة، ترجمة محمد الشريف بن داهي، جسن، وزارة الشكاكين، النكري 40، لاواع الثورة، ص 194.

² - عقيلة صيف الله، التنظيم السياسي الإداري في الجزائر 1954-1962، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 1996، ص 254.

³ الأعرين شريفة، مرجع سابق، ص 105.

سياسيين وهم: عبال، رمضان، فرحات عباس، الدكتور الأمين دباغين، عبد الحميد مهري، وقد أضيف إلى هؤلاء الأعضاء الفادة الخمسة المعتقلون بفرنسا.

3- توسيع المجلس الوطني للثورة إلى 45 عضواً بدلاً 34 عضواً¹.

وأما الاجتماع الثاني فقد عقد في طرابلس بليبيا في الفترة الممتدة من 16 ديسمبر 1959م إلى 18 جانفي 1960م، بعد اجتماع العقدة العشرة الذي حملته الحكومة مسؤولية إيجاد حلول لمشاكل الثورة.

1. كما حدد المجلس الوطني للثورة المعام الرئيسية للسياسة الجديدة التي يتعين على الحكومة المؤقتة أن تنتهجها في المستقبل.

ونم في هذا الاجتماع المصادفة على قوانين جبهة التحرير الوطني والمؤسسات الانتقالية للدولة الجزائرية، فقد تقرر أن كل أعضاء جيش التحرير هم حق العضوية في جبهة التحرير الوطني، وأن المجلس الوطني للثورة الجزائرية له صفتان فهو صاحب السلطة العليا للثورة، وهو البرلمان الذي يعين الحكومة.

وهذا كان هذا الاجتماع الثاني للمجلس الوطني للثورة الجزائرية ذا أهمية تاريخية كبيرة حيث شكل الثورة من قوانين وبرنامج عمل على الحكومة أن تسهر على تطبيقه. وعلى إثرها عقد الاجتماع الثالث للمجلس الوطني للثورة في طرابلس من 09 إلى 27 أوت 1961م، وتقرر أن يناقش مسألة المفاوضات مع فرنسا التي توقفت في "لوقان" بسبب مشكلة الصحراء خلال شهر جويلية 1961م، بدأ الاجتماع في جو مشحون على الرغم من الإجراءات الدبلوماسية التي حازت عليها الثورة²، بفعل الخلاف الكبير بين قيادة الأركان والحكومة المؤقتة، وفي هذا الاجتماع أبدى أعضاء هيئة الأركان (عني منجلي وقائد أحمد) معارضتهم الشديدة للحكومة المؤقتة وللثلاثي (بوالصوف، بن طوبال، كريم بلقاسم).

بعد التطورات التي مرت بها المفاوضات في عهد حكومة بن يوسف بن خدة، دعت الحكومة إلى عقد اجتماع استثنائي للمجلس الوطني للثورة الجزائرية بطرابلس، لدراسة نص مسودة اتفاقات إيفيان في كل جزئياتها قبل التوقيع عليها، وإتخاذ موقف واضح منها.

وعندها اجتمع المجلس الوطني للثورة في الفترة الممتدة من 22 إلى 27 فيفري 1962م بطرابلس اللبية³، وحضره سبعة أعضاء عن الحكومة المؤقتة وهم: بن يوسف بن خدة، عبد الحفيظ بوالصوف، سعد دحلب، كريم بلقاسم، محمدني السعيد ومحمد يزيد وثلاثة أعضاء عن قيادة الأركان وهم: هواري بومدين، أحمد فايد، وأعضاء آخرون من المجلس الوطني للثورة⁴.

1 - محمد عيسى، تواريخ عظماء، دار هومة الجزائر: 2003، ص 127.

2 - مصطفى هشوب، جذور نوفمبر 1954 في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، ص 191.

3 - عز غيدي محمد لحسن، مرجع سابق ص 236.

4 - بن يوسف بن خدة، اتفاقيات إيفيان، تعريب حسن زغال ومحل العين جبالتي، ديوان المطبوعات الجامعية، ت. الجزائر، ص ص 75.

كان المجموع العام للحضور 54 عضوا، صادفوا بالأغلبية على الاتفاقيات وعلى منح تفويض للحكومة المؤقتة لتوقيع عليها¹.

وعلى إثر هذه المصادقة من قبل المجلس الوطني للثورة استؤنفت المفاوضات من جديد في إيفيان يوم 7 مارس، وانتهت بالتوقيع على وقف إطلاق النار في 18 مارس 1962م، والذي أعلن عنه يوم 19 مارس 1962م، في منتصف النهار من قبل بن يوسف بن خدة رئيس الحكومة المؤقتة، وبعدها تم إطلاق سراح المساجين وعلى رأسهم المساجين الخمسة: بن بلة وبوضياف وآيت أحمد وعبد خيضر ورابح بيمطاط، ثم بدأت التحضيرات لعقد مؤتمر للمجلس الوطني للثورة الجزائرية، ومع بداية شهر أفريل 1962م. أرسلت الاستدعاءات إلى جميع قادة الولايات وأعضاء المجلس في الداخل والخارج، ولأول مرة توفرت الشروط لحضور الجميع بهدف إجراء نقاش جدي والعمل على الاستعداد لمواجهة المستقبل².

وعلى إثرها عقد مؤتمر طرابلس للمجلس الوطني للثورة الجزائرية من 27 ماي إلى 05 جوان 1962م، بظرائف الغرب وعملت السلطات الليبية على توفير الشروط الضرورية للمؤتمر حيث منعت الصحفيين والأجانب من دخول المدينة³.

انصب اهتمام المؤتمرين خاصة حول إعادة تنظيم جبهة التحرير وقيادتها، أو السلطة المقبلة في الجزائر المستقلة، التي ستحل محل المجلس الوطني للثورة والحكومة المؤقتة، لكن جلسات المؤتمر انتهت بطريقة غير عادية بسبب شدة الخلافات التي وقعت⁴.

ثانيا/ الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (G.P.R.A):

بعد تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية بعد أربع سنوات من عمر الثورة حدثا تاريخيا هاما في مسيرة الثورة التحريرية، وخطوة جريئة أقدم عليها قادة الثورة حيث شكل استكمالاً لبنائها المؤسساتي، وإعادة بعد الدواية الجزائرية الحديثة، وهذا أكد إعلان الحكومة على تقديم الثورة نحو تحقيق الاستقلال. وذلك بتعزيز العمل العسكري، بمجهود سياسي ودبلوماسي يمكن الثورة من الوصول إلى أهدافها. وقد دفعت جملة من العوامل إلى تأسيس الحكومة المؤقتة حيث يمكن حصرها فيما يأتي :

1. رغبة الثورة في دحض إدعاء الحكومة الفرنسية في عدم وجود طرف جزائري مفاوض خاصة أن نية التفاوض قد اتضحت معالمها لدى الطرف الفرنسي، بعد وصول "الجنرال ديغول" إلى الحكم في فرنسا أوائل جوان 1958م⁵.

¹ - محمد حسنين، الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر : 1986، ص 545.

² - علي كافي، مصدر سابق، ص 285.

³ - از عتيدي محمد لحسن، مراجع سابق، ص 239.

⁴ - مصطفى هشاموي، مراجع سابق، ص 206-209.

⁵ - محمد عرابي، ثوري عظيماء، دار هومة، الجزائر: 2003، ص 128.

2. توصيات مؤتمر طنجة الذي جمع حزب الاستقلال المغربي وحزب الدستور التونسي وجبهة التحرير الوطني الجزائرية من 27 إلى 30 أفريل 1958م، ومنها تأسيس حكومة جزائرية بعد التشاور مع الحكومتين التونسية والمراكشية¹.
 3. حاجة الثورة إلى جهاز فعال لكسب الأييد الدولي في حضم التضامن الدولي مع الحركات التحررية.
 4. الصعوبات التي أصبحت تواجهها الثورة في الجارتين تونس ومراكش اللتين أصبحتا تحتجزان جزءا من الأسلحة الموجهة للثورة.
- هكذا توفرت الأسباب الكافية لتأسيس الحكومة المؤقتة، التي فوض المجلس الوطني للثورة مهمة إنشائها إلى لجنة التنسيق والتنفيذ متى توفرت الظروف، حيث شكلت لجنة فنية وإدارية قامت بتحضير مسودة مشروع تأسيس الحكومة، واجتمعت لجنة التنسيق والتنفيذ يوم 09 سبتمبر 1958م، ووطعت الخطة النهائية لتشكيل الحكومة².
- فكان يوم 19 سبتمبر موعد الإعلان الرسمي عن ميلاد هذه الحكومة تحت رئاسة فرحات عباس ونائبين له هما: أحمد بن بلة وكريم بفاطم، مع وزارة الدفاع وذلك بحضور عدد كبير من الصحفيين والإعلاميين والديبلوماسيين العرب فأخذ بذلك الإعلان بعدا واسعا على المستويين العربي والدولي. وتكونت الحكومة بالإضافة إلى المناصب السابقة من ثلاثة وزراء دولة وثمانية وزراء وثلاثة كُتاب دولة.
- وأما عن أهداف تأسيسها فتتمثل كما لخصها أحمد توفيق المدني هي³: "إقناع الرأي العام العالمي بأن المفاوضات الجزائرية موجودة، وهو يظهر رغبته في الاتصال ضمن مقاضات رسمية بالحكومة الفرنسية على مقتضى الشروط التي أعلنتها الثورة... والمهمة الأساسية للحكومة المؤقتة هو تحقيق الاستقلال وتمكين الجزائر من إبداء صوتها في وسط عالمي، والتهيئة لهذا العمل.
- أما الهدف الثاني كما جاء في الرسالة التي وجهتها الحكومة غداة تشكيلها للرئيس المصري جمال عبد الناصر حيث جاء فيها⁴: "إن تشكيل هذه الحكومة... في هذا الوقت بالذات، إنما هو رد عملي على ذلك التحدي الصارخ الذي ألقت به الحكومة الفرنسية على وجه الشعب الجزائري المجاهد عندما اعتنت سياسة الإدماج التام، وأخذت توالي تنفيذها بواسطة إرغام الشعب على المشاركة في الاستفتاء الذي تقوم به فرنسا يوم 28 سبتمبر 1958م، حول الدستور الفرنسي الجديد... وتضع حدا فاصلا لما

1 - أرغندي، محمد الحسن، مرجع سابق، ص 170.

2 - مصطفى هشماوي، مرجع سابق، ص 114.

3 - أرغندي محمد الحسن، المرجع السابق، ص 171.

4 - أحمد توفيق المدني، مصدر سابق، ص ص 402-403.

تدعيه الحكومة الفرنسية في مناسبات عدة من أها لا تترك أمامها ممثلاً صحيحاً راجعاً لمحاولة إيجاد حل لتقليص الخلافات.

مرت بحكم عدد سنوات من حيث تشكيلتها، استمرارية وجودها، حيث حصلت في سنة 1960م وفي شهر أوت 1961م الذي عين بن يوسف بن عباد رئيساً لها، أما دورها فانصب في البداية الأولى على العمل الديمقراطي، فعاد ليست عادت إلى العمل في الحكومة المؤقتة، وبذلك كانت خلية للحركة إلى سائر الأحياء التي في مرحلة ما بعد الحرب، بحيث عني تسير ودراسة مع الظروف التي هي.

المبحث الثامن: وقف إطلاق النار والاستقلال.

أولاً: وقف إطلاق النار

بموجب مفاوضات جارية مع فرنسا إلى وقف إطلاق النار بين طرفين فكانت ذات أهمية في تاريخ المنطقة، حيث وضعت الأمور في وضع جديد، لم يشهد منذ اندلاع الصراع وكان هذا التوافق من الشروط الأساسية التي تمسكت بها البور سابقاً من أجل فتح أي مفاوضات مع الطرف الفرنسي، مما يعني ذلك أنه تمسك بمبدأ كذا للثورة في انتظار الوصول إلى الانتصار الحقيقي والحاسم ألا وهو الاستقلال.

سعي الجميع على مرمى حجر.

ثانياً: الهيئات المؤقتة.

جاء في الملاحظات إيمان ضمن الجزء المتعلق بتنظيم السلطات العامة خلال فترة الانتقال والظروف الخاصة من تقرير المفوض ما يأتي¹:

مادة (02) "تتضمن الملاحظات عدة مبادئ وهي: إطلاق سراح واستعادة عن تحرير المفسر الذي يقوم على إنشاء منصب مفوض سامي يجوز سلطات الجمهورية، وسلطة تنفيذية مؤقتة مكلفة بإدارة الشؤون العامة والخاصة بالجزائر، ومحكمة مكلفة بوضع التعديلات على النظام العام.

مادة (03) "تتضمن ملاحظات المفوض سامي والسلطة التنفيذية المؤقتة بصورة دائمة، في فترة الانتقال، عرض توفير الشروط الضرورية لنمو تقرير المفوض وتأثير الديمقراطية على الإدارات العامة. تستنتج من هاتين المادتين إقامة ثلاث سلطات للمرحلة الانتقالية، وهي المفوض السامي والسلطة التنفيذية المؤقتة ومحكمة النظام العام.

¹ - تقرير المفوض العام لتعمل السلام، مادة 02، حفظ الجمارك، مسودات التقريرين الأول والثاني، 1960-1961، ص 133.

1- المفوض السامي:

حددت مهام المفوض السامي وصلاحياته في المواد من أربعة إلى ثمانية ضمن قسم تنظيم السلطات العامة في الجزائر، حيث يعين بحسب صلاحيات عن مجلس الوزراء الفرنسي ويخضع مباشرة لسلطة وزير الدولة المكلف بالشؤون الجزائرية. فهو يمثل الجمهورية الفرنسية في الجزائر حيث يسهر على المصالح الإدارية والعسكرية ويساعده في ذلك أمين عام يعوضه في حالة غيابه وضابط برتبة جنرال يكون القائد الأعلى للقوات المسلحة في الجزائر¹.

وطبقا لذلك تم تعيين السيد كريستيان فوشي^(*) Christian Fouchet كمفوض سام جديد ومساعد له هو السيد برنار تريكو، مع النعم أن هذه التسمية كانت موجودة منذ عام 1958م أي بعد قيام الجمهورية الخامسة التي ألغيت تسمية الوزير المقيم في الجزائر، والتي اعتمدت سنة 1956م.

2- السلطة التنفيذية الموقفة:

جاءت المواد المحددة لنشاط وسلطات هذه الهيئة في المواد من تسع إلى ثمانية عشرة حيث تتألف من رئيس ونائب للرئيس وعشرة أعضاء، كل واحد منهم مكلف بإدارة شؤون معينة حددت كما يأتي: الشؤون العامة، والشؤون الاقتصادية، والزراعة، والشؤون المالية والشؤون الإدارية، والأمن العام، والشؤون الاجتماعية، والأشغال العامة، والشؤون الثقافية، والتربية.

وقد جاء في المادة الخامسة عشر²: "تضطلع السلطة التنفيذية بتأمين النظام، وتوضع تحت سلطتها قوة حفظ النظام... وكذلك مصالح الشرطة". وهكذا نستنتج أن قوة حفظ النظام هيئة مؤقتة أخرى رابعة. وبما أن المرحلة انتقالية، اعتبرت هذه الهيئة انتقالية ومؤقتة ومهمتها محددة في الصلاحيات والزم. فهي تتمثل في تسيير شؤون الجزائر فيما بين وقف إطلاق النار والاستقلال، وهي تعمل بالتسابق مع المفوض السامي الفرنسي في الجزائر.

ثم عُيِّن أعضاء هذه الهيئة بالتسابق بين الحكومة الفرنسية والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وضممت³ 12 عضوا، تحت رئاسة عبد الرحمان فارس⁴، الذي التحق رسميا بالمنصب يوم 29 مارس 1962م، فادما من فرنسا مورا بالرباط حيث التقى بقيادة الحكومة المؤقتة⁴.

ويبدو من الوهلة الأولى أن الهيئة حيادية أو على الأقل تحقق التوازن بين الطرفين، لذلك تم اختيار أعضائها بعناية فائقة، غير أن لكل طرف حساباته، وفرنسا كانت ترى فيها بوابة معتدلة لجزائر الغد. أما

¹ - المصدر السابق، من ص 412-413.

² - كريستيان فوشي: كان سفير فرنسا في الدمار لك، عين مفوض سامي في الجزائر يوم 19 مارس 1962م، واستقر في منصبه إلى غاية 07 جويلية 1962م.

³ - المصدر نفسه، من ص 415.

⁴ - بن يوسف بن خدة، مصدر سابق، ص 129.

⁵ - محمد حصيد، الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1986م، ص 550.

الحكومة المؤقتة فكانت تأمل أن تكون أداة لاستلام السلطة همدوء في جزائر الاستقلال^١. لكن الواقع إنما كانت أداة إدارية تسيّر الجزائر بواسطة بين فرنسا وجبهة التحرير في انتظار إقامة سلطة مباشرة من الثورة^٢.

كان الأعضاء الجزائريون فيها يتفقون التعميمات من الحكومة المؤقتة ثم أصبحت تأتيهم من المكتب السياسي بعد تأسيسه، حيث وضعت الهيئة تحت متابعة أحمد بن بلة، وهكذا أصبحت مهمتها شكلية بعد ذلك.

واستمرت الهيئة إلى غاية استلام الحكومة الجزائرية السلطة يوم 26 سبتمبر 1962م.

3- قوة حفظ النظام:

سميت أيضا باسم القوة الخفية، كانت تكون نظريا من حوالي ستين ألف رجل، أغلبهم جزائريين كانوا يعملون في الجيش الفرنسي كمتطوعين ومحترفين ومهندسين في إطار الخدمة العسكرية³.

حددت المواد تسعة عشر إلى عشرين (19 إلى 20) تشكيل هذه القوة وإدارتها التي تعين بواسطة مرسوم بالاتفاق مع السلطة التنفيذية^٤، لكن في الواقع أن هذه القوة لن ترى النور على الرغم من تعيين رؤسائها وهما العقيد مقداد ومساعدته العقيد جرابيلي.

وضعت هذه القوة في شكاات الجيش الفرنسي، فكانت تابعة لوجستيا للجيش الفرنسي وهذا ما يجعل استقلاليتها صورية، وتشكلت قوة خارج ذلك الإطار حول مدينة الجزائر قواتها خمسة آلاف رجل بقيادة العقيد غنيح، لكنها لم تتمكن من دخول العاصمة إلا يوم 14 ماي بعد هجوم قوات المنطقة المستقلة للجزائر.

أما جهاز الشرطة الذي وضع تحت تصرف الهيئة، فإنها لم تتمكن من التحكم فيه بسبب سيطرة عناصر منظمة الجيش السري عليه.

وهنا يمكن القول أن الهيئة فشلت في تسيير الملف الأمني وهذا ما جعل الوضع يزداد التحول مع توسع عمليات المنظمة السرية، وقد يكون ذلك هو السبب الذي دفع قيادتها إلى فتح اتصالات مع المنظمة السرية لموضع حد لأعمالها.

^١ - مصطفى هشماوي، مرجع سابق، ص 200.

^٢ - Belaid Abdesselam. In Le hasard et l'histoire, entretiens de Mahfoud Benmouna et Ali Elkenz, ENAG éditions 1990, t.01 P 197.

^٣ - مصطفى هشماوي، مرجع سابق، ص 201.

^٤ - دحنا مالك، مصدر سابق، ص 416.

4- محكمة النظام العام:

أما هذه المحكمة فقد يبدو أنها لم توجد، على الإطلاق، لأننا لم نعتز على أية معلومات حولها ما عدا نص المادة اثنان وعشرون(22) التي جاء فيها: "تتأهل محكمة النظام العام تضم عدداً متساوياً من قضاة خاضعين للنظام المدني العام وقضاة خاضعين للنظام المدني اخللي"¹.

وما يعزز ذلك الطرح هو تعفن الوضع وصعوبة تطبيق وفرض احترام القانون أو النظام فأبي قانون وأي نظام في ظل سلبية السلطات الفرنسية وانشغال المسؤولين الجزائريين بالنصراع على السلطة!²

ثالثاً/ برنامج طرابلس والاختيارات الكبرى:

بعد أن وضعت الحرب أوزارها، كان على قادة الثورة التفكير في مرحلة ما بعد إعلان الاستقلال، لذلك اجتمع المجلس الوطني للثورة باعتباره السلطة العليا وبرلمان الثورة في مؤتمر أو اجتماع خاص في طرابلس الغرب ما بين 27 مايو و 06 جوان، لوضع برنامج أو المسهج الذي تسيّر عليه الدولة الجزائرية مستقبلاً.

ومن أجل ذلك الغرض شكلت لجنة تحضيرية لصياغة البرنامج وتحضير الوثائق، تكوّنت من: س. بن، أحمد بريد، محمد الصديق بن يحيى، مصطفى الأشرف، رضا مالك، محمد حري، ومحمد تمام، موزعين أفواجا على النحو الآتي:

8. رضا مالك ومصطفى الأشرف: تحديد طبيعة الثورة، والمقصود به الجانب الإيديولوجي والتاريخي للثورة.

9. محمد الصديق بن يحيى ومحمد حري: السياسة الاقتصادية والاجتماعية والعلاقات الخارجية.

10. محمد تمام: خطة تنظيم الحزب، وكان ذلك هو المحور الأساسي والمهم.

أمنيت اللجنة مدة عشرة أيام لإتمام عملها، ثم عقدت جلسة فيما بينها لعرض التقارير التي كانت متباعدة في التوجهات والرؤى والأفكار، لكنها اعتمدت لتكون المشروع المقدم للمؤتمر³. وهو الذي أطلق عليه فيما بعد تسمية "برنامج طرابلس"، الذي حدد معالم السياسة العامة والتوجه السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدولة الجزائرية المستقلة.

تضمن جدول أعمال المؤتمر نقطتين في غاية الأهمية والحساسية في نفس الوقت:

11. مناقشة وإثراء مشروع برنامج طرابلس والمصادقة عليه.

12. تعيين قيادة جديدة لتسلم مقاليد الحكم في الجزائر، والتي عرفت باسم "المكتب السياسي"⁴.

¹ - أسسدر نفسه، ص 416.

² - مصطفى هشماوي، مرجع سابق، ص 205.

³ - محمد حبار، مرجع سابق، ص 285.

أ- تقييم اتفاقيات إيفيان:

- استهل المؤتمرون أشغالهم بقراءة منأية للاتفاقيات، وبعد تمحيص وتدقيق، وبعد الرجوع إلى بيان أول نوفمبر ووثيقة الصومام، وقع الإجماع على الملاحظات الآتية:
1. إن اتفاقيات إيفيان وضعت حدا لحرب إبادية لم يعرف التاريخ مثيلا لها.
 2. لقد مكنت هذه الاتفاقيات الشعب الجزائري من استعادة سيادته كاملة ووحدته الترابية.
 3. إن هذه الاتفاقيات قد كانت بالنسبة للشعب الجزائري انعطافا سياسيا، أهم نتاجه تغير بعض أركان النظام الاستعماري الإمبريالي والتخلص من الهيمنة الأجنبية.
- ومن جهة أخرى أعرب المؤتمرون عن قلقهم إزاء الضمانات التي منحت للمستوطنين وجعلت منهم أقية محظوظة. كما وقفوا أيضا على الأخطار التي قد تنجم عن بقاء القوات الفرنسية واحتفاظها ببعض القواعد العسكرية والمطارات العسكرية والقواعد المخصصة لإجراء التجارب النووية، وعر أعضاء المؤتمر عن أمنهم في أن تنوب سلطات الجزائر المستقلة بحث كل تلك القضايا من جديد، نظرا لما لها من تأثير على عملية التنمية والبناء والتشييد، كما تم استعراض الأوضاع التي آلت إليها الجزائر، والتي كانت تستدعي حلا جذرية، فكان ذلك نقيما وتبريرا للاختبارات التي تم تبنيها في المشروع.
- لذلك جاء تحليل برنامج طرابلس محذرا من العوامل التي قد تؤدي إلى الإبقاء على الوضع الموروث عن الاستعمار، الذي يريد الاحتفاظ بمصالحه في الجزائر باستخدام أشكال أخرى كالتعاون والتبادل وغيرها، حيث أن الاستعمار الفرنسي يحاول التكيف مع مرحلة الاستقلال بانقلابه إلى استعمار جديد من النوع الاقتصادي، وهو ما حارته الثورة المسلحة حربا مريرة².
- وأخ البرنامج على محاربة ما أسماه بـ "القوة الثالثة"، التي هي ليست القوة الفرنسية المباشرة وليست قوة جهة التحرير، وإنما هي قوة برزت من أحلام الامبريالية الفرنسية، في أن ينتصر الاتحاد المعتدل في الجبهة على الاتحاد الثوري، مما يضمن التعاون بين الجزائر وفرنسا في إطار الامبريالية الجديدة.
- ثم يتعرض البرنامج إلى نقد ذاتي في مسار جهة التحرير وأخطائها ونقائصها التي ركزت على الكفاح من أجل الاستقلال وأهملت الجوانب الأخرى التي كانت تنطور بدورها وخاصة الجانبين الاقتصادي والاجتماعي وحتى الفكري، وبالتالي إهمال التربية السياسية والاجتماعية للفرد الجزائري والتركيز على التربية الثورية.
- وبعدها نجده يحذر من وقوع الجزائر المستقلة في انقطاع عن الحقيقة الوطنية³، وهو الوضع الذي أوقع الحركة الوطنية في المأزق خلال الخمسينات.

1 - محمد العربي الربيزي، تاريخ الجزائر المعاصر (1942-1996)، ج2: دار هومة، الجزائر: 2000، ص 229-230.
2 - عبد الله نريخت، مع الفكر السياسي الحديث والمجهودات التي تبذل في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1986، ص 157.
3 - المرجع السابق، ص 159-161.

ب- الاختيارات الكبرى :

كان إذا تقييم اتفاقيات إيفيان تقديما لمبادئ المطروحة والاختيارات الكبرى التي تسيير عليها الجزائر المستقلة، فتكون المخرج الوحيد من مخلفات الاستعمار، ووسائل فعالة لبناء والتشيد والتحرر الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، لذلك أمكن تقسيم البرنامج إلى أربعة محاور هي: المحور السياسي والمحور الاقتصادي والمحور الاجتماعي والمحور الثقافي. كما تفرع المحور السياسي إلى عدة فروع تتعلق بنظام الحكم والسياسة الخارجية ومستقبل جبهة التحرير الوطني.

لقد لخص البرنامج كل تلك المحاور في شعار واحد هو " الثورة الديمقراطية الشعبية" ويعرفها بأنها: "تشبيد وابع للبلاد في إطار المبادئ الاشتراكية والسنطة للشعب"¹.

هكذا كان النهج الاشتراكي أحد هذه الاختيارات الكبرى في هذا البرنامج، ويتجلى في كل المحاور السابقة الذكر، وتتمثل مهام الثورة الديمقراطية الشعبية كالآتي²:

1. إقامة الدولة الجزائرية على أساس معاداة الامبريالية ومعاداة الإقطاع، وذلك يتطلب بالضرورة تحلي الطبقات الحية في البلاد بروح المبادرة واليقظة وممارسة المباشرة في جميع الميادين.
 2. إلغاء المياكل الاقتصادية والاجتماعية التي أوجدها الإقطاع واستبدالها بمياكل جديدة ومؤسسات يكون هدفها الأول هو تحرير الإنسان.
 3. استرجاع القيم المكبوتة أو تلك التي قضى عليها الاستعمار، والعمل على صياغتها وتنظيمها وفقا للجدالة والحسنة...
 4. حمل الطبقة البرجوازية على أن تخضع مصالحها الخاصة لوحدة الشعب، وتعديل عن إرادة التحكم في مصير البلاد، وتخصص من ميزات الأساسية التي تدفعها إلى الارتباط بالاستعمار الجديد والتي هي: الأهرامية والديماغوجية وروح التهويل والاستخفاف بالمبادئ...
 5. نشر الوعي في أوساط الجماهير الشعبية الواسعة التي يجب أن تدرك بأن عملية البناء والتشييد... لا بد من إستادها إلى الشعب نفسه، والشعب هو: الفلاحون والعمال والشباب.
 6. وضع فكر سياسي واجتماعي يعكس بوفاء مظاهر الجماهير...
 7. إحداث تصور جديد للثقافة التي يجب أن تكون وطنية وثورية وعلمية.
- أما وسائل تحقيق مهام وأهداف الثورة الديمقراطية الشعبية فهي: بناء اقتصاد وطني واتجاه سياسة اجتماعية ترمي إلى إقادة الجماهير، ثم اتهاج سياسة دولية أساسها الاستقلال الوطني ومناهضة الامبريالية.

¹ - محنت العربي الربري، مرجع سابق، ص 246.

² المرجع نفسه، ص ص 247-248.

أما مصير الجبهة فحدده الميثاق بتحويلها إلى حزب سياسي طلائعي، ومنظمة جامعة، حيث جاء في النص: "الحزب ليس الجمعاً وإنما هو منظمة تجمع كل الجزائريين الواعين الذين يواصلون من أجل ثورة ديمقراطية شعبية"¹.

أما جانب الديمقراطية الذي تسعى إلى تحقيقه تلك الثورة فيكون ضمن إطار الحزب، حيث ورد في البرنامج²: "تحقيق الديمقراطية وتمازج ضمن الحزب بالتبادل المستمر بين القمة والقاعدة لضمان حياة سياسية نشيطة. وضمانات تحقيق ذلك هي: مبدأ انتخاب المسؤولين في كل مستويات دورية - وانتظام الاجتماعات - قانون الأغلبية - مع معاقبة أي عضو يكون موافقة المؤسسة الحزبية التي ينتمي إليها - طرح الخلافات أمام القاعدة - أولوية المؤسسات العليا على المؤسسات الدنيا".

هكذا كان تصور برنامج طرابلس للجزائر المستقلة، التي سوف تتحول إلى ورشة ضخمة في طريق إعادة البناء والتشييد والتخلص من رواسب الماضي ومآسيه.

رابعاً: استفتاء تقرير المصير:

يظهر أن المهمة الرئيسة للهيئة التنفيذية المؤقتة هي التحضير لإجراء استفتاء تقرير المصير، فدخل الجزائريون في رهان صعب يتمثل في إظهار قدرتهم على توفير الظروف الملائمة لإجراء استفتاء تقرير المصير، وبالتالي تمكين الشعب الجزائري من التعبير بكل حرية وإقتناع وبدون ضغط عن رأيه، بالإجابة عن سؤال الاستفتاء: "هل تريد أن تصبح الجزائر دولة مستقلة متعاونة مع فرنسا حسب الشروط المقررة في تصريحات 19 مارس 1962م؟" وتكون الإجابة بـ "نعم" أو "لا"³.

كانت العملية الانتخابية خضعت للنظام الذي حدد شروط الاستفتاء على تقرير المصير، والذي اعتنى بكل جوانبها من حيث تأليف الهيئة الناحية والدعاية الانتخابية وتنظيم الاقتراع والرقابة على الانتخاب. وفي هذا الشأن أنشئت لجنة خاصة للإشراف على العملية ومراقبتها، عرفت باللجنة المركزية للاستفتاء وتقرير المصير، وترأسها الجزائري المحامي قسور ساطور، وكان من أعضائها جزائريون من الحقوقيين خاصة، وعدد أعضائها الإجمالي هو سبعة وتساعدها لجان جهوية، وتتمتع هذه اللجنة بعدة صلاحيات محددة في المواد 33 إلى 39 من نظام الاستفتاء⁴.

ومع الظروف الصعبة التي كانت تمر بها البلاد، وجدت الهيئة التنفيذية صعوبات كثيرة في أداء مهامها خاصة التحضير لإجراء الاستفتاء، بسبب المنظمة الإرهابية والصراع الذي تشأ بين المبادرات الوطنية مما جعل مجموعة جبهة التحرير في اضية المؤقتة تقدم استقالتها التي رفضتها الحكومة المؤقتة، يضاف إليها

¹ - عبد الله شر بط، مرجع سابق، ص 195.

² - المرجع نفسه، ص 204-205.

³ - محمد حسنين، مرجع سابق، ص 552.

⁴ - ريفاء ملك، مصدر سابق، ص 403-410.

صعوبة طبع حوالي ست ملايين بطاقة تصويت^(*) بسبب العطلة الصيفية في فرنسا واستحالة ذلك في الجزائر¹.

إن هذه الاستشارة الشعبية كانت تخدم الطرفين الجزائري والفرنسي، فالحكومة المؤقتة وباقي قادة الثورة قصبوا إشراك الشعب الجزائري حتى يكون الانتصار شعبيا ووطنيا ويكون الاستقلال ذا مصداقية أكثر بالنسبة للمجتمع الدولي. أما بالنسبة للجانب الفرنسي فكان من أجل التخلص من الضغوطات التي كانت تنهم دغول بإهداء الاستقلال للجزائر، وقطع الطريق أمام المنظمة الإرهابية²، مع العلم أن اللجنة الناعبة كانت تتكون من أوروبيي الجزائر أيضا كما نصت عليه المادة الأولى التي حددت شروط الاقتراح في الجزائر.

بعد استكمال كل الترتيبات والإجراءات بما فيها الخمسة الانتخابية التي ميزتها الملتصقات واللافقات والكتابات الداعية للإدلاء بـ "نعم"، وصل اليوم الخامس (أول جويلية 1962) حيث خرج الشعب بكثافة بلغت نسبة المشاركة 91.88% من مجموع المسجلين الذين قدروا بأكثر من 6.5 مليون ناخب. يقول علي هارون الذي كان عضوا في اللجنة المركزية للانتخابات³ : " لقد أحفينا النتائج النهائية إلى يوم 05 جويلية ... وكلف الخواطر الوطني للكشافة الإسلامية محمد علي دريوش بالانتماء عليها".

تأماس: الاستقلال

يوم 05 جويلية نقل عبد الرحمان فارس النتائج النهائية التي أسفرت عن استفتاء 2 جويلية من نفس العام⁽¹⁾ إلى المفوض السامي الفرنسي، ثم رفع العلم الوطني فوق مبنى الهيئة التنفيذية ليعلن عن استقلال الجزائر.

تأطلت برفيات النهائي والاعتراف باستقلال الجزائر من الأشقاء والأصدقاء، مع العلم أن فرنسا كانت قد اعترفت بالاستقلال يوم 03 جويلية مستبفة بذلك الإعلان الرسمي، ويوم 07 جويلية عينت فرنسا سفيرا لها في الجزائر هو (جان مارسيل جيبي) Jean Marcel Jeanneney فقدم أوراق اعتماده إلى عبد الرحمان فارس، ليخلف بذلك المفوض السامي⁴.

⁽¹⁾ - لجا شوقي مصطفى إلى شمس 45 هـ (أردن) التي وافقت على الطلب بتجديد.

¹ - المصدر: السوف، من 336.

² - Rédha Malek, Méritons notre Indépendance, in La Tribune du 03/07/2005, n° Hors Série P 07.

³ - Ali Haroun Nous avons étouffé les résultats jusqu'au 05 juillet, in La Tribune du 03/07/2005, n° Hors Série P 115.

⁽¹⁾ - كانت النتائج النهائية كما يلي: المسجلون 6549736، عدد الأصوات المعبرة 601 / 800، الأصوات المأهولة 25568، نعم

5975581 صوت، لا 16534 صوت.

⁴ - محمد حنين، مرجع سابق، ص: 553.

وهكذا طويت صفحة 132 سنة من الاستعمار الفرنسي في الجزائر. وكما نصت عليه الاتفاقيات استمرت الحياة التنفيذية المؤقتة في أداء مهمتها إلى غاية انتخاب أول جمعية وطنية تأسيسية، حيث حددت تاريخها يوم 12 أوت 1962م¹.

وجملة القول أن الثورة التحريرية الجزائرية قد ولدت من رحم المعاناة والشقاء واليأس الذي عاشه الشعب الجزائري قرن وثلث قرن من الزمن، وكانت قد استفادت من الخبرة العنيفة التي تعرضت لها إثر اكتشاف المنظمة الحاصلة، فقامت بتصحيح المسار وضربت أمثلة رائعة في البطولة والنضال والالتزام والتخطيط العسكري والسياسي والدبلوماسي. فحوالت الثورة إلى خير وورشة كبرى لإعداد المناضلين البوربيين.

كانت الثورة الجزائرية ثورة شعبية لأن الجماهير التفت حوضاً دون قناعة إيديولوجية أو مذهبية، بل لأنها وسيلة الشعب في استرجاع كرامته وحرية، فقدمت هذه الجماهير أرواحها وفوداً حتى لا تطفئ شعلة هذه الثورة إلى أن تصل إلى بر الأمان، وقد استطاعت خلال مسيرتها الطويلة أن تنشأ مؤسسات سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية واجتماعية، بل ومناهج سياسية تسير على هديها وتستلهم بنورها في افحام العقبات الاستعمارية التي طالما وضعت في طريقها من قبل أساطين الفكر السياسي والعسكري الفرنسي الذين كانوا لا يفتأون ينظرون ويخططون لقمع الثورة ووأدها في النهدي، فانطلقت أول ما انطلقت شراكها بتشكيل جبهة سياسية وجيش تحرير وطني وإصدار بيان سياسي يوضح الرؤية على المستويين الداخلي والخارجي، ثم شنت هجوما عسكريا مركزا لم يسبق له مثيل على تسع وثلاثين مركزا استعمارية في الشمال القسنطيني، ثم انتقلت إلى التنظيم السياسي والعسكري والتشريعي من خلال أول مؤتمر يعقد بعد اندلاع الثورة حوالي عشرين شهرا، ثم أنشأت مؤسسات أخرى كالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وبنان العمل السياسية والعسكرية، ووضعت نظاما محكما للتنسيق السياسي والعسكري بين الداخل والخارج، واستطاعت أن تفرض على فرنسا الاعتراف بحقوق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال والسيادة، وأن تنهزها على الجلوس مع ممثلي جبهة التحرير الوطني للتفاوض على كيفية تسليم البلاد لأصحابها الشرعيين. وقد حاولوا غلاة المعمرين (الكولون)، أن يؤثروا على مجرى المفاوضات وأن يجبروا الحكومة الفرنسية على التراجع إلى المربع الأول، ولكنهم باعوا بالقشل الذريع أمام تصميم طلاب الحرية على المضي قدما في التفاوض مع ممثلي الحكومة الفرنسية، واستطاعوا فعلا أن يتبرعوا اعتراف فرنسا بالجمهورية الجزائرية كدولة للشعب الجزائري.

¹ - Ali Haroun, L'été de la discorde, Cashah éditions, Alger 2000, P 104.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: العلاقات السياسية الجزائرية التونسية إبان الثورة الجزائرية
(1954-1962)

- المبحث الأول: اهتمام الصحافة التونسية بالتطور السياسي في الجزائر.
- المبحث الثاني: المكانة السياسية في العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة
- المبحث الثالث: تطور العلاقات الجزائرية التونسية 1957-1962م

الفصل الثالث: العلاقات السياسية الجزائرية التونسية إبان الثورة الجزائرية (1954-1962):

نعتبر تونس امتدادا طبيعيا للجزائر من جهة الشرق تضاريسا و مناخا و بحاري مائية. ومن الناحية البشرية هناك تشابك وترابط كبير بين السكان على طول الشريط الحدودي وحتى في بعض المناطق الداخلية مثل : تالة، القصير، الحميد، ونقطة ... حيث كان التنقل يتم في أوقات الحرب والأزمات بالخصوص والتي عرفها القطران منذ فرون، خاصة منذ الغزو الفرنسي للجزائر واحتلالها سنة 1830م. كانت تونس منجأ للمهاجرين الجزائريين مدنيين ومقاومين هربا من بطش الاحتلال ومن مظلته، فكانت تونس مستقرا لهم بالقرب من وطنهم الأصلي وأرض الأجداد التي بقيت حية في ذاكرتهم ووجدانهم، وقد سهلت عمليات الحجرات والتنقل على عدم وجود حواجز طبيعية بين البلدين وعدم وجود اختلافات عرقية أو دينية ومذهبية ولغوية .

ومن الناحية التاريخية عاش القسم الأكبر من شرق الجزائر تحت النفوذ القرطاجي وفي ظل الحضارة التي حملها هؤلاء من الشرق ووجدت تفاعلا وثقلا من السكان. كما عاشا سوريا تحت الاحتلال الروماني والبيزنطي . ولما قدم المسلمون كانت القيروان بتونس مركزا هاما للفتح والدعوة ثم نشأ المذهب المالكي ولمرور التيارات السياسية والمذهبية إلى المغرب العربي والقادمة من بغداد أو دمشق فانصهر المغرب العربي كله في الحضارة العربية الإسلامية.

ومن الناحية الاقتصادية كانت هناك حركة تجارية نشطة من القاسم عبر البر والبحر فالأسواق في تونس كانت مفتوحة أمام التجار الجزائريين وكذا أسواق الشرق الجزائري .

فهذه الروابط التي تشترك فيها العوامل الطبيعية والبشرية الاقتصادية والحضارية وتشابكها منذ آلاف السنين قد شكلت وحدة حقيقية بين البلدين والشعبين الشقيقين.

وعندما تحصنت تونس على استقلالها في مارس 1956 رفض بعض المجاهدين التونسيين تسليم السلاح و انتقلوا للجهاد في الجزائر منهم : عبد الله البوعمراني و الطاهر الأسود، عني اهتمامي علي درغال¹ ... وهكذا تشترك مرة أخرى تونس والجزائر في النضال السياسي والكفاح المسلح و تتمتج النداء من اجل الحرية و الاستقلال لشمال إفريقيا² .

¹ المرائد عثمان سعدي بن الحاج : مذكرات ، دار الأمة ، سنة 2000، ص: 58، 59، 60.

² محمد شرفي: موقف الصحافة التونسية من الثورة التحريرية وعلاقتها بالأقاليم الجزائرية . كتاب الثورة التحريرية في الصحافة العربية 1954-1962، بحث جماعي غير منشور، ص من 85-103.

كيف أصبحت تونس أهم قاعدة عسكرية و سياسية و إعلامية للثورة الجزائرية ؟

عندما اندلعت الثورة الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954 كانت الثورة في تونس قد بلغت مرحلة حاسمة حيث بدأت بوادر الاستقلال تلوح في الأفق حتى اكتمل في مارس 1956م وقد شجع هذا الاستقلال وأغرى الوطنيين الجزائريين الذين تركزوا في القاهرة منذ 1952م من اتخاذ تونس كقاعدة لنشاط المقاتلين خاصة في التدريب أو تمرير الأسلحة إلى الجزائر وهذا بحكم الموقع الاستراتيجي لتونس كحلقة وصل دائمة بين الجزائر والمشرق العربي لذلك أقام بها بعض قادة جبهة التحرير الوطني وثوارها وكذلك بعض الممثلين بالداخل من أجل الاتصال بزعماء الثورة في القاهرة والاتصال بالبلدان الغربية لدعم وشراء الأسلحة، ومع تطور الثورة أصبحت تونس شينا قاعدة فعلية خاصة منذ 1957م، وحتى الاستقلال 1962م، حيث أنشئت قواعد عسكرية ومخازن للأسلحة لجيش التحرير قرب الحدود مع الجزائر. وفي العاصمة تونس تكون مركز لقادة الثورة وزعمائها السياسيين والعسكريين.

المبحث الأول/ اهتمام الصحافة التونسية بالتطور السياسي في الجزائر:

تعد البلاد التونسية امتدادا طبيعيا للجزائر من الناحية الشرقية تضاريسا ومناخيا وبحاري مائية. أما من الناحية البشرية فهناك ترابط عائلي وحيد بين السكان على طول الشريط الحدودي، وحتى في بعض المناطق الداخلية مثل: تالة والقصرين والجريد، ونقطة وتبسة وسوق أهراس والقالة وعنابة، وقد كان التنقل بين البلدين سائدا على مر العصور في أوقات الحرب والسلام على حد سواء، ولاسيما أوقات الأزمات التي عرفت بها البلاد بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، حين كانت تونس ملجأ للمهاجرين الجزائريين مدنيين ومقاومين هربوا من بطش الاحتلال ومظالمه، وكانت البلاد التونسية موطنًا ومستقرا لهم بعد وطنهم الأصلي أرض الآباء والأجداد، التي ظنت حية في وجدانهم وذاكرتهم، وقد سهل عمليات الهجرة والتنقل عدم وجود حواجز طبيعية بين القطرين علاوة على غياب فروقات عرقية أو دينية أو مذهبية أو لغوية أو تاريخية بينهما.

أما في القدم فقد عاشت السواحل الجزائرية عامة والشرقية بصورة خاصة تحت نفوذ القرطاجيين. كما عاشت تونس تحت النفوذ الروماني الذي كان يحكمها من الجزائر، ثم من تونس، ثم وفي ظل الدولة العربية الإسلامية تبادلا البلدان الجزائر وتونس تسيير دفة الحكم على امتداد ست قرون، ثم خضوع المنطقة الشرقية الجزائرية للنفوذ الحفصي، وبعد ذلك حكم تونس وليبيا في العهد العثماني من الجزائر "عهد باي لا رباي"، وتبعية المناطق الغربية إلى الجزائر ومن ثم فقد عرف سكان البلدين حياة مترجحة غاية الامتزاج عبر العصور والأجيال حتى مجيء الاستعمار الحديث، فحاول الفرنسيون فصل الشعبين عن بعضهما، ولكن ذلك كله كان وهمًا حيث بقي الاتصال مستمرا دائما، بل وقد ازداد تطورا وازدهارا مع مطلع القرن

العشرين، حين تعززت هذه الروابط في ظل الاحتلال الفرنسي للشمال الإفريقي وظهور المقاومة الوطنية ثم الحركة الوطنية السياسية؛ فقد كان من مؤسسي الحزب الدستوري القديم حوالي ثلاثة عشر عضوا من الجزائريين، وحتى رئيسه "عبد العزيز الثعالبي" كان من أصول جزائرية؛ وظل هذا الحزب يُمول ماليا من قبل صالح بن يحيى الجزائري، الذي كان غنيا ومات فقيرا بسبب الإنفاق المستمر على هذا الحزب لمدة معتبرة¹. وخلال الحرب الكونية الثانية، تأسست لجنة تحرير المغرب العربي ببرلين في ألمانيا² من جزائريين وتونسيين، وبعد هذه الحرب، وضعت الحركة الوطنية لشمال إفريقيا ميثاق المغرب العربي بالقاهرة سنة 1947م، الذي شمل أحزاب تونس، الجزائر والمغرب.

وتحدد التقارب سنة 1952م بباريس وفي شهر مارس 1954م بالقاهرة للتعاون والتنسيق من أجل تحرير الشمال الإفريقي من الاستعمار الفرنسي.

وعندما اندلعت ثورة تونس مع أوائل سنة 1952م، تحرك العديد من الجزائريين على الحدود أو قربها للمشاركة في الثورة، وكان أبرزهم المجاهد "شريط زهر"، عندما تحصلت تونس على استقلالها في مارس 1956م، رفض بعض المجاهدين التونسيين تسليم السلاح وانتقلوا للجهاد في الجزائر منهم: عبد الله البوعمراني، والطاهر الأسود، علي الهمامي، وعلي درغال.

وهكذا تشترك مرة أخرى تونس والجزائر في النضال السياسي والكفاح المسلح وتخرج الدماء من أجل الحرية والاستقلال لشمال إفريقيا³.

وتصبح تونس أهم قاعدة عسكرية وسياسية وإعلامية للثورة الجزائرية، فعندما اندلعت ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م، كانت الثورة في تونس قد بلغت مرحلة حاسمة، حيث بدأت بوادر الاستقلال تلوح في الأفق حتى اكتملت في مارس 1956م، وقد شجع هذا الاستقلال الوطني الجزائريين، الذين تمركزوا في القاهرة منذ سنة 1952م، لإثبات تونس قاعدة لنشاط قيادة الثورة خاصة في التدريب أو تمرير الأسلحة إلى الجزائر، وهذا بحكم الموقع الاستراتيجي المجاور لتونس كحلقة وصل دائمة بين الجزائر والمشرق العربي لذلك أقام بعض قادة جبهة التحرير الوطني وثوارها، وكذلك بعض الممثلين بالداخل من أجل الاتصال بزعماء الثورة في القاهرة، والاتصال بالبدان العربية للدعم وشراء الأسلحة، ومع تطور الثورة أصبحت تونس شيئا فشيئا قاعدة خلفية فعالة للثورة الجزائرية، خاصة منذ سنة 1957م، وحتى الاستقلال عام 1962م، حين أسست قواعد عسكرية ومخازن الأسلحة لجيش التحرير قرب الحدود مع الجزائر وفي العاصمة تونس أقيم مركزا لقيادة الثورة وزعمائها السياسيين والعسكريين.

¹ - بحث الصالح الجابري: النشاط الثقافي والعلمي للمهاجرين الجزائريين في تونس 1900-1962، نشر العربية للكتاب، 1983، ص 278.

² - يوسف الروبي: نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق، المحلة التاريخية المغربية، العدد 9: 1977، ص 171.

³ - محمد شرقي: موقف الصحافة التونسية من الثورة التحريرية وعلاقتها بالأعلام الجزائرية، كتاب الثورة التحريرية في الصحافة العربية (1954-1962)، بحث غير منشور، ص ص 85-103.

واحق أن الصحافة التونسية قد بدأت تهتم بالقضية الجزائرية منذ مجازر الثامن ماي 1945م اهتماما متزايداً على الرغم من التعقيم الإعلامي والسياسي الذي كانت تمارسه الحكومة الفرنسية على الجزائر، لأنها كانت تعتبرها جزءاً لا يتجزأ من الأراضي الفرنسية، على الرغم من وجود حوض البحر الأبيض المتوسط، الذي يفصل بين البلدين بأكثر من ألف وستمائة (1600) كلم، ويعود اهتمام الصحافة العربية عامة والتونسية خاصة بالقضية الجزائرية، إلى بروز بعض الشخصيات الوطنية، التي تخطت الحدود الجزائرية في اتجاه المشرق العربي أمثال: الشيخ الفضيل الورتلاوي والشيخ البشير الإبراهيمي، والشاذلي المكي، وأحمد بن بلة وآيت أحمد حسين ومحمد خيضر، وغيرهم من الشخصيات الوطنية التي رأت بأن القضية الجزائرية لا نستطيع أن نجد طريقها إلى الحل، إلا بخروجها إلى النطاق العربي أولاً ثم إلى النطاق الدولي ثانياً. وقد بدأت الصحافة التونسية تركز بالدرجة الأولى على الحياة السياسية في الجزائر منذ مطالع الخمسينات وبالبضبط. بعد اندلاع الثورة سنة 1954م.

ولعل أول ما سجله في هذا الفصل ما كتبه جريدة الصباح عن تكوين جبهة متحدة لأحزاب شمال إفريقيا، التي تأسست في كنف الجامعة العربية يوم الرابع من شهر أفريل 1954م، عندما اجتمع نواب الأحزاب الوطنية لشمال إفريقيا بالأمانة العامة للجامعة العربية وحرروا ميثاقاً "لجبهة تحرير المغرب العربي" يتضمن مقدمة وعشرة فصول، ومما جاء في هذا الميثاق: {على نواب الأحزاب والبعثات السياسية المغربية في المشرق الإفريقي، أن يعملوا تحت لواء منظمة واحدة تحمل اسم "لجنة تحرير المغرب العربي"، ويكون مقرها الرسمي بالقاهرة، ويمكن هذه المنظمة أن تكون فروعاً لها خارج الشمال الإفريقي}. وتمثل أهداف هذه اللجنة في النقاط الآتية:

- 1- التكفاح في سبيل الاستقلال التام لتونس والمغرب والجزائر .
- 2- إنقواء هذه البلدان تحت لواء الجامعة العربية.
- 3- رفض كل سياسة إتحاد مع فرنسا أو سياسة ازدواج السيادة.
- 4- يمثل في هذه المنظمة شخص واحد فقط من كل بلد مغربي¹.

واحق أن هذه اللجنة تعتبر أول تنظيم سياسي راديكالي موحد، بدافع عن استقلال شمال إفريقيا الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي بعد لجنة الدفاع عن أقطار المغرب العربي .

ولعل ما يميز هذه اللجنة هو ارتباطها بالجامعة العربية، ومنحها ميزانية خاصة قدرت في أول إنشائها بـ خمسة وعشرين مليون فرنك، وهو مبلغ مهم في ذلك الوقت، وكان أول عمل سياسي جماعي قامت به هذه اللجنة فور تكوينها، هو إرسال مذكرة إلى اللجنة السياسية للجامعة العربية، التي كانت يجتمعها بالعاصمة المصرية تطالبها فيها التأكيد في تصريح رسمي على ما يأتي:

¹ . جريدة الصباح، جبهة متحدة احزاب شمال افريقيا، ص 5.

- 1- اعتبار الجزائر جزءاً لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي.
- 2- استنكار الاعتداءات الفرنسية وسياسة التمييز العنصري الجارية في الجزائر.
- 3- مطالبة الجامعة العربية بإثارة قضية الجزائر أمام المنظمات العالمية، وتشكيل لجنة من الجامعة تقوم بتلك المهمة¹.

وتنقل جريدة الصباح التونسية الصادرة يوم عشرة من شهر أبريل 1954م، عن جريدة "فرانس سوار" حواراً أجريته مع ثلاث زعماء من العرب هم: الأمير عبد الكريم الخطاطي والأستاذ أحمد الشقيري الأمين المساعد للجامعة العربية، والسيد أحمد حسين مدير محطة إذاعة صوت العرب، ومما قاله الأول: "ليس لي أي ارتباط بحزب الاستقلال أو بعلال الفاسي، ثم إنني لا أريد الإدلاء بأي تصريح في هذا الموضوع، وأعتبر أن الوسيلة الوحيدة التي تمكننا من الخروج من الأزمة الحالية هي: منح الحرية لأقطار شمال إفريقيا الثلاثة: تونس والجزائر والمغرب، وأنه لا مناص من اندلاع حرب مماثلة لحرب الهند الصينية في صورة ما إذا بقي الحال على ما هو عليه ...".

والحق أن الاهتمام بحرية استقلال بلدان المغرب العربي قد تواجد بشكل واضح منذ نهاية الحرب الكونية الثانية، حين تأكد زعماء هذه البلدان من أن فرنسا الاستعمارية لن تتنازل عن احتلال هذه الأقطار إلا بقوة السلاح، لأنها لا تفهم إلا لغة الرصاص وقد مضى على الحركة الوطنية المعارية زهاء نصف قرن من الزمن، وهي تطالب فرنسا سلمياً بمنح هؤلاء السكان حقوقهم في الحرية والاستقلال ولكنها ظلت تصر على أن الجزائر هي جزء لا يتجزأ من الراضي الفرنسية، وأن تونس والمغرب هما محميتان فرنسيتان لا يمكن الطعن فيهما.

وهكذا ظل الوضع في الجزائر منذ مطلع الخمسينات يشغل بال كثير من السياسيين الوطنيين في كل من الجزائر وتونس على حد سواء، لاسيما منذ أن أصبح التعبير عن صراع القومية الجزائرية مع الاحتلال الفرنسي تعبيرا مباشرا تحدث عنه مختلف الجهات السياسية والإعلامية، وأصبحت القضية الجزائرية تستقطب الوطنيين الثوريين الأحرار في العالم كله، كما تستقطب السياسيين الليبراليين في فرنسا ذاتها. وفي هذا السياق نقلت جريدة الصباح التونسية في يوم ثلاثين أبريل 1954م، تصريحاً لأحد الصحفيين الفرنسيين الم. جيل مارتيني: رئيس تحرير جريدة الملاحظ "l'observateur" أدلى به للجريدة، مما جاء فيه: "إذا فكرنا مثل وزرائنا، فإن المسائل لا تصبح مؤكدة، إلا إذا لم نتحرك لنا الحوادث مجال التفصيل، يجوز لنا القول بأن المشكلة الجزائرية غير مؤكدة، ولكن إذا كنا نعتقد أنه يحق

¹ - المصدر نفسه.

اعتبار المشكلة مؤكدة ابتداء من الحين، الذي يبقى فيه متسع قليل من الوقت كله وجب علينا أن نضع مشكلة الجزائر في طليعة شواغلنا " .

وقد ظلت الصحافة التونسية تتحدث عن القضايا المغربية مجتمعة أحيانا ومنفردة أحيانا أخرى، ولكنها غالبا ما كانت تركز على موافق السياسيين الفرنسيين المتضاربة أحيانا والمتفقة أحيانا أخرى اتجاه الجزائر التي كانت تشكل العمود الفقري في حركة التحرر المغربي. وإذا كانت المسألة التونسية والمغربية تثير هواجس الخوف في نفوس السياسيين الفرنسيين من أنه إذا تم التسامح معهما على الاستقلال الداخلي، فإنهما سيسعيان إلى الاستقلال التام عن فرنسا وبالتالي فإن الجزائر التي تعتبر " القلب النابض " لأقطار الشمال الإفريقي الخاضعة للإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية، فخذ طريقها إلى الانفصال هي الأخرى عن الكيان السياسي لفرنسا . ومن ثمة فإن الدولة الفرنسية ستغدو صغيرة سياسيا واقتصاديا وعسكريا .

أما بعد اندلاع الثورة الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954م، فإن خطاب الصحافة التونسية قد تغير نوعا لتغير الوضع في الجزائر. وإذا كنا لا نملك المقالات التي تتحدث عن الثورة الجزائرية منذ شهر نوفمبر 1954م، فإن المقالات التي في متناول أيدينا منذ شهر فيفري 1955م، تركز على الأوضاع الخطيرة التي أصبحت تهدد الوجود الفرنسي حقيقة في الجزائر .

وقد أثارت معركة سياسية في البرلمان الفرنسي من النواب الاستعماريين المتطرفين والنواب المعتدلين، ولم تتوقف حتى استقلال الجزائر سنة 1962م¹.

والحق أن السياسيين الفرنسيين، كانوا يربطون القضية التونسية بالقضية الجزائرية ويعتبرون ما يقع في الجزائر، أو في تونس سيؤثر على البند الآخر لا بحالة.

ففرسيو الجزائر كانوا مناهضين للسياسة التي تتبع مع تونسي في ذلك الوقت.

وقد احتج م. كروزي الجمهوري على هذه السياسة فقال: " إن فرنسي الجزائر عازمون على الدفاع عنها مهما كلفها ذلك من ثمن وذلك ضد حكومة أثارت اضطرابات الجزائر بالمفاوضات التي أجرتها مع تونس " ².

وبعد تصريح السيد كروزي، جاء دور نائب وهران م. كليسي الجمهوري المستقل فقال: "... إن الأمن لم يستتب بالجزائر وأن ثلاث مائة جندي فرنسي أصبحوا غير قادرين على حمل السلاح وأن تسع وثلاثين آخرين قد قتلوا في أسابيع بفعل الإرهابيين، ومع ذلك فإن جموع المسلمين ما لبثوا مخلصين، غير أن عمل الحكومة الفرنسية قد عطل تطورا كاد يؤدي بالفرنسيين والمسلمين إلى المساواة، وعلى وزير الداخلية أن

¹ - جريدة الصباح التونسية: صور جنيد لمعركة شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 6.

² - جريدة الصباح التونسية: مرجع سابق، ص 6.

يعمل بحزم وأن يؤكد للشوار بأنهم لن يحصلوا على الأمل كما حدثه مع فلاقة تونس¹. وغير النائب عن خوفه من أن تكون سياسة م. سوستيل معادية للمعمرين.

أما النائب الشيوعي "م. غويو"، فقد هاجم سياسة الحكومة الفرنسية في الجزائر ووصف عملها بأنه عمل إرهابي أو قمع تقوم به ضد السكان الأهالي، وأن البوليس رجال يقدمون على تعذيب المعتقلين. وهكذا كانت الجلسة البرلمانية الفرنسية في شهر فيفري سنة 1955م، جلسة معمة بالأراء والنظريات الاستعمارية والتحررية في آن واحد.

قيما عبر النواب الاستعماريون ممثلو الكونون في الجزائر عن أسفهم لتهاون الحكومة الفرنسية في قمع الثورة الجزائرية والتساهل مع الفلاقة في تونس حسب قولهم، واعتبروا أن الإصلاحات التي يشرف عليها وزير الداخلية وبطبقها حالا سوستيل في الجزائر إصلاحات ستقضي في النهاية إلى فصل الجزائر عن فرنسا، والرأي عندهم هو عدم التنازل عن حقوق فرنسا في بلدان الشمال الإفريقي، لأنها هي صاحبة الحق. ينبغي أن نحافظ على حقوقها مهما كلفها ذلك من أهوان وعتاد ورجال، في حين طالب النواب الشيوعيون بوقف الإرهاب الفرنسي والقمع المنتهج في الجزائر وإعطاء المغرب الأقصى حقه في الاستقلال التام.

ومن البرلمان الفرنسي وموقف بعض النواب الاستعماريين المتطرفين واليساريين الشيوعيين المعارضين لسياسة القمع والتعذيب في الجزائر، تنتقل إلى موقف إحدى المنظمات الجزائرية العتيدة المسعنة من الرععم الثوري المتزايد في الجزائر، ألا وهي "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، التي نشرت على أعمدة جريدتها البصائر مقالا بعنوان "النصر للجزائر"، ونقلته جريدة الصباح التونسية تحت عنوان "نصر للقضية الجزائرية"، مما جاء فيه: "نقتطف هذه الفقرات من افتتاحية قوية باللهجة صارمة الواقع مع زميلنا الجزائريين" البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن التطور الذي اتخذته قضية الجزائر الشقيقة، وهي كما قالت الرملة قضية بلغت لأول مرة حدا سقطت من أجنحة حكومة فرنسا.

"إن هذه الحادثة تعتبر عنصرا عظيما وكسا ثريا للقضية الجزائرية، فهي قضية قد أخذت تكتسح المعازل الحكومية والبرلمانية، وصارت بفضل قوة الأمة وإيمانها وثماسكها، من القضايا التي تسقط من أجلها حكومات، وتتشكل من أجلها حكومات، وأصبح أمر تغيير الحالة في الجزائر محور المذكرات التي تجري بين مختلف الأحزاب والشخصيات قبيل تشكيل الحكومة والنقطة الأساسية في تحرير منهجها الحكومي..."² وتواصل جريدة الصباح التونسية نقلا عن جريدة البصائر الجزائرية: "... إن هذا الاندفاع الشعبي العظيم الذي شمل كل أوجه الحياة في القطر الجزائري، يستطيع به أن يحقق هذا الوطن العزيز ما يرجوه من حرية كاملة، وحكم شعبي ونظم عادلة، وسواء وقفت حكومة (منديس فرانس) مع هذا التيار الجارف وحاولت

¹ - الممكن نفسه.

² - جريدة الصباح: نصر للقضية الجزائرية، العدد 4965، 1955/02/10، ص 2.

محاربه فسقطت، أو وقفت حكومة الغد ضد هذا التيار الجارف وحاولت كسره فكسرت، فإن هذا التيار الشعبي الجارف سينتصر وسيفوز وسيحطم أمامه كل مقاومة، وسيكسر أمامه كل الحواجز وسيوصل الجزائر إلى ساحل أمانيها ويحقق لها أمالها في حياة السعادة والكرامة".¹

كان أول تعبير حازم يصدر عن العلماء في الجزائر بعد صدور بيان محمد البشير الإبراهيمي من القاهرة يوم الثالث من شهر نوفمبر 1954م²، على الرغم من أن بيان الإبراهيمي كان أشدّ لهجة وأعظم تشريح لأوضاع الجزائر في ظل الاحتلال وأحرّ طعنة خاطب بها الشعب ودعاه إلى الالتفاف حول الثورة، فإن بيان الجمعية من قلب الجزائر يعد أقوى وأخطر البيانات التي صدرت عن الأحزاب والجمعيات السياسية والثقافية، والدينية حتى ذلك التاريخ طبعاً، باستثناء بيان أول نوفمبر، ولم يتوقف بيان الجمعية عند تحريض الجماهير على الالتفاف حول الثورة التي لم يذكرها بالاسم، وإنما ذهب إلى أبعد من ذلك عندما قال: "... إن الصبر لمن صبر الساعة الأخيرة، ونحن في الساعة الأخيرة من هذا الكفاح الطويل المرير، فنصبر ونصابر ولنتربط، ولنكن نحن الصابرين في الساعة الأخيرة، ولنعلم أن تحقيق الأماني وتحرير البلاد من قيود الاستعباد، ليس هو نتيجة تسعى حكومة أو برنامج حزب، أو ألعوبة مجلس نيابي لا يعرف نفسه، بل أن كل ذلك هو نتيجة تضامن الأمة وتماسكها ووقوفها الموقف المشرف في الدفاع عن حقها، فلتكن أمتنا كذلك، ولتبقى كذلك والمستقبل لها". وتتابع جريدة الصباح³ دائماً ما يقع في الجزائر بشكل مستمر من خلال الصحافة الجزائرية أو الصحافة الفرنسية على حد سواء، وقد نقلت في شهر مارس 1955م برنامج الاتحاد الديمقراطي الجزائري بزعامة السيد فرحات عباس⁴ عن جريدة الجمهورية الجزائرية الناطقة بلسان الحزب ومن خلال هذا البرنامج يتضح للباحث أن السيد فرحات عباس، وإن كانت نظراته إلى الجزائر قد تطورت بشكل واضح فإنه حتى شهر مارس 1955م، كان ما يزال يحلم بالحل السياسي مع فرنسا عن طريق الإصلاحات، في وقت كانت فيه نيران الثورة تلتهب في الأوراس وفي الشمال القسنطيني وفي بلاد القبائل وفي مناطق أخرى من الوطن⁵ كما جاء في جريدة الصباح، غير أن الشيء الذي يهتما في هذا السياق هي الموضوعات التي كانت تنشر في الصحافة عن الثورة الجزائرية عموماً وعن العلاقات الجزائرية التونسية في شتى المجالات إبان مرحلة الدراسة على وجه الخصوص.

أما في شهر أبريل 1955م، فنقّبس من جريدة الصباح تصريحاً بشره وفد شمال إفريقيا في مؤتمر باتندونغ يوم 20 أبريل 1955م، والذي وقعته عن تونس الزعيم "صالح بن يوسف" وعن الجزائر الزعيم "حميد أيت أحمد"، وعن المغرب الزعيم "علال الفاسي"، وقد جاء في هذا التصريح الذي نقلته "هرانس باريس"

1 - الشكّل نفسه.

2 - الشيخ البشير الإبراهيمي: الأمازيغ.

3 - جريدة الصباح التونسية: مرجع سابق، ص 2.

4 - جريدة الصباح التونسية: جمعية الصداقة الجزائرية، العدد 978، 05/03/1955 بر من 1.

أن وفد شمال إفريقيا طلب من الكتلة الآسيوية الأفريقية أن تتخذ في الأمم المتحدة أيضا موقفا مدعما وفعالا في تحرير الجزائر وتونس والمغرب بصورة لا تصبح كلمة حق الشعوب في التصرف في شؤونها بنفسها كلمة جوعاء، ويجب أن يكون الهدف الأول هو استقلال شمال إفريقيا، ويجب أن تكون الدورة العاشرة للأمم المتحدة مقصورة على مناقشة النظام الاستعماري¹، ويقترح التصريح أن يكون رؤساء حكومات الدول الآسيوية والإفريقية حاضرين تلك الدورة، وذلك حتى يكون لتدخل وفودهم في المناقشة صبغة قوية تعبر عن العزم الراسخ. وفيما عدا الأمم المتحدة يوصي التصريح بشن حملة دبلوماسية تقوم بها الدول المشاركة في مؤتمر باندونغ، ويطلب من هذا المؤتمر أن يصادق على قرار حازم يعبر فيه عن إرادته في مضاعفة المساندة للأمان القومي لشعوب الجزائر وتونس والمغرب². ويستطرد التصريح قائلا: "أنه نظرا للحالة الخطرة جدا في شمال إفريقيا والدواع الذي تزداد حلقاته استحكاما كل يوم بين فرنسا وبلاد شمال إفريقيا تقترح أن يعد المؤتمر عدة إجراءات عاجلة مثل: "عرض الوساطة"، ويطلب وفد شمال إفريقيا من جهة أخرى اتخاذ موقف واضح ضد النظام اللاشعبي القائم الآن بالمغرب العربي، وفي الختام يطلب الوفد من المؤتمر أن يستمع إلى تمثلي شمال إفريقيا الذين ليس لهم حتى الآن حق صفة التمثيل الرسمي بالمؤتمر³.

وهكذا بدأت العلاقات السياسية الجزائرية التونسية إبان الثورة تتطور يوما بعد يوم وننتقل من العمل السياسي الوجودي المعاري العام إلى العمل السياسي الثنائي بين القيادتين الجزائرية والتونسية وصارت الصحف التونسية تردد اهتماما بالجزائر وثورتها المباركة حتى بلغت الذروة في التأييد والمساندة المطنقة للثورة وقادتها وشعبها المكافح.

فجريدة الصباح التونسية مثلا لم تكن تكفي بنشر الأخبار التي تزودها بها وكالات الأنباء العالمية حول الثورة الجزائرية فحسب، وإنما كانت تعتمد في نقل المقالات التي نشرها الصحافة سواء في فرنسا أو في بلاد المغرب العربي وتقبس من هذه الجريدة ملخصا عن مقال تفتته عن جريدة "توليزي فرانس"، كتب بقلم "براني بانس" بعنوان: "الاستسلام في تونس خطر على الجزائر"، إن مضمون هذا المقال لا ينطبق تماما على العنوان الكبير، لأنه يعتبر الثورة في تونس واستسلام فرنسا أمام التونسيين هو خطر على الجزائر، والحقيقة هو خطر على فرنسا وليس على الجزائريين، بل العكس فإن الجزائر ستستفيد من استقلال تونس كما تستفيد من أية هزيمة تفحق بفرنسا سواء في تونس أو في المغرب، أو في أية مستعمرة فرنسية أخرى، ولكن بما أن فرنسا تعتبر الجزائر فرنسية، فإن تعبير الكاتب يكون تعبيراً صحيحاً، وهو في الواقع تعبير خاطئ، وقد قسم مقاله إلى عدة عناوين فرعية وهي: "لا بد من الثورة، صداقة بالجناس، الثورة مع

¹ - جريدة الصباح التونسية- وفد شمال إفريقيا في مؤتمر باندونغ، العدد 1017، تونس: 1955/04/20، ص:1.

² - المرجع نفسه.

³ - المكان نفسه.

التوسيين"¹. وهذا المقال الذي سلخص فيه بعض الفقرات، هو امتداد لمقال سابق لم تتمكن من العثور على محتواه.

وهذا المقال الذي سلخص منه بعض الفقرات هو امتداد لمقال سابق لم تتمكن من العثور على محتواه. ونما جاء فيه: "ولكن ما يجب أن نقوله هو أنه إذا لم يرفع التفاوض وثورة كما نأملها فإننا لا نحالة محتواة ما هو أسوأ، وهو خياع الجزائر والمغرب الأقصى، لأن يكون نتيجة حتمية لخياح تونس، والكاتب هنا يدعوا المستوطنين في الجزائر وتونس والمغرب إلى الثورة على الحكومة الفرنسية بسبب الخيانة التي قد تلحق بها في الجزائر والمغرب إذا استسلمت في تونس للأمر الواقع ومنحت التوسيين الاستقلال الداخلي والاستقلال التام.

والكاتب هنا ينتقد الحكومة الفرنسية ويتهبها بالبور والخنوع للتهديدات الخارجية ويعني بذلك "العلاقة في تونس"، ويقول: "إن بعض أصلقائنا من الجزائريين بعد أن تبين لهم الفلاسفة في تونس أنهم يساءلون معنا إذا لم تكن الساعة التي تؤذن أحيرا ينتهاء أيام فرنسا.

وعما إذا لم يكن من الأسبب لهم أن يشرعوا في التعاون مع الأعداء: فقبل حركة الإرهاب في تونس كان فيها أصدقاؤنا يشكلون 95% في المائة من السكان وكانوا يعلنون ذلك ويصرحون به. ولكن عندما انتصر الإرهاب وكذب له أن يتفوق لم تعد هذه الصداقة التي ما تزال قائمة في داخل نفوسهم نستطيع أن تعلن عن نفسها ومن ذا الذي يجرؤ أن يؤخذ هؤلاء الناس على هذا الموقف بعد أن لم نعرف كيف نصيبهم؟ كيف نواخذهم على أن لن يعودوا يتقون فرنسا التي ظهرت أمامهم في مظهم من حشر ذلته وقدرات وسخاوته وثقته بنفسه على أن القدرة والشجاعة والثقة بالنفس ما تزال موجودة في فرنسا وتكفي الظواهر وحدها هي التي تقوم ضدينا"².

إن صاحبة هذا المقال، قد حذر الحكومة الفرنسية من فقدان أصدقاؤها بالجزائر إذا استمر الخوار على ما هم عليه من الضعف والتقهقر أمام الثوار في الجزائر وتونس معا.

ويواصل الكاتب تعليقه على وضع فرنسا في الجزائر وتونس مبيها إلى الخطر الذي قد ينجم عن هجرة الجزائريين إلى تونس بسبب استسلام فرنسا فيها لم يتوقف هيبة مع الأوراس بالجزائر ويعري نصاعة الثورة فيها إلى نجاح الثوار في تونس الذين يصفهم بالإرهابيين في البداية معاً: "منذ الآن بدأ البعض من مواطنينا المستعبيين في الجزائر ممن هم مهددون مباشرة بالجنون في الطريق المؤدي إلى تونس بفضل استسلام فرنسا فيها، إن أعدائنا كان قسم من المرأة ما جعلهم يعتقدون أننا خائفاء، فالأمر الساري اليوم بين الناس في الأوراس هو أن الإرهاب قد انتصر في تونس فلماذا لا ينجح في الجزائر أيضاً.

¹ - برابي بانس: الاستسلام في تونس خطر على الجزائر، جريدة الصباح التونسية، العدد: 1017، 1955/04/20، ص 1.

² - برابي بانس: الاستسلام في تونس خطر على الجزائر، مرجع سابق، ص 1.

وبضيف الكاتب متفدا السياسة الفرنسية في الجزائر قائلا : " ففي الانتخابات الإقليمية الأخيرة في مقاطعتي قسنطينة ثمكنت حزب الاتحاد الديمقراطي الذي يرعاه " فرحات عباس " من أن يجد أنصارا ويكسب أصواتا كثيرة وذلك بفضل تقاضيه مع المثلة في هذه المنطقة .
الفتاة اللذين يسميهم " جنود التحرير الأبطال " والإدارة الفرنسية لا تهنئ شيئا من هذه التدخيلة الخفية ولكن ماذا كان رد فعلها عليها ؟ عجز واضح فكيف إذن يعجب بعد هذا من أن يتضاعف الاعتداءات وتكثر وتعمد الثورة الممنوحة كل يسيرهم أكبر¹ .

إن هذا الكاتب الذي انتقد الحكومة الفرنسية بحري سبب انتشار الثورة وتطورها في كل أنحاء القطر الجزائري يوما بعد يوم إلى هاون إدارة الاحتلال في المؤيد من القمع والإرهاب للسكان ويعترف بأن الشعب الجزائري أصبح باحصر هذه الثورة والمتضامنين معها حتى من السياسيين الجزائريين الذين لم ينظموا بعد لتصفوف الثورة بحرب السيد فرحات عباس " الاتحاد الديمقراطي لبيبان الجزائري " .
وهات هذا الكاتب أن يدرك أن هذه الثورة ليست كتورات القرن التاسع عشر أو مضالع القرن العشرين ، لأنها ثورة شعبية قائمة على الأساليب الحديثة في المقاومة الوطنية .

إن الكاتب الفرنسي الاستعماري المتطرف " بوني باتس " لم يكن ماثقدا الحكومة الفرنسية فحسب ، بل فقد انتهى به الأمر إلى دعوة فرنسي تونس والجزائر إلى الثورة على السياسة الفرنسية في كل من تونس والجزائر لأنه يرى الوضع في كلا البلدين مرتبط ببعضه البعض والتعني عن تونس عن طريق السياسة والدبلوماسية يؤدي لا محالة إلى قفسه ان الجزائر .

وهذا ما يؤيد المستوطنين الغلاة لأهم يعتقدون أن الجزائر هي قطعة من أجسادهم وليس فقط قطعة من فرنسا وإنما جاء في هذه الفقرة من المقال قوله : " نللك هي الحالة اليوم ، الحالة البائسة التي نللك بكل خطر وخوف ، ولكن بما أن باريس ترفض أن تدرك واقعهم ، فإن الوقت إذن قد حان لكي نستطيع ، نستطيع لتدخل إلى جانب أميدقائنا التونسيين في الكفاح المحتوم الذي يستعدون له " .

إن هزيمة الحكومة الفرنسية في تونس خطر عمت لجزائر الفرنسية وفرنسيو الجزائر لا يمكنهم أن يتأفروا هذا الخطر إلا بالاعتماد على أنفسهم ، لقد دقت الساعة التي يجب عليهم فيها أن يتركوا الخطر الخندق لهم ويقابلوه ، بما يجب من رد الفعل أما غدا فإن الوقت يكون قد فات وقد علقمت جريدة الصباح التونسية على هذا المقال الذي نقلته من صحيفة " تونيزي فرانس " منتقدة صاحب المقال لقد لاأها معهم دعواته سافرة لفرنسيي تونس والجزائر للقيام بالانتفاضة والثورة على الحكومة الفرنسية ذاتها واعتبرت صاحب

¹ - المراجع نفسه .

هذه الدعوة رحلتا استعماريًا متحلفًا عن العمبر¹ : "...ههنا إذ أن أقوام ما يزالون مضربين على أن يبقوا عمياء لا يفقهون شيئًا عنى الرغم من جميع الكوارث التي قامها الشعب الفرنسي في سبيل قطعهم الاستعمارية الحديثة . ثم دم بالإضافة إلى ذلك فقد فقدت منهم كل روح وطنية حقيقية لبلادهم وأنهم ، زاحين بأنهم في حرب حقيقية خائفة ضد شعوب مسالمة لا تبحث إلا عن صداقة الشعب الفرنسي واحترامه ...".

لا تفتأ جريدة الصباح التونسية تواصل مقالاتها الراصد تلو الآخر عن الأوضاع في المغرب العربي . وتكثفها تمركز دائما على الجزائر نظرا لما يقع فيها من أحداث حساس بعد تدلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م . وقد نشرت في يوم 26 ماي 1955 مقالا بعنوان " لابد من الحل السياسي " تناول فيه الكاتب بعض ما تعاجه الصحافة الفرنسية حول القضية الجزائرية وخاصة وبلدان الشمال الإفريقي بصفة عامة .

وقد ركز فيه على مقال " م.جان روس " الذي نشر في جريدة " غران تبرور " الفرنسية ومما جاء فيه : " تدرجت الحالة في الجزائر نحو حالة من الخطر غير عنها " م.سوميل " نفسه بأنها تدعو إلى التخلي في مقاطعة قسنطينة ، كما تدرج الوضع في المغرب إلى زيادة حركة الإرهاب " .²

أما في تونس فإنه على الرغم من الاستفزازات التي يقوم بها المتطرفون من الاستعماريين والمتعصبين لإعادة القوضي إلى البلاد التونسية فإن الوضعية في تونس في مجموعها عادية والشعب هناك ينتظر عودة الحبيب بورقيبة والوراء التونسيين إلى بلادهم بعد التوقيع على الاتفاقيات ، فإذا كان الأمر كذلك في تونس فكما تنمى على الرغم من الاستفزازات الجارية لم تتطور فيها الحوادث إلى التعكير العام . فإن أفضل في ذلك يرجع إلى الأسلوب الذي عولت به المشكلة التونسية والذي تدار به إليها على أنها مشكلة عامة تسببت في الثورة والإرهاب وكان الحل الناجح ما هو " الحل السياسي " ، أما في الجزائر فإننا لا نزال في مرحلة القمع والضغط " .³

وأن خطورة الوضع فيها جعلنا نبلغ درجة لا تقلو من جنون في استعمال اجهاز العسكري بصورة لم يسبق لها مثيل ، ولكن النتيجة التي نحصلها عنها أظهرت أنه لا يمدنا شيئا أن نرجل المشكلة السياسية ، إن بقاينا دائما على الطريقة التي تقول : " النظام أولا ثم الإصلاحات فيما بعد مع صرف 90% من جهودنا في عمليات الضغط والقمع و10% في المعالجة السياسية هو الذي يعسم الشر " .⁴

1 - بوابي مانس : الامتثال في تونس خطر على الجزائر ، مرجع سابق ، ص 1.

2 - م.جان روس : " لابد من الحل السياسي " ، جريدة الصباح ، العدد 1049 ، 1955/5/26 ، ص 41.

3 - المرجع نفسه، ص 1.

4 - نفسه.

ويعطي الكاتب " جان روس " صورة تقييمية لأوضاع الثورة و جيش الاحتلال معا في الجزائر ويعتبر فرنسا من أن الثورة لم تعد تقتصر على الأوراس ، وإنما انتشرت شمالا لنعم عمالة قسنطينة كلها تقريبا ، ويقدم مقارنة بين الثوار الجزائريين والجيش الفرنسي في مسألة الاستمادة من حرب الفيتنام فيما أن الجزائريين استفادوا فعلا من هذه الحرب لاسيما في السرية والاعتماد على الشعب في التمويه، بينما لم يستفد الجندي الفرنسي من ذلك أي شيء.

ويعبر المسألة الجزائرية مسألة سياسية لا عسكرية : " إن الثورة الجزائرية عندما بدأت كان عدد أعضائها يضع مئات في جبال الأوراس ، ولكننا اليوم نشاهد مقاطعة قسنطينة كلها في " حالة الطوارئ " و كل المثلث الواقع بين قسنطينة سكيكدة والمليحة أصبح منطقة فقد فيها الأمن، والثوار يحولون أنفسهم إلى المركزية التي عندهم لها الأهالي بصورة مباشرة أو غير مباشرة وهم يستعملون أسلوب الفيتناميين الذي لا يراهم به أحد في حين أن محاربينا نحن يظهر عليهم أنهم لم يتعلموا شيئا من تلك الحرب في الهند الصينية . أما معارضة هذه القوة التي نستعملها في إثارة الفتن في جنوب السكان لثورة الثوار الذين لا يراهم والذين يعملون بأمنوب النكر والفر فمعناه أننا نظهر مرة أخرى عجز قواتنا العسكرية الجزائرية من جهة، كما نقيم من جهة أخرى الدليل على أن المشكلة مشكلة سياسية فمادامت تستطيع البداية أن تفعل ضد البداية التي تلتبع اسمها قاتلا ؟"

ويستمر الكاتب في نقد سلطات الاحتلال في الجزائر بل وفي الحكومة الفرنسية قاطبة على السياسة الخمداء التي كانت تسلكها مع الثوار ، ومع الوضع العام في البلاد بصورة عامة فهو يرى أن المسؤولية الجماعية التي تطبقها " سوستيل " في الجزائر ضد السكان لم تجد نفعا سادما هنا معمرين متعصبين ينفذون أمام الإصلاحات وأمام الحل السياسي.

ومما يزيد الكاتب فحشا وتشاوما من الحل هو غياب سلطة واحدة في الجزائر يمكن التفاوض معها لحل المشكلة الجزائرية كما هم الحال في تونس مثلا ، ويختم مقاله بأن الحل الوحيد للمسألة الجزائرية هو الحل السياسي لا الحل العسكري : مضمينا :

" فكمي تقع نسلطة العقاب على السكان المتعاضين مع الثوار . تنظر الإدارة محسبما يشاع - في تطبيق المسؤولية الجماعية وقال : سوستيل في هذا الصدد : " إن المسؤولية الجماعية يجب أن تطبق على سكان البوادي الذين تقع في جهتهم أعمال اعتداء أو تخريب لا يمكن القيام بها إلا بمساعدة أولئك السكان " ، ولكن هل يعتقد " سوستيل " حقا في هذه الطريقة ويؤمن بهذه الفكرة ؟ أم تعلمه التجربة بأنها أعظم دليل على الضعف ؟ إن مما يحزن القلب أن " سوستيل " عندما يطالب بالإصلاحات تقاومه عناصر الإستعمار وتخرب

أعماله وننادي تنحيته من منصبه وعندما يتخذ تدابير للقمع يجد أن أولئك الاستعماريين أنفسهم قد تجاوزوه وأفلت منه رماهم ومادا يبقى للشعب الجزائري من كل ذلك ؟¹

ويضيف " جان روس " قائلا : " الواقع أن خطورة المأساة الجزائرية تضعنا أمام السؤال الآتي : كيف أمكن أن يتطور عدد الثوار في أشهر قليلة من بضعة مئات إلى عدة آلاف ؟ ولماذا امتدت منطقة الخطر إلى مقاطعة بأكملها بقطع النظر عما يجري في بلاد القبائل عن بعد سبعين كيلو مترا من الشواطئ ؟ إن هذا السؤال وحده كاف ليقم الدليل على إفلاس سياسة بأكملها ، إن المؤسف هو أن الجزائر ليس فيها رئيس سياسي يخضع له جميع الناس بحيث يستطيع أن يقبل حل معقول في نظر الجميع كما هو الشأن في تونس وليس فيها سلطان مخضوع يمكن أن يتدخل في الأمر ويعين على الحل الممكن ، وإنما فيها أحزاب وطنية منقسمة ولكن يظهر أهم لا يمكنون سلطة على الثوار إذ أن هؤلاء الأخيرين يولفون نوعا من القوة الثالثة انطلقوا في طريق الحل الذي قادهم إليه اليأس والبلاد كلها بفعل سياسة حمقاء أصبحت مادة انفجارية وتسير اليوم حركة التمرد بشكل يتنبه انفجارات البوارود ."

ويضيف قائلا : " فمن هو الذي يمنع بالتنفيذ اللازم لإيقاف هذه العمليات ؟ وما هو الحل الذي يمكن أن يقود إلى إنفاق معقول ؟ ."

من المخرن مرة أخرى أن لا نجد جوابا على هذا السؤال إلا السكوت الفاجع ؟ ومع ذلك فإن الكلمة يجب أن لا تبقى للرشاشات والمدافع - خاصة - ونقول هذا على الرغم من أنه لا يسر أصحاب القوة وأن المدفع وحتى الدبابة عاجزان أمام رشاشة صغيرة يجهزها شاب في قلبه الإيمان سواء أحيينا هذا أم كرهنا وسواء أردنا أم لم نرد؛ فإننا سنكون يجهزين في الجزائر على أن نعطي الأولوية للحل السياسي ."

وإذا كان جان روس يتفقد الحكومة الفرنسية على اتخاذها كما يرى أمام ثوار الجزائر المكافحين فإن لجنة تحرير شمال إفريقيا ترفع في الوقت نفسه عقيرتها منادية بتأييد الشعب الجزائري في كفاحه ضد الاحتلال الفرنسي وتعلن عن تأييدها لكل من تونس و الجزائر وقيس بدول مؤتمر بانلونغ 29 وبدول الجامعة العربية التي صادقت على لائحة للتدخل تدخل سريعاً لفتح مفاوضات بين فرنسا ومثلي الجزائر "وترفع اللجنة صوفاً نصارم الاحتجاج لدى الحكومات المشاركة في عضوية ميثاق الأطلسي ، لأنها سمحت لفرنسا باستخدام قوات خاضعة لسلطة هذه المنظمة وكان استخدامها في الجزائر وبذلك تكون متواطئة مع الاستعمار الذي استنكره العالم أجمع. وهكذا ظلت الصحافة التونسية نولي اهتماما مباشرا بتطور الأوضاع السياسية في الجزائر لاسيما منذ اندلاع شرارة الفاجع من نوفمبر 1954م، تنقل وترجم وتنشر ما يصرح به السياسيون العسكريون الفرنسيون سواء في فرنسا أو في الجزائر، ونعيد نشر ما تكتبه الصحافة العالمية بعد ترجمته إلى اللغة العربية معققة ومحللة وناقدة تارة وناشرة للأخبار دون التعليق والنقد تارة أخرى، وما

1 - المرجع السابق.

أن تونس والجزائر كانتا تعانيان من نظام استعماري واحد، فإن المقالات كانت تجمع غالبا بين أوضاع البلدين، وتربط بينهما في الصراع والضراء، وتحاول التقريب بين سياسة البلدين في العمل والدعوة إلى التحرير الوطني متبعة أعمال المنظمات العربية والدولية التي تنص على للقضايا السياسية في البلاد المغاربية لاسيما الجزائر.

إن جرائد الصباح والعمل والأسبوع والدستور كانت تضع القضية الجزائرية في مقدمة قضايا الشمال الإفريقي، لاسيما الأسبوع والصباح وهو توجه إن دل على شيء، فإنما يدل على عراقة العلاقات الجزائرية التونسية وتطورها بتطور الظروف السياسية والمناخات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وسنرى في البحث الثاني كيف تعمقت تلك العلاقات السياسية والعسكرية بين البلدين حتى صارت تونس تمثل القاعدة الخلفية للجزائر طوال سبع سنوات ونصف.

البحث الثاني: المكانة السياسية في العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة :

لاشك أن الدارس للعلاقات السياسية الجزائرية التونسية إبان الثورة، يجد أنها قد حظيت بمكانة هامة لدى التونسيين من حيث الاهتمام السياسي وحجم التضامن الشعبي، وذلك بحكم الجوار وتوطد الصلات السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية بين القطرين، ولهذا اعتمدت الثورة الجزائرية منذ اندلاعها على الواجهة التونسية كمنطلق للتزويد بالأسلحة وتركيز القواعد الخفية والنشاطات الإعلامية والسياسية، وفي هذا الصدد سنحاول النظر في مظاهر التنسيق بين جبهة التحرير الوطني والحكومة التونسية بخصوص تأييد الثورة الجزائرية، وإبراز مواقف النظام التونسي من دعم الكفاح السياسي والتعبوي للقضية الجزائرية بالتعرض لخلفيات الموقف التونسي وأبعاده في مدى فاعليته في دعم القضية الجزائرية..

والحق أن التوجه المغاربي المشترك في تعميم الكفاح المسلح سرعان ما فتر إثر تصريح فرطاج ومباشرة الحزب الدستوري لمفاوضته مع فرنسا لإنهاء المقاومة، إذ كانت العناصر المؤثرة في الحزب تحرص على أن يكون إطار العمل المسلح محدد بالحوال والزمان، لكونه عنصر ضغط على فرنسا، إلغاء نظام الحماية والجلوس إلى المفاوضات، لكن هذه السياسة ما كانت لتثمر في رأينا لولا انعكاسات الثورة الجزائرية، فقد أدى اندلاعها بعد أشهر من تصريح فرطاج إلى إسراع فرنسا بوثيرة مع التونسيين، وسلمت في جوان 1955م بالاستقلال الذاتي لتونس، وعززت موقف بورقيبة في مواجهة الرافضين لهذا الاتفاق والداعين إلى مواصلة الكفاح المسلح ومساندة الثورة الجزائرية¹.

وفي الوقت الذي كانت فيه الثورة الجزائرية قد نفوذها إلى تونس وتعاون مع أنصار "صالح بن يوسف" لتمرير السلاح وشن الهجمات على القوات الفرنسية، كان الصراع على أشده بين بورقيبة وصالح

¹ - ربيعة علير: الثورة الجزائرية والمغرب العربي، مجلة المصادر العدد 4، مركز البحوث في الحركة الوطنية والثورة التحريرية (1954م-1962م)، الجزائر، 1999، ص 142-143.

بن يوسف، إذ كان كل منهما يحاول تأكيد اتجاهه، ولكن حدة الصراع خففت إثر إعلان فرنسا استقلال تونس في مارس 1956م¹. وفي السياق الرافض للعلاج الأحادي في بلدان الشمال الإفريقي، وبعد تغلب تيار بورقيبة صرح "حسين التريكي" عضو لجنة تحرير المغرب العربي إلى جريدة الشعب الجزائرية الصادرة في 28 ماي 1956م قائلا: "إن كل حل لقطر واحد من أقطار المغرب العربي يعتبر خديعة استعمارية فاضحة، ولا يمكن أن يؤمن استقلال أي قطر، ولذلك فإننا نؤمن أن استقلال تونس ومراكش متوقف على استقلال الجزائر، وهذا يجب الفرنسيين يلجؤون إلى المناورات السياسية، وألفاظ الاستقلال ضمن التكامل والتبعية المتبادلة، وذلك حتى يتمكنوا من إضعاف المغرب ونشيت صفوة، وبذلك تتاح لهم الفرصة للظفر بالمغرب بنذا تلر الآخر، كما احتلوا العرب قطرا بعد قطر، إن الثورة المتدلعة الآن في الجزائر هي في الحقيقة ثورة المغرب العربي، ولذلك وجب على كل من شعبي تونس ومراكش أن يساندوا الجزائر في ثورتها لكي تتمكن من الحصول على استقلالهما الحقيقي والاحتفاظ به، وكم يؤسفنا أن نرى بعض زعماء تونس وقد انطلقت عليهم تلك المؤامرات فأخذوا في التخلي عن النضال الموحد، بل أنهم تجاوزوا ذلك عندما اندفعوا لمغادرة جيش التحرير الجزائري، ووقفوا إلى جانب من يقاوم العلم والتحرير".²

من هذا المنطلق فإنه من الواضح أن زعماء العرب كانوا يؤكدون بقوة على ضرورة وحدة الكفاح المغربي، ويعتبرون ثورة الجزائر هي ثورة المغرب العربي كله، وليست ثورة الجزائر وحدها. وقد أكد من قبل السيد فرحات عباس "ما ذهب إليه السيد "حسين التريكي" عندما صرح في ندوة صحفية بالقاهرة يوم 25 أبريل 1956م، قائلا: "إن كيان الجزائر مرتبط كل الارتباط بكيان تونس ... فمن المعلوم أن الغزو الفرنسي للجزائر كان السبب المباشر في غزو تونس أيضا ... فكيف يتصور بعد هذا غزو الجارتين الشقيقتين تحررا حقيقيا، مع بقاء الإستعمار الفرنسي في الجزائر؟ فلما أن يتم تحرير الجزائر أو أن يكون استقلال تونس ... بمرد سراب خادع، لقد توحدت الآن جميع القوات الوطنية المكافحة ضد الاستعمار في سائر أنحاء المغرب العربي تحت قيادة موحدة ..."³.

وفي إطار العلاقات الجزائرية التونسية علقت صحيفة جريدة الجزائر "le journal d'Alger" قائلا: "هل هناك محاولة تونسية جزائرية تحمل فرنسا على مراجعة القضية الجزائرية؟ وقد علقت على هذا العنوان بعد أن أعلنت عن زيارة السيد "محمد اليزيد" إلى تونس قائلة: لقد أجرى السيد اليزيد في السابق عدة محادثات مع المسؤولين الجزائريين بتونس، فهل المراد من هذه المحادثات الاتفاق على السياسة التي ينبغي إتباعها لتعزيز الحركة الوطنية بالجزائر؟ أم هو البحث عن حل يكلف وسيط رسمي يعرضه على الحكومة

1- قضي التوب: عبد الناصر وثورة الجزائر، 11، دار المستقبل العربي، القاهرة 1984م، ص 180.

2- جريدة الشعب الجزائرية، 1956/05/28.

3- جريدة العمل التونسية: هناك محاولة تونسية جزائرية لحمل فرنسا على مراجعة القضية الجزائرية، العدد: 460، 16 أبريل 1957م، ص 1-6.

الفرنسية؟ وتؤكد أن هناك محاولة تونسية جزائرية جديدة تعد لحمل فرنسا قريبا على مراجعة القضية الجزائرية...¹

والحق أن حجم التضامن الشعبي التونسي وتمسك المعارضة بمواقفها، فرض على حكومة بورقيبة دعم الثورة الجزائرية خصوصا السماح للثوار الجزائريين بمواصلة نشاطهم بتونس مثلما كان يحدث سابقا . ولكن لم يكن بوسع تونس عشية استقلالها أن تعلن دعمها للثورة الجزائرية، أو تبدي تأييدها لأهداف جبهة التحرير الوطني في كفاحها، خاصة وأن النفوذ العسكري والاقتصادي كان ما يزال سيد الموقف ولم يتحقق لنشاط الثورة الجزائرية، ولذلك راحت تقدم دعمها الخفي للجزائر، وهي في مفاوضات مع الجزائر وتناور من خلال بذل الجهود السليمة لإيجاد حلول للقضية الجزائرية من جهة أخرى.

إن نظرة جبهة التحرير الوطني لاستقلال تونس كانت متباعدة، إذ أن مسؤولي الوفد الخارجي وثوار المنطقة المتاخمة لحدود تونس، كانوا يفضلون استمرار تونس في الكفاح ويرتاضون للتعامل مع أنصار صالح ابن يوسف في تزويد الثورة بالسلاح، حيث واصل عبد الحفي الأوراسي ومحاسن التعاون مع المعارضة عبر الجنوب التونسي.

أما مسؤولو الداخل فأدركوا أنه لا مناص من التعاون مع الحكومة الجديدة التي أبدت رغبتها في ذلك بفضل تضامن الشعب التونسي، وتفرغ في مؤتمر الصومام بعد دراسة الوضع الاعتماد على المسعى الحكومي وتنسيق العمل مع حكومة بورقيبة في الميدان السياسي والتعبوي، وخاصة إيجاد آلية محكمة لتسريع الأسلحة.²

لقد تدعم نشاط جبهة التحرير الوطني بتونس منذ شهر ماي 1956م، وذلك بإنشاء النظام السياسي والعسكري للثورة الجزائرية تحت مسؤولية عبد الحفي الأوراسي وجماعة الداخل، وبعدها بإشراف محاسن^(*)، حيث توطد النشاط السياسي والعسكري بقاعدة تونس وأطرت الجالية الجزائرية، كما ازدادت قوة التأيد الشعبي التونسي مع القضية الجزائرية، وقدمت الحكومة التونسية تسهيلات معتبرة لثورة الجزائرية وأصبح لهذه الأخيرة نفوذها الخاص في تونس منذ سنة 1956م.³

¹ - المرجع السابق.

² - بنظر المادي أحمد توفيق: **حياة كفاح منكريات**، ج3، ط2، م و ك، الجزائر، 1988م، من 152.

³ - أحمد محسن (عآي): من الأعضاء البارزين بحزب الشعب، ساهم في تأسيس اتحادية الجبهة بفرنسا إلى القاهرة سنة 1955م، لم تكلف مسؤولا عن التسليح بلجيبا، ثم عين مسؤولا سياسيا وعسكريا بتونس، حيث قام بتنظيم القاعدة ونشاطها، وأثر الموالاة لابن بنة حارص جماعة الداخل، قمت تجميعه وتكليفه بشؤون التسليح في ألمانيا إلى غاية الاستقلال.

- بنظر: GURNTRI MOHAMAD Organisation Politico-Administrative et militaire de la révolution algérienne de 1954 à 1962 OPU Alger 1994 T.I P 715.

³ - المرجع نفسه.

وهكذا كان موقف الحكومة التونسية التضامني مع الجزائر تعبيرا عن رغبة الشعب التونسي حيث اعتبر رهانا سياسيا لتحقيق الانتصار على المعارضة اليوسفية، وذلك بكسب الجزائريين إلى جانبها وتنظيم نشاطهم بشكل يحقق الاستقرار والأمن في تونس.

لذا نادرت حكومة بورقيبة بكسب الجزائريين إلى صفها والحصول على اعتراف جبهة التحرير الوطني بنظامها، وتحقيق الاستقرار والنظام في تونس بشكل يؤهل الرئيس بورقيبة لإقامة علاقات التعاون مع فرنسا وفي إطارها يسهل معالجة مشاكل الشمال الإفريقي، غير أن المشكل الجزائري وقف عائقا أمام تعاون الحكومة التونسية مع فرنسا، وتعرضت المفاوضات التونسية الفرنسية حول اتفاقية التعاون إلى الانقطاع المستمر نتيجة تصليب الموقف الفرنسي وإصراره على بقاء القوات الفرنسية في تونس، وضرورة إيقاف مساعدة التوار الجزائريين، والتزام موقف أخير بخصوص المشكل الجزائري.

وعلى الرغم من التسهيلات المدعمة لنشاط جبهة التحرير الوطني في تونس، فإن الموقف السياسي للحكومة التونسية لم يرق إلى مستوى أهداف ومبادئ الثورة الجزائرية، نظرا لاختلاف التوجهات السياسية وتباين طبيعة القضية الجزائرية عن القضية التونسية، وينحلي لنا أن تصور المشكل الجزائري في نظر بورقيبة ينم عن تجاهله لحقيقة الثورة الجزائرية.

إذا لم يكن بورقيبة يسم بأن الجزائريين أدرى بحلافهم وأعرف بحلول قضيتهم، وعلى الرغم من اعترافه أن المشكل التونسي يختلف عن المشكل الجزائري وتسليمه باختلاف الوضع بينهما، فإنه كان يظن أن فرنسا كما نازلت عن تونس والمغرب ستلجأ للتفاوض مع الجزائر والتنازل عليها.

وأن على هؤلاء ألا يعولوا على الخلل العسكري فيقبلوا بمبادرة التفاوض مع فرنسا ولو أدى ذلك إلى القبول ببدأ الحكم الذاتي¹ السلمية التي تضمن للشعب الجزائري الشفيع حقوقه الوطنية لمسود الاطمئنان كامل أقطار شمال إفريقيا ويزول آخر عامل يكدح صفو العلاقات بين الشعبين التونسي والفرنسي².

والحق أن الحكومة التونسية قد أدركت خطورة انعكاسات حرب الجزائر على الاستقلال التونسي الذي أكدت أنه لا يزال ناقصا ولن يكتمل إلا بإيجاد حل للقضية الجزائرية خاصة وأن حساسية الشعب التونسي تزايدت أمام القمع الفرنسي المتواصل للشعب الجزائري ومطاردة القوات الفرنسية المربطة في تونس للتوار الجزائريين، وعليه فقد قام الرئيس بورقيبة منذ 1956م، بتقديم اقتراحات لمفاوض بين طرفي النزاع، كما دعا للتعاون بين أقطار الشمال الإفريقي الثلاثة، وإيجاد تسوية للمشكلة الجزائرية في إطار

1- ينظر: بورقيبة الحبيب من أقوال المجاهد الأكبر الرئيس الحبيب بورقيبة، ط1، شركة فنون الرسم، 1984م، ص 75.

2- خطاب الرئيس بورقيبة في مجلس الأمة التونسي 19 أفريل 1956م، المصدر السابق.

الجامعة الفرنسية- الشمال إفريقية وتوالت الاتصالات بين المسؤولين الجزائريين وحكومة تونس. بالتحضير لعقد ندوة في تونس يوم 23 أكتوبر 1956م، للتباحث والتشاور فيما يخص وحدة الشمال الإفريقي. وسبل فض المشكل الجزائري، وعلقت تونس أماني كيرني على نجاح الندوة، وكان بورقية يعتقد أن الحكومة الفرنسية تبدي رغبة في عقد لقاء ثلاثي يجمعه مع الملك محمد الخامس والقادة الجزائريين، ليعرض مطالب مشتركة تقدم إليها، لكن ثقة بورقية والملك محمد الخامس في فرنسا وثقة زعماء جبهة التحرير الوطني في قادة الشمال الإفريقي، كانت نتيجةها الفرصة الجيدة للطائرة المقلدة للزعماء الجزائريين الخمسة، وهي في طريقها من المغرب إلى تونس، وكان الهدف من عمل الإدارة الفرنسية هذا هو إفشال الندوة واعتقال ابن بلة ورفاقه، وهو ما أثار استنكار جبهة التحرير الوطني وضاعف من تضامن تونس مع القضية الجزائرية فقد قامت احتجاجات شعبية عارمة في تونس، وقامت الحكومة التونسية باستدعاء سفيرها بباريس وطالبت بإطلاق سراح المعتقلين¹.

وأكدت أن هذه الفرصة قد نقلت كفاح الجزائر إلى تونس، وباعدت الشمال الإفريقي عن فرنسا وفقرت بالمشكل الجزائري نحو عطلورة أشد، وأكد الرئيس بورقية أن السنطانات الفرنسية لن تتمكن من إحباط ما عطلت له ندوة تونس من أهداف، وأن انعكاسات هذه الحادثة ستعود بالفائدة على القضية الجزائرية². وبذلك عرفت العلاقات التونسية الفرنسية نزاعا كبيرا بفعل هذا الحادث، إلا أن توجهات الرئيس بورقية كان هدفها النجاح دائما إلى الغرب لطرح قضايا الشمال الإفريقي، لهذا قام بمساع مع الرئيس الأمريكي إيزنهاور بخصوص تعاون بلاده مع الولايات المتحدة الأمريكية في محاولة للضغط على فرنسا لإيجاد حلول سلمية للقضية الجزائرية.

وتحتمس بورقية لإقامة مشروع حلف ببدان غربي البحر الأبيض المتوسط، وهو تحالف غربي يمكن أن يجد حولا للمسألة الجزائرية بعد أن وافقت كثير من الأطراف على الانضمام إليه وحاول بورقية إقناع جبهة التحرير الوطني بالانضمام إلى هذا الحلف، لكن مساعيه واتصالاته بقيادة الجبهة باءت بالفشل، على الرغم من تأكيده لقوائد هذا الحلف وأن الولايات المتحدة الأمريكية ستمارس ضغطها على فرنسا للقيام بمفاوضات مع الجزائريين، إلا أن توجه جبهة التحرير الوطني عارض مثل هذه الأحلاف.

إن تطور المشكل الجزائري الذي هدده كامل الشمال الإفريقي دفع تونس إلى التأكيد على ضرورة تكتل الشمال الإفريقي، لهذا قام الرئيس بورقية بعدة مساع في هذا الاتجاه مع المغرب وإيبيا، ف عقدت تونس معاهدة تضامن وصداقة مع الحكومة المغربية في مارس 1957م، وبعد شهرين عقدت معاهدة أخرى مع

¹ جرجير قليل عمارة: ملحمة الجزائر الجديدة، ط2، دار النهضة، قسنطينة، 1991، ج3، ص 133، 134.
² ينظر: المقاومة الجزائرية، العدد 15 (20 ماي 1957م)، ص 12.

المملكة الليبية سنة 1957م، وأكدت المعاهدتان ضرورة الوصول إلى حل سلمي لقضية الجزائر في إطار تكتل الشمال الإفريقي.

لقد وجدت هذه الجهود التونسية على المستوى الإفريقي تجاوبا لدى المسؤولين الجزائريين، ومكنت جبهة التحرير الوطني من تأكيد مطلب وحدة الشمال الإفريقي، وخصوصا كسب تعاون السلطات التونسية في الميدان السياسي، والاستفادة من تسهيلاتها المهمة في تمرير الأسلحة واستقبال اللاجئين واعتماد الأراضي التونسية كقواعد خلفية لتنوار¹، وبمناسبة احتفالات تونس بالذكرى الأولى للاستقلال استدعت الحكومة التونسية وفدا رسميا يمثل جبهة التحرير الوطني.

وقد اعتبرت الأوساط الفرنسية هذا الإجراء آنذاك بمثابة اعتراف تونسي بجبهة التحرير الوطني ولم يؤكد الرئيس بورقيبة هذا الاعتراف صراحة من قبل، وهو يدعو الطوفين الفرنسي والجزائري إلى إيجاد حل عادل على أساس تقرير مصير الشعب الجزائري، وكانت المناسبة فرصة لمؤيد الجزائري لإجراء الاتصالات مع الوفود الدولية ليؤكد في ندوة صحفية على أهداف النضال الجزائري، ورغبة الشعب الجزائري في التخلص من الاستعمار وانتزاع استقلاله بنفسه² "إن جبهة التحرير الوطني لا يمكن أن تقتنع بحل لا يسبقه الاعتراف باستقلالها"⁽³⁾.

لقد تأكد انخراط السياسي جبهة التحرير الوطني في تونس بعد التحاق لجنة التنسيق والتنفيذ C.C.I في ماي 1957م، واتصالها بالمسؤولين التونسيين لشتمين فعالية الدعم التونسي لنشاطات جبهة التحرير الوطني السياسية والتعبوية والاجتماعية، وركز أول اجتماع لها في تونس على تنظيم شؤون الثورة بهذه القاعدة الإستراتيجية، ولكن بعد شهرين فضلت الالتحاق بالقاهرة.

ويبدو أن تونس لم تكن في مكان آمن نظرا لحرشات القوات الفرنسية لها، فاختارت لجنة التنسيق والتنفيذ الجزائرية القاهرة مقرا لها لأهمية مصر آنذاك ومساندتها للقضية الجزائرية كما أن نوابا الرئيس بورقيبة وعروضه التفاوضية لم تكن تريح أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ ففضلت الانسحاب خشية الاصطدام بالنظام التونسي².

لقد كانت أهداف جبهة التحرير الوطني من الكفاح المسلح هو تحقيق اعتراف فرنسا باستقلال الجزائر كمبدأ أساسي للتفاوض وإيقاف القتال، وقد تضمنت ميثاق الثورة هذا المبدأ الأساسي، لكن لجنة التنسيق والتنفيذ لم تثره بشكل جلي للنظام التونسي، إلا خلال اجتماعها في تونس أكتوبر 1958م، قبل

¹ انظر الذيب فتحي: عيد النصر وثورة الجزائر، مرجع سابق، ص: 361.
² خلال هذا الاجتماع دعت جبهة التحرير الوطني إلى ضرورة عقد لقاء مع الحكومتين التونسية والسريية لبحث خطة موحدة لحصول الجزائر على استقلالها، وأكدت على مبدأ الاستقلال التام كشرط للدخول في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية انظر نص بيان لجنة التنسيق والتنفيذ، بشهر أكتوبر عني، وزارة الإعلام والثقافة.
 انظر: ملفات وثائقية، رقم 24، النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني (1954-1962)، مصدر سابق، ص: 131-132.
³ انظر الذيب فتحي: عيد النصر وثورة الجزائر، مرجع سابق، ص: 106-361.

شروع الرئيس بورقيبة في مباحثاته مع الملك محمد الخامس و طرح مشروع الوساطة المشتركة إيجاد حل للمشكل الجزائري^(*).

ولاشك أن التمسك هذا المطلب يتعارض تماما مع مبدأ وأسلوب بورقيبة في التعامل مع القضايا السياسية، واجتمع الرئيس بورقيبة مرتين بقيادة جبهة التحرير الوطني قبل سفره إلى المغرب محاولا إقناعهم بعدم التمسك بشرط الاستقلال، لأن ذلك يصعب موقفهم دوليا في الوقت الراهن، موضحا : " إن أي شعب يتاضل إن يحصل على استقلاله مباشرة بل يتم بالتدريج"¹.

وحاول الرئيس بورقيبة استمالة الملك محمد الخامس للضغط على قادة الثورة وتلين موقفهم، لكن محادثات المسؤولين الجزائريين مع الملك محمد الخامس وضعت حدا لتلك التأثيرات، وصدر البيان المشترك التونسي المغربي في نوفمبر 1957م، مؤكدا على موقف جبهة التحرير الوطني، وتضمن توجيه الطرفين " نداء حارا لإجراء مفاوضات تؤدي إلى حل عاجل بقضي إلى تجسيد سيادة الشعب الجزائري وفقا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة".

واقترح البيان وساطة الدولتين التونسية والمغربية على أنواع لحل المشكلة الجزائرية، وردت جبهة التحرير الوطني بالإيجاب على مبدأ الوساطة موضحة في بيان لها تمسكها بمبدأ الاستقلال " نعم لتجسيد السيادة إن كانت تعني الاستقلال لا إذا كانت تسجل في التراجع"².

ولاشك أن مشروع الوساطة المشتركة جاء متقدما على مقترحات الوساطة التونسية السابقة، كما أنه حقق مكسبين لجبهة التحرير الوطني، فعلى الرغم من رفض فرنسا للمشروع فهو يعترف على لسان الدولتين التونسية والمغربية بمشروعية الكفاح الذي تقوضه جبهة التحرير الوطني ويؤكد حق الشعب الجزائري في السيادة، وأن جبهة التحرير الوطني تعتبر مفاوضا رسميا لحل القضية الجزائرية، وأدى تمسك الحكومة التونسية بمبدأ الوساطة إلى دعم القضية الجزائرية سياسيا، ولم ينته عام 1957م، حتى صادقت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالإجماع على توصية تسجل الوساطة المغربية كسبيل حل مشكلة الجزائر³.

غير أن الحكومة الفرنسية رفضت مشروع الوساطة مدعية أن تونس والمغرب ليستا محايدتين للتراجع، ولا تكفيان عن دعم النوار الجزائريين، ووجهت الحكومة الفرنسية حملة دعائية للشكوك في مضمون الوساطة مثيرة الشكوك حول مفهوم السيادة وأهداف الوساطة، وما إذا كان غرضها إيقاف القتال أم حصول ضمانات السيادة، ومن جملة ردود الرئيس بورقيبة المتمسكة بأهداف الوساطة تأكيده على وجوب تغيير فرنسا إطارها القانوني الذي ندعيه على الجزائر مؤكدا للرأي العام الفرنسي الأهداف الوطنية

(*) - خلال هذا الاجتماع دعت جبهة التحرير الوطني إلى ضرورة عقد لقاء مع الحكومتين التونسية والمغربية لبحث خطة موحدة لحصول الجزائر على استقلالها، وأكبت على مبدأ الاستقلال التام كشرط للتدخل في مفاوضات مع الحكومة.

¹ - ينظر الديب، فتحي: المرجع السابق، ص 361-490.

² - EL MOUJDAHID ORGANE CENTRALE DU FLN , Imprimé en Yougoslavie, Juin.

³ - ينظر أياي محمد : سوايف جزائرية، ص 50.

لثوار الجزائريين: "إن هؤلاء الناس حملوا السلاح من أجل انتراع الاستقلال، ولا يمكن أن يقبلوا عرض وساطة من أجل إيقاف القتال فقط من غير أن يكون وراءه شيء غير الإطار القانوني"¹.

إن استمرار مساندة الحكومة التونسية للثورة الجزائرية واعتبارها مشروع الوساطة خلا سياسيا حاسما لمعالجة المشكل الجزائري سبب تطور العلاقات التونسية الفرنسية، وأكدت تونس فشل أسلوب التعاون المنتهج مع فرنسا، إذ شكلت مسألة الجزائر حجر عثرة أمام تواصل سياسة التعاون التي كانت تونس في أمس الحاجة إليها لتصنيع البلاد، وهذا ما جعل الرئيس بورقيبة يعيد النظر في سياسة بلاده الخارجية فقد أكد أنه "لا سبيل إلى تعاون صحيح دائم بيننا وبين فرنسا ما دامت الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي... لا يمكن أن تكون ضماناتنا مرتاحة للتعاون مع دولة تستعمل وسائل جهنمية لقمع حركة استقلالية ترمي إلى التحرر والاعتناق" وإزاء سياسة تونس المتبعة بشأن القضية الجزائرية تلكأت فرنسا في توقيع الاتفاقية المالية، المتعلقة بالفرض الفرنسي لتونس، وأوضحت عن عدم استعدادها لتوقيع هذه الاتفاقية المقترحة بـ 14 مليار فرنك ما دامت تونس وحكومتها تؤيد الثوار الجزائريين، وأمام الضغوط الفرنسية المتوالية أوضح الرئيس بورقيبة موقف بلاده في رفض شكل التعاون المشروط الذي تطرحه فرنسا، وأكد: "إنني أصرح بصفتي رئيس حكومة أننا لسنا بحاجة إلى تلك القروض، إذا أريد لها استعمالها وسيلة ضغط علينا"²، كما مارست القوات الفرنسية بالجزائر ضغوطا على الحكومة التونسية بحجة تتبع الثوار الجزائريين وقطع المساندة التي يتلقونها من تونس، وشهدت القرى والمدن التونسية القريبة من الحدود حملة متزايدة من الاعتداءات والمطاردات، أثارت تدمير السكان الذين تعرضوا للاقتداء وهدمت منازلهم وأتلفت مزارعهم، وحالبت الحكومة التونسية بوضع حد لهذه الأعمال المخالفة للاتفاقيات المبرمة بين تونس وفرنسا والقانون الدولي.

وأكدت وجوب احترام سيادة الأراضي التونسية وحلاء القوات الفرنسية عن تونس³ ولم تسبب هذه الاعتداءات قطع التضامن التونسي الجزائري بقدر ما زادت تآججا، وجأت السلطات الفرنسية للمطالبة بإقامة منطقة حدودية محايمة تفصل الجزائر عن تونس. وتحرسها القوات الأهمية أو قوات مشتركة تونسية فرنسية كإجراء وحيد لكف اعتداءاتها، وأمام فشل أساليبها العسكرية اهتدت إلى مناورة حراسة الحدود بهدف الحد من نشاط الثوار المتزايد وقطع الإمدادات والاتصالات بين تونس والجزائر، وهذا ما أكدته رئيس الحكومة الفرنسية أمام المجلس الشعبي الوطني بقوله: "ستعمل الحكومة الفرنسية بجميع الوسائل اللازمة لإنهاء

¹ - ينظر المجلد: الإنسان المركزي لجهة التحرير الوطني (الطبعة التونسية): العدد 16، ص 32.

² - ينظر بخصوص سياسة التعاون الفرنسية ومسألة الجزائر: محمد حسني بحسن: حول اتجاهات السياسة التونسية، مجلة العلوم تصدرها الجمعية المصرية للعلوم السياسية، القاهرة، العدد 3 (ديسمبر 1957م)، ص 11-32.

³ - حقق محمد، وقام للشهداء، شركة العمل للنشر، تونس، 1968م، ص 177.

الإعانة التي منحها تونس للجزائريين، يجب أن يفهم السيد بورقيبة بأنه يعرض الصداقة التونسية الفرنسية للخطر".

وقد أوضحت الحكومة التونسية استنكارها للاعتداءات التي تسيطرها القوات الفرنسية على التونسيين والجزائريين، واتخذت أحادية النجد منها، ورفضت أي شكل من أشكال التدخل في تونس، ودعم قبولها بإقامة قوات مشتركة لحراسة الحدود أو أن تقوم القوات الأممية بهذه المهمة التي ستكون في غير صالح الجزائريين¹، وأمام هذا الرفض واصل غلاة الاستعماريين بالجزائر تقديماتهم للطعن في السيادة التونسية وإثارة المشاكل للحكومة التونسية حتى لا تتوصل لأي اتفاق مع الحكومة الفرنسية يحقق مكاسب للتعاون أو يغضي إلى جلاء القوات الفرنسية من تونس، إذ قامت القوات الفرنسية بشن هجوم على قرية عين دراهم الحدودية في ماي 1957م، وادعت أن الثوار الجزائريين تسببوا فيه لعرقلة المفاوضات التونسية الفرنسية، وأرادت القوات الفرنسية تحويل هزيمتها العسكرية خلال معركة جبل الكوشة بالتراب الجزائري إلى نصر دبلوماسي بالادعاء أن الثوار الجزائريين يحاربون فوق التراب التونسي وعلى التونسيين أن يتحملوا مسؤولياتهم².

وإذا كانت الأحداث العسكرية في بداية الخمسينات لم تبدأ من الجزائر، لأن الاحتلال الفرنسي كان يلقي بكل ثقله على هذه البلاد باعتبارها القلب النابض الذي يحرك الجناحين تونس والمغرب ولذلك تأخرت الثورة المسلحة في الجزائر عن شقيقتها (تونس والمغرب) ولكنها عندما انطلقت كانت أقوى وأعنف وأشمل من تلك التي اندلعت في تونس سنة 1952م، لأنها ولدت من رحم المعاناة السياسية والحرمان الاقتصادي والإقصاء الاجتماعي والتهميش الثقافي وجرح في الهوية الوطنية.

حقا إن الثورة الجزائرية لم تكن ردة فعل تتجاوزت غلاة المستوطنين وروحية إدارة الاحتلال، ولكن هذه الأفعال كانت معبرة ضمن الأسباب الحقيقية في تفجير ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م.

حقا إن تطور الوعي السياسي وتضاعد المشاعر الوطنية بضرورة بناء الدولة القومية "الدولة الأمة"، كان عسرا قويا في حركة التحرر الوطني، ولكن ذلك لا ينفي تكاثف العوامل الأخرى التي كانت مكرسة في نفوس النخبة والجمهير على حد سوي.

إن التصقح للصحافة التونسية بحمد الثورة الجزائرية فتح مساحة شاسعة في صحائف تلك اليوميات والأسبوعيات والدوريات التي كانت تصدر فيها نظرا لنشاط الدؤوب، والعمل المكثف الذي تقوم به جبهة التحرير الوطني في هذا البلد، أو في بلدان أخرى.

1 - قليل عسار: منحة الجزائر الجديدة، مرجع سابق، ج2، ص 77.
2 - المجاهد: العدد 16118 فيفري 1958م، ص2.

اعتمدت الثورة الجزائرية في الدأخل على الكفاح المسلح وتنظيم الشعب بعيدا عن إدارة الاحتلال، واعتمدت في الخارج على الدعاية السياسية الواسعة في كل أصقاع المعمورة، لأن الدعاية هي واحدة من الركائز الأساس في أي عمل يراد له النجاح والكمال، والثورة الجزائرية كسائر ثورات العالم في حاجة ماسة إلى الدعاية لترويج أفكارها وأهدافها والرد على خصومها ودعائهم المضادة، ومن يتحكم في أساليب الدعاية يضمن ربح المعركة والنصر على الأعداء لأن "... معركة الأفكار لها أهمية أكبر من حرب الأسلحة..."¹، ولكن السلطات الاستعمارية لم تكن غافلة عن هذا العمل الهام، وكان لها باع طويل باعتمادها على "العمل السيكولوجي" للرد على دعاية جبهة التحرير الوطني وبت دعائتها الخاصة.

كانت الصحافة التونسية التي تعكس حالة الوجود الجزائري في تونس في نطاق عملها هذا العمل ضاعف من ثقل المهمة على كاهل من كتبوا في الصحافة التونسية من الجزائريين بأنهم دائما كانوا خاصعين للرقابة المشددة، وعلى الرغم من ذلك أدوا المهمة حسب المستطاع.

وقد كانت الصحافة التونسية تطرق مختلف الموضوعات عن الجزائر، ولكنها تركز في الغالب على التلميح بفرنسا باعتبارها دولة استعمارية معتدية.

ومن بين الموضوعات التي كانت تكتبها جريدة الصباح التونسية مثلا مقال بعنوان: "متى يتعظ الفرنسيون؟" بتاريخ 19 جانفي 1957م، مما جاء فيه: "أن السباب والشتم هما أروع أنواع الكفاح وأهون ضروب الحرب على الأعداء وإنما نقوله سرد للحقائق وتقريراً للوقائع، مبرهتين عليه بالدلائل والشواهد، مؤيدين إياه بأحكام المجتمع الدولي..." الجزائريون بأنظارهم شطر إخوانهم الإفريقيين ونعني بهم شعبي تونس والمغرب لأن المقال الأول يهسها مباشرة وأكثر من غيرهم فاستقلال تونس والمغرب يبقى ناقصا ومهددا من قبل فرنسا ما دامت الجزائر لم تستقل بعد²، فالجزائر بمثابة قلب الطائر الذي جناحه المغرب وتونس، ويوم سددت فرنسا سهمها إلى قلب الطائر سقط دون مقاومة³.

وكما بحدت الأقاليم التونسية للدفاع عن حرية الجزائر واستقلالها، شن الكتاب الجزائريون من تونس أيضا حملة واسعة النطاق ضد الممارسات القمعية العنصرية في الجزائر، والتي تقوم بها سلطات الاحتلال الفرنسي، مدافعين على مبدأ الحرية والاستقلال للشعب الجزائري وفي هذا السياق كتب كل من الأديب الجزائري الطاهر وطار والمؤرخ الجزائري يحي بوعزيز والأديب حمادي بغيريش مقالات ضافية دعما للثورة ونقد الاستعمار، قال الأول: "حينما رفع الجزائريون أصواتهم لطلب المساندة من الأشقاء وحتم عليها حتى يكون المغرب العربي أهلا للحرية، التي حصل عليها جزء، ويكافح من أجلها جزء آخر، حدثت الاستجابة لندائهم

¹ رشيد: متى يتعظ الفرنسيون؟ الصباح، 19 جانفي 1957م، ص 3.
² عبد الرحمن شبان: عيد تونس عيدنا، جريدة الصباح 20 مار من 1957م، ص 2.
³ -الصنبر نفسه.

الكل يحاول أن يقدم ما يقدر عليه، سواء كانوا من ذوي المسؤوليات أو من سطاء الناس، بل وحتى المسؤولون المدعمون شاركوا في ذلك".¹

وقال الثاني: "إذن مساعدة الجزائر هي ضمان الاحتفاظ بهذه الحرية التي دفع البلدان في سبيلها ثمنًا باهظًا بعد أن فهم أن الاستعمار لا يفقه إلا لغة الحديد والنار".²

وكتب الثالث مقالًا عن الثورة الجزائرية والاحتلال الفرنسي وعلاقتها بتونس والمغرب، حيث أوضح أن البلدين مرتبطان بالجزائر جغرافيًا وروحياً وأن ما يقع في الجزائر يؤثر على البلدين الآخرين، وهذا دأبنا في إطار نشاط جبهة التحرير الوطني.

لقد كانت المواقف بين جبهة التحرير الوطني والحكومة التونسية مواقف منسجمة على الدوام إلا في بعض المخططات الاحتلافية عند التونسيين.

ولعل أول خلاف وقع بين الثورة الجزائرية والحزب الدستوري كان حول الاستقلال الداخلي لتونس، والذي بدأ من تصريح قرطاج يوم 31 جويلية 1954م كما رأينا من قبل - والذي اعترف فيه رئيس الحكومة الفرنسية "منديس فرانس" بالاستقلال الداخلي لتونس وهونقطة البداية في الطريق الذي أدى إلى استقلال تونس يوم 20 مارس 1956م، بعد تجربة قصيرة من الحكم الذاتي ابتداء من 3 جوان 1955م. الشيء الذي أدى إلى توقف المقاومة المسلحة التونسية لهائلاً بتسليم أسلحة المقاومين في شهر ديسمبر 1954م، أي في الوقت الذي انطلقت فيه الثورة الجزائرية في شهر نوفمبر 1954م، هذا الأمر قد ألقى الجزائريين غصاصة وأغم في بداية الطريق وفي حاجة ماسة إلى المساندة، مما جعلهم يرفعون عفيروهم لاستنكار استسلام المقاومة التونسية، معتبرين ذلك "عاراً على تونس" و"نقطة سوداء تسجل في طريق تونس الحافل بالبطولات النادرة، والمواقف الشجاعة والكفاح المرير والجهاد المقدس" أما "تجربة التفاوض فتحربة خاطئة" تنكرها الأمة الجزائرية وتصفها بكل سوء.³

وقد علق أحد الكتاب التونسيين "الحبيب بن ناسي" على عملية الاستقلال الداخلي لتونس قائلاً: "لقد تحمل الديوان السياسي للحزب الدستوري الحر، وزر هذه التجربة وتوجهت له الاتهامات أقلها أنه ارتكب حناية على الحركة الثورية بالجزائر عندما أرغم الثوار التونسيين على الاستسلام".⁴

والملاحظ أن هذه ليست هي المرة الأولى التي يتعرض فيها الديوان السياسي للإنتفاذ من طرف الجزائريين، بل فإن ذلك يعود إلى أيام مشاركته في حكومة تنسيق المفاوضات خصوصاً عند موافقته على إصلاحات 8 فيفري 1951 فكانه "... ضرب القضية المغاربية عامة من الخنق وفي وقت عصيب..."⁵.

¹ - الطاهر وصار: هات بنك يا أخي التونسي، الصباح، 12 أوت، 1956م، ص 3.
² - يحي بوعزيز: بعض قضية الجزائر مشكلة العرب يا قوم...، جريدة الصباح، 10 أوت 1957م، ص 3.
³ - العربي التونسي: عار عنيك يا تونس، الأسبوع، 26 ديسمبر 1955م، ص 10.
⁴ - فضيل الورتلاني: الجزائر الشائرة، ص 51.
⁵ - أحمد توفيق المدني: تصريح للعلم المغربي، الزهرة، 2 ديسمبر 1955م، ص 2.

"وقد اعتبر الجزائريون أنصار الليبرال السياسي للحزب الدستوري آخر أناسا إلتفاعيين وأصحاب مصالح شخصية لا يهمهم من الأمر كله إلا ملء جيوبهم وتوسيع مزارعهم"، أي أنهم يشكلون تاربا بالمناضلين الجزائريين بدون ميادئ يدفعون عنها، ووصل الأمر إلى حد مهاجمة بورقية: باعتباره رئيس الحزب، ومهندس المفاوضات والاتفاقيات مع فرنسا، بواسطة منشورات أذيعت في الجزائر العاصمة¹ لذلك فقد ناصر الجزائريون صالح بن يوسف في خلافته مع بورقية، وخاصة أنه كان يتادي بسقوط اتفاقيات الاستقلال الداخلي وبوجوب مواصلة الكفاح المسلح إلى غاية الاستقلال التام للبلدان الثلاثة: تونس، الجزائر والمغرب، عن فرنسا دفعة واحدة". وقد جر عليهم هذا الموقف مضايقات وملاحقات من قبل الشرطة التونسية عقب انتصار جناح بورقية². يبدو أن هذا الموقف الذي وقفه المناضلون المثقفون الجزائريون، كان يتأثر من تلك المنشورات -السابقة الذكر- وخاصة البلاغات التي كان يصدرها الوفد الخارجي بجهة التحرير الوطني لتأييد صالح بن يوسف ضد الحبيب بورقية.

والحق أن هذه الانتقادات الجزائرية للسياسة التونسية: قد توقفت بعد تحقيق استقلالها التام يوم 20 مارس 1956م، وتحكم الحبيب بورقية في الأوضاع وإن ظهر البعض منها بطريقة نبتة وخافتة³.

وإذا كانت اتفاقيات الحكم الذاتي لم تستمر كثيرا ونحوت إلى الاستقلال التام، فإن تأثيرها كان مباشرا على الثورة الجزائرية، لأنها حررت قوات إضافية كانت مشغولة بها في محاربة (الفلاحة) تونس وتحويلها إلى الجزائر لمقبع الثورة، مع توفير ميزة إضافية وهي تقنين المضاريف العسكرية، التي كانت تثقل كاهل الميزانية الفرنسية⁴، وهذا يؤدي إلى أن: "... تزيد قدم الاستعمار رسوخا في الجزائر فيكب له بذلك الخنود، وتعيش الجزائر المسكينة محنة احتلالا أبديا سرمديا... وذلك هو الخوف الأكبر"⁵.

أما الحزب الدستوري التونسي بزعامة الحبيب بورقية فقد كان يؤمن دوما بأولوية الإستراتيجية السياسية على العمل العسكري⁶ وبأنه يستحيل تكوين قيادة عامة تدير من القاهرة الثورات في البلدان الثلاث، التي هي في مراحل مختلفة من التطور والنضج، ولأن الحركة الوطنية التونسية الأنصح والأشد تطورا، والأكثر تنظيما وهي التي بدأت النضال الأول فمن حقها أن تعقد اتفاقا أوليا مع فرنسا⁷ لاسترجاع جزء من الاستقلال كمرحلة أولى والاستقلال التام كمرحلة ثانية في أقصر مدة لا تتجاوز السنة أشهر، نظرا للطرفية المغربية الملائمة حسب شمد بجاوي⁸.

¹ - عن الزمان بالمقرون: الإصلاحات المهنية، الأسبوع، 12 فيفري 1951، ص2.

² - محمد ليجياوي: جانب عن الثورة الجزائرية، دار الفكر الحر، 1971م، ص 124.

³ - يحي بوعزيز: (الصباح في معارك التحرير، وصوت الجزائر الحرة، الصباح 27 أكتوبر 1956م، ص 3.

⁴ - Fathi

⁵ - حمادي بغيريش: "نهاية تخشاها فرنسا..."، الصباح، 07 أوت 1956م، ص2.

⁶ - Jean.

⁷ - نفسه.

⁸ - محمد بجاوي: مرجع سابق 13.

لا شك أن هذا الجدل العقيم قد أدى إلى اتفاق ضمني بين الطرفين فقد فهم الجزائريون أنه "... ليس ثمة حكومة مغربية أو تونسية تقبل بأن ترى بلادها في حالة حرب فيما هي تدال الاستقلال ولو مقرونا ببعض التحفظات"¹، هذا الوعي دفعهم إلى كسب القادة التونسيين وتحويل هذا البلد المتجاوز قاعدة أساسية لنشاط الثورة السياسي والدبلوماسي.

إن ضغط الثورة الجزائرية وتصاعدها ومعارضة صالح بن يوسف جعل الحبيب بورقيبة يتصلب في سياسته نحو فرنسا، وبالتالي تحقيق الاستقلال التام لتونس وتقديم الدعم للثورة الجزائرية. أفلها وجود جالية جزائرية تعيش على أرضها منذ عقود بموجب التكفل بها في تلك الظروف العصيبة من كل النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بل وحتى العسكرية أيضا.

وإذا كان مبعوثوا جبهة التحرير الوطني قبل استقلال تونس كانوا يقومون بتمويل الجيش وتوضيح أهداف الثورة في سرية تامة عن طريق البلدين الشقيقين فإنهم بعد حصول هذا البلد على استقلاله التام أصبح الدعم للثورة علنا وبدون تردد، وأمام تشدد جبهة التحرير الوطني في التمسك بمبادئها الاستقلالية التحررية، فإن حكومة تونس قد وقفت بفضل ضغط الشعب التونسي الشقيق موقفا صريحا من القضية الجزائرية²، التي تكون أساسا للتوازن في شمال إفريقيا، وهذا ما كان يدفع جبهة التحرير الوطني إلى التحفيز:

1. تحريك الشعب التونسي في الحكومة للضغط على فرنسا في الميدان الدبلوماسي.
2. توحيد النشاط السياسي بإنشاء لجنة تنسيق بين الحزب الدستوري وجبهة التحرير الوطني.
3. إنشاء لجان شعبية لتأييد الثورة الجزائرية في تونس.
4. التدخل بمختلف الوجود في جميع مناطق العالم لمناصرة الثورة الجزائرية.
5. الاتصال الدائم بالجزائريين المقيمين في تونس (القيام بعمل إيجابي ملموس لدى الرأي العام والصحافة والحكومة).
6. العمل على التضامن بين الهيئات النقابية المركزية (الاتحاد العام التونسي للشغل والاتحاد العام للعمال الجزائريين بعد تأسيسه سنة 1956م).
7. التعاون بين الجمعيات الطلابية التونسية الجزائرية والمغربية عامة.
8. تنسيق نشاط الهيئات الاقتصادية المركزية³.

وجملة القول أن العلاقات الجزائرية التونسية إبان السنوات الأولى من الكفاح الجزائري قد تميزت بمناورات سياسية كبيرة وتشجيع الأعصاب، ومحاولات استعمارية لفصل القضيتين الجزائرية والتونسية، وانقسام

¹ - محمد بيجوي، المرجع السابق، ص 115.
² - ضايل، المرجع السابق، ص 226-227.
³ - نفس المرجع.

الرأي السياسي التونسي انقساماً واضحاً بين أنصارين مؤيد لل مسار المشترك، ومعارض مثل الأول المناضل صالح بن يوسف ومثل الثاني المجاهد الحبيب بورقيبة وعلى الرغم من انتصار المعارض، فإن قيادة جبهة التحرير الوطني استطاعت أن تروج الكفة لصالحها بتفان من الشعب التونسي أولاً، ثم بالضغط السياسي والعسكري أحياناً على القيادة السياسية التونسية.

ومع أن بورقيبة زعيم الحزب الدستوري كان يميل إلى فصل الفضيتين عن بعضهما البعض عملاً بسياسة التوازن، فإنه قد وقف مواقف سياسية شجاعة إلى جانب الثورة الجزائرية، ورفض سياسة العصا والجزرة التي كانت تمارسها عليه الحكومات الفرنسية وفضل الوقوف إلى جانب الشعب الجزائري على المساعدات الفرنسية المشروطة.

ومع أنه قد حاول إقناع القيادة الثورية الجزائرية باتباع سياسة التدرج (خذ وطالب)؛ غير أن هداية القيادة الجزائرية وتمسكها القوي بالقرار المستقل، قد أفضل كل المحاولات الاستعمارية وسياسة الضغط الممارس على الحكومة التونسية، فكانت العلاقات خلال الفترة الواقعة بين (1954م-1958م) هي علاقة بناء وتأسيس جديد للتقارب الملحمي بين البلدين الشقيقين، وسيوضح استمرار العلاقات بين الشعبين إلى غاية 1962م، مدى أهمية هذه المرحلة في تخطيط المناورات الاستعمارية على صخرة العسود والتضامن والاتحاد بين الجزائر وتونس في المبحث الآتي.

المبحث الثالث: تطور العلاقات الجزائرية التونسية 1957-1962م:

في اجتماع انعقد بليبيا بين القيادتين التونسية والليبية حضرها الرئيس "بورقيبة" ورئيس عن البرلمان الليبي " بن حليم" لمعالجة قضايا المغرب العربي، شكلت فيه القضية الجزائرية اهتماماً خاصاً بين تلك الأطراف المتجاورة، حيث استعرض كل من الرئيس بورقيبة والرئيس بن حليم الخطر الناجم عن الوضع القائم بالجزائر وتبادلاً الرأي في الطرق التي توصل إلى إيجاد حل عاجل يرضى رغبات الشعب الجزائري المناضل.

وكان من رأي الرئيس " بن حليم الليبي": " أن بلاد شمال إفريقيا ستبقى مهددة بضيغ الاستعمار إلى أن تستقل الجزائر"، في حين يرى الرئيس بورقيبة: " أنه لن تستطيع فرنسا إخضاع الجزائر ماخديداً والنار".¹

وفد تعرضت تونس نتيجة آراء بورقيبة إزاء الثورة الجزائرية إلى ضغوطات كبيرة من قبل فرنسا وقد قال " ماكس لوجون" كاتب الدولة الفرنسية للقوات المسلحة البرية بعد عودته من الجزائر إلى فرنسا في رده عن الذين سألوه حول تصريحات الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة عن الجزائر: " إن كان السيد بورقيبة قد اتخذ قرارات تم الجزائر، فقد أخذنا نحن أيضاً قراراتنا وأظن أنها ممتثلة".² وقد صرح "المنجي

1 - جريدة العمل التونسية : العدد: 484، 14 ماي 1973م، ص 6.

2 - جريدة العمل التونسية: ماكس لوجون وموقف بورقيبة من الجزائر، العدد 489، 19 ماي 1973، ص 6.

سليم" ممثل تونس في الأمم المتحدة أن العالم الحر قد يضر بمصالحه إذا ما امتنع عن التدخل في القضية الجزائرية حيث أوضح: "أن الأمن في الأمم الحرة الواقعة في حوض البحر الأبيض المتوسط معرضا للخطر إذا لم يقع تطبيق القرار المعتدل، الذي صادقت عليه الأمم المتحدة بشأن الجزائر، وأكد أن أية خطوة لم تتخذ حتى الآن تنم المقابلة بين الفرنسيين والوطنيين الجزائريين، حتى يوجد الحل المشرف المرصى للجزائر لذلك فإن الوضع يزداد خطورة يوما بعد يوم بصفة مستمرة وأن الحكومة الفرنسية تبحث في الظاهر عن حل (القضية الجزائرية) بوسائل الضغط عوض أن تستخدم طريقة المفاوضات".

وأضاف المنجي سليم "... وكما تأخر موعد الحل عظم خطر العناصر المتطرفة في الجزائر وفي البلدين المجاورين، وأن العالم الآخر يضر بنفسه ومصالحه الخاصة إذا امتنع عن التدخل في القضية الجزائرية، وعدد كبير من الأمم الحرة لا توافق سياسة فرنسا في الجزائر".

ويضيف المنجي سليم قائلا: "أن تونس بوصفها أمة حرة قد سلكت مسلك (الأمم الحرة)، وهي تريد أن تبقى مرتبطة بالعالم الحر، فإذا ما تأخر نشاطا بشأن الجزائر إلى موعد انعقاد الدورة القادمة لبيئة الأمم المتحدة، فإن الوضع سينتقد ونخشى حينئذ من أن نلاقي بعض المفاجئات المكروهة، وأن الفرنسيين قتلوا مليوناً من المدنيين الجزائريين... ونختم بيانه قائلا: لن نحول أكاذيب فرنسا ولا عدد الضحايا المتزايدة دون مواصلة الشعب الجزائري لكفاح حتى النصر"¹.

وهكذا فقد ظلت الحكومة التونسية تتعرض إلى ضغط، وحصار الحكومة الفرنسية منذ أن أعلنت موقفها الواضح من تأييد القضية الجزائرية-كما ذكرنا سابقا-.

وقد كتبت جريدة العمل التونسية لسان حال الحزب الدستوري الحر في عددها الصادر يوم 14 جانفي 1958م، تحت عنوان: "العلاقات الفرنسية التونسية تتوتر بسبب قضية الجزائر"، حيث كانت السلطات الفرنسية تتهم التونسيين بالمشاركة في المعارك ضد الفرنسيين التي تدور رحاها على الحدود الجزائرية التونسية مثل معركة (جبل الكوشة)، و(عين دراهم) و(قم الحنقة) و(ساقية سيدي يوسف) الخ...

وفي هذه الحادثة الأخيرة كتبت جريدة العمل التونسية والصادرة يوم 16 من شهر جانفي 1958م، تعليقا تحت عنوان: "العلاقات الجزائرية التونسية بين سيادة فرنسا، استغريت فيه من أن الصحافة الفرنسية قد وقفت موقفا لصالح السلطات الاستعمارية الفرنسية من حادثة ساقية سيدي يوسف وألقت المسؤولية على السلطات التونسية، لأنها وقعت على مقربة من الحدود التونسية الجزائرية.

وقد فتح هذا الحادث الباب للحكومة والصحافة الفرنسية حتى تنتهز الفرصة لاتخاذ موقف فاس تجاه تونس، فاحتجت الحكومة الفرنسية بصراحة لأنها حاربت تعتبر الحكومة التونسية المسؤول الرئيس على

¹ - جريدة العمل التونسية: "بيان من صحيفة العلم المغربية حول مجزرة ملوزة"، العدد: 504، 6 جوان 1957م، ص 1.

الحرب الحارية بالجزائر، وادعت الصحافة الفرنسية بهذه المناسبة: "أن الرئيس الحبيب بورقيبة أصبح سجين الجزائريين ولا يراقب الوضع السائد في بلاده".

ولاحظت العمل أن المتطرفين الفرنسيين الذين رفضوا منذ أنبوب الغاز الطبيعي عبر الأراضي التونسية كانوا يخافون من أن تحير الحكومة الفرنسية يوما "ما" على قبول وجهة النظر التونسية لوضع حد للحرب الجزائرية¹

لقد ظلت مشكلة الجزائر كبذل يصارع القوة الاستعمارية من أجل الاستقلال والحرية موضوعا ي طرح مجددا على كل الهيئات والمستويات التونسية، وظلت الحكومة الفرنسية تغازل تونس من أجل الضغط على الجزائر النائرة في وجه الاحتلال وما فتئت الصحافة الفرنسية تكتب المقال تلو المقال دفاعا عن سياستها في الجزائر، راعمة على الدوام: "أن الجزائر شأن داخلي فرنسي مسمرة لدفع الدول العربية والأجنبية بعيدا عن قضية الجزائر في مختلف الهيئات الدولية".

وقد علق جريدة العمل التونسية في عددها الصادر يوم 4 مارس 1958م، قائلة: "لقد أقامت الأيام الدليل على أن فرنسا ما ضحككت يوما للمغرب إلا لتشد على تونس والعكس بالعكس، وكانت دائما... تسعى لقلب مودة المغرب وتونس على حساب الجزائر لأن سيطرتها على الجزائر ضمان لاستمرار سيطرتها على تونس"¹، ثم إن الوطنية المغربية تطالب نموا وتزعزعا في نفوس المغاربة، ولا يحصل ذلك إلا باشتراكهم في الغن وحوزتهم المعارك جنباً إلى جنب وانتصارهم معا.

لقد ظلت القضية الجزائرية محور حديث كل السياسيين التونسيين في شتى المناسبات والاجتماعات واللقاءات، وقد ظل الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة يدعوا فرنسا إلى التعقل والظهور بمظهر الحق والعدالة والديمقراطية باعتبارها تنتمي إلى العالم الحر.

ويؤكد على أن التمادي في هذه الممارسات الاستعمارية سيؤدي بالمغرب جميعا إلى فقدان الثقة بالعالم الحر كله ويندد بعد خروجه من المخاضات مع الوسيط الأمريكي "روبير مورفي" بحرب الإبادة في الجزائر ويوجه نداء إلى الضمير الإنساني قائلا: "إن سياسة فرنسا تعود بنا إلى العهود المظلمة".

وبه الحبيب بورقيبة إلى أن الوسيط الأمريكي مورفي انتبه إلى خطورة الموقف في شمال إفريقيا بسبب قيام حرب الجزائر واستمرارها.

ويشير الرئيس بورقيبة في تصريح آخر حول القضية الجزائرية: "هناك ما بين المغرب وتونس منطقة تسمى الجزائر فيها عشر ملايين من البشر هم في قبضة حيوانات كاسرة لا رحمة فيها ولا شفقة، ويقع هذا وسط العالم لا في أطراف منه، بل في منطقة لا تبعد عن فرنسا بأكثر من ساعة وعن إيطاليا بساعتين

1 - جريدة العمل.

وكذلك إسبانيا ... في هذه المنطقة عشرة ملايين مهددين بالقضاء بجميع وسائل الإرهاب حتى يصبحوا فرنسيين، إن هذه الحالة خطيرة، وإذا لم تعالج قبل قوات الأوان تكون النتيجة أن نذهب جميعا إلى البحر...".

وقد لاحظ الخبيب بورقيبة انتباه العالم إلى المشكل الجزائري على أنه يمثل أخطر معضلة عالمية في شمال إفريقيا معتمدا في ذلك على تصريح وزير الخارجية الأمريكي المساعد "مستر دالون" الذي قال: "إنني أجزم بأننا سنبدل كل جهود التحقق من عدم استعمال سلاحنا كما وقع في قذف الساقية ... ربما كانت هذه الیقظة مرحلة في سبيل الحل المنشود، ومن الممكن أن يأتي الحل عن المساعي الحميدة خصوصا وقد قبلت فرنسا تشكيل لجنة فرنسية تونسية يرأسها محاييد لمراقبة الحدود. فلماذا لا تتسع مشمولاتها إلى النظر في نفس المشكل الجزائري وتبحث له عن حل، وبذلك تقل جميع المشاكل المتفرعة عنها؟".

ورأى الرئيس بورقيبة: "في بيان جبهة التحرير الوطني الجزائرية الذي نشر يوم الثامن عشر فيفري 1958م، ما يشجع على إيجاد الحل لحرب الجزائر وذلك بعد أن عبرت جبهة التحرير الوطني عن أملها في أن يكون العرب قادرا على تشييد بناء مجموعة كبيرة واسعة من الممكن أن تشارك فيها أوروبا وإفريقيا في دائرة استقلال الشعوب وحريتها الحقيقية".

ودائما في إطار العلاقات الجزائرية التونسية نشرت جبهة التحرير بيانا حول أسرى الحرب لما جاء فيه: "إن جبهة التحرير الوطني تلاحظ بكل أسف أنه في الوقت الذي تظهر فيه هي نفهما كبيرا لمشكلة أسرى الحرب الدقيقة، تواصل المحاكم الفرنسية إصدار أحكامها بالإعدام على أسرى الحرب الجزائريين. وذلك على أساس تشريعاتها الخاصة والقانون الجنائي... وعلى الرغم من أن جبهة التحرير قدمت جميع التسهيلات الممكنة لبعثه للصليب الأحمر الدولي، بحيث نقلت الأسرى الفرنسيين الأربعة من وراء الأسلاك الشائكة إلى جبال أقرب نزولا عند طلب الصليب الأحمر الدولي، فإن الحكومة الفرنسية لم تتروّد في تنفيذ الإعدام على عدة مجاهدين... إن جبهة التحرير الوطني توجه إلى الرأي العام الفرنسي والدولي أن يكونا حكما في هذه الأعمال المنافية للقوانين الدولية... إن جبهة التحرير الوطني توجه نداء إلى فخامة السيد الخبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية، ليهتم في نطاق عرض وساطته التي تبنتها الأمم المتحدة بهذه المشكلة المولدة".

والحقيقة أن الرئيس الخبيب بورقيبة كانت له مكانة متميزة في الوقوف إلى جانب الثورة الجزائرية، إذ لا نكاد ننتصف صحيفه من الصحف التونسية مثلا إلا وأحد فيها موقفا أو تصريحاً أو تنديدا أو تأييدا لبورقيبة لصالح الثورة الجزائرية، وقد وجه رسالة يوم أول مارس سنة 1958م إلى الرئيس الأمريكي

إيزنهاور" بلغت فيها نظره إلى حرب الإبادة التي تشنها فرنسا في منطقة الحدود الجزائرية التونسية ونتاجها اللا إنسانية بالنسبة لعشرات الآلاف من البشر طردوا من مضاجعهم وأُقلوا على تونس.

والحقيقة أن القضية الجزائرية قد ظلت تهمن على العلاقات الجزائرية التونسية طوال سنوات الحرب، وكانت دائما موضوع محادثة بين القادة الجزائريين والتونسيين، إذ لا يكاد يجتمعهما لقاء في أي بلد، إلا وتكون الثورة الجزائرية من الموضوعات السائدة بينهما، ففي زيارة لبعوث الحبيب بورقيبة" عبد الله مراحات" مدير ديوانه إلى الملك الليبي" إدريس السوسني"، كانت القضية الأساسية التي أُلغى عليها هي: تطورات الحالة بالجزائر وتأثيراتها على الشمال الإفريقي بأسره.

لقد عثقت جريدة العمل التونسية على مطالبة فرنسا بالحكومة التونسية بعدم التدخل في حرب الجزائر بأن هذا المطلب ذاته هو اعتراف من الحكومة الفرنسية بالخرب الجزائرية الفرنسية ذاتها قائلا: "إذا كانت تونس أول المشاركين فعبية التحرير الوطني الجزائرية هي المشارك الثاني، فالمنطلق إذن يقتضي تطبيق شروط الحرب، كما تقتضي المصلحة بإنهاء الحرب، لكن العناد الاستعماري تغلب على المنطق... والعرب أن مسألة الجلاء ومسألة هزرت ومسألة المطارات لم تعد تثير ما كانوا قد أبدوه من اهتمام، وإنما المسألة الرئيسة الآن هي (حرب الجزائر) أليس هذا اعتراف صارخ بأن مشكلة الجزائر إنما هي المشكلة الأساس؟...".

لقد ظلت مواقف تونس إزاء القضية الجزائرية مواقف ثابتة وجرئة، فقد نشرت جريدة العمل التونسية بيانا عن موقف تونس حكومة وشعبا مع الثورة الجزائرية في يوم الجزائر: "تتجه جل الأنظار إلى الجزائر وهي تواصل كفاحها البطولي في عزم وثبات من أجل نيل ما يصبوا إليه أبنائها الأحرار من حرية واستقلال في جميع أنحاء الدنيا يعتلي الخطباء منصاتهم ليتحدثوا عن الجزائر وشعبها الباسل وليستكبروا الأعمال الوحشية التي يقوم بها جيش الاحتلال منذ ثلاث سنوات ضد الجزائريين ... اليوم يقف الأحرار في الدنيا إلى جانب شعب الجزائر ويعثون إليه وهو في الجبال والغابات يحارب ويتأصل ويواجه الحديد والنار بالحديد والنار.

اليوم تعلوا أصوات الإباء في إفريقيا وآسيا مشيدة بهذا الكفاح المقدس في سبيل قضية عادلة يحاول الطاغية المستبد أن يخمده... وسوف يقيم أنصار الحرية الدليل على تأييدهم لقضية الشعب الجزائري بتوجيه النداءات العاجلة إلى هيئة الأمم المتحدة... وسوف يفيلون على مد جيش التحرير المناضل في الجزائر بالمساعدات المادية بفتح الاكتتابات وجمع التبرعات والمبات فتعلم فرنسا أن الجزائر ليست وحدها وأن العالم كله يراقب سير الحرب فيها ... وفي هذا اليوم بينما تحي الشعوب الحية للسلام" يوم الجزائر"، يسجل

الشعب الجزائري صحفحة أخرى من فضائه التاريخي المجيد... وفي تونس يرسل الشعب قاطبة تحيته إلى شقيقه الشعب الجزائري، ويؤكد له تأييده الكامل ومساندته المطلقة في مقاومته للاستعمار.

لقد أثارت العلاقات التونسية مع الثورة الجزائرية حقبة فرنسا وسخطها، حيث انتقدتها في مناسبات عديدة باعتبارها تريد في هيب الثورة الجزائرية ضد فرنسا.

وقد صرح يوم 30 مارس 1958م، النواي العام للجزائر "سوستال" حول هذه العلاقة: "... أنه أصبح من الواضح أن تونس في حالة حرب مع فرنسا وأرجع ادعائه هذا إلى بيان الحكومة التونسية ما انفكت تقدم المساعدات إلى جبهة التحرير الوطني الجزائرية سواء من الوجهة العسكرية أو السياسية... وأشار إلى أن التونسيين قد ساهموا في معركة جبل الكوشة وأن سبب عدم استقرار السلام في الجزائر هو الروح العدائية، التي تضمهرها تونس إزاء فرنسا، والاستعداد الذي تبديه مما يبعث الجزائريين على تعليق آمالهم على تونس، ثم هاجم سياسة الحكومة الفرنسية التي تنتهجها تجاه تونس... وتساءل سوستال عما أقعد فرنسا عن تقديم مذكرة إلى الأمم المتحدة بخصوص هذا المشكل، وانتقد ثقافت بعضهم بدون تأن ولا روية على التفاوض، وطالب بأن يتم عقد اتفاق على سلوك سياسة بناءة في إفريقيا الشمالية، وذلك في كنف احترام الحضور الفرنسي بالجزائر والاعتراف به مستقبلاً".

وقد صرح السيد/ المنجي سليم سفير تونس بالولايات المتحدة الأمريكية، في اجتماع الكتلة الإفريقية الآسيوية التي قدمت مذكرة للأمم المتحدة بخصوص الجزائر، قائلاً: "يجب إعطاء العناية للقضية الجزائرية" وبذل شئح المساعي لحمل الأمم المتحدة على الالتفات إليها من جديد، مخطورة الحالة التي انتهت إليها في المدة الأخيرة.

ثم نلاد السيد/ الفدادي فتصل تونس بواشنطن الذي ألقى على الحاضرين نص العريضة التي قدمت للأمم المتحدة بخصوص الجزائر: "إنه إذا لم يبادر بتدارك الأمر في الجزائر فإن الحالة ستزداد تعقداً وتصبح جد خطيرة، ومن المتحتم بذل جميع الجهود الممكنة للتأكد من أن أهداف قرار الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة المصادق عليه في بداية السنة الجارية (1957م) لن يبقى حبراً على ورق"... الأرواح لا تزال ترهق والآلام متواصلة في الجزائر دون أن تتخذ السلطات الفرنسية أي إجراء في سبيل التعاون ولم يزد تسلط القمع الجماعي واستعمال العنف والقساوة سوى أن يسير التوجه نحو حل سلمي ديمقراطي عادل مطابق لميثاق الأمم المتحدة"¹..

وعن جريدة العمل التونسية التي كتبت مقالاً مطولاً أشارت فيه إلى نشاط السفراء العرب لدى الكتلة الإفريقية الآسيوية، قصد دفع القضية الجزائرية إلى الأمام في الأمم المتحدة ومما جاء في هذا العدد من

¹ - جريدة العمل التونسية، العدد: 460، 16 أبريل 1957م، ص 1.

الجريدة: " في الأيام الأولى من شهر فبراير 1958م، تجتمع الكتلة الآسيوية الإفريقية لدراسة الإمكانيات والخطوات اللازمة للتقدم بالمسألة الجزائرية مرحلة أخرى من النجاح. وخاصة بعد أن اتخذت الجمعية العامة في دورتها الماضية قرارا يدعوا الطرفين الفرنسي والجزائري، للدخول في محادثات تهدف إلى الوصول لحل لهذه المشكلة على ضوء مبادئ ميثاق الأمم المتحدة".

و ظل السفير التونسي في الأمم المتحدة المنجي سليم يبدأ قصارى جهده هنا (الأمم المتحدة) دعما لوجهة النظر الجزائرية في مختلف الأوساط الرسمية والسياسية والدبلوماسية، والذي يتشاور مع السيد " محمد يزيد" مثل جبهة التحرير الوطني الجزائرية في الأمور المتعلقة بهذه القضية التي يولها جميع العرب هنا اهتماما خاصا. وفي نفس السياق: " بعث السيد محمد يزيد مندوب جبهة التحرير الوطني الجزائرية بكتاب على مسيو همار شولك أمين الأمم المتحدة العام، يلقت انتباهه فيه إلى تقصير فرنسا وعدم استجابتها لقرارات الأمم المتحدة بشأن القضية الجزائرية¹، كما أنه أبرز في الكتاب استعداد الطرف الجزائري وقبوله واحترامه لقرار الأمم المتحدة وخاصة ما جاء فيه حول العرض الذي تقدم به جلالة الملك محمد الخامس رئيس الجمهورية التونسية السيد (الحبيب بورقيبة). طلب السيد محمد يزيد من مسيو همار شولك أن يستعمل نفوذه في الوقت الحاضر المناسب لحمل فرنسا على تنفيذ قرار الجمعية العامة في دورتها الأخيرة".

لقد استمر نشاط الثورة والمجموعة العربية الدبلوماسية لمحاصرة فرنسا وحلفائها في هيئة الأمم المتحدة فها هي تونس الشقيقة نافع لصالح القضية الجزائرية بالتنسيق والتعاون مع ممثلي جبهة التحرير الوطني وتحتج لدى أمريكا عن المساعدات التي تقدم إلى فرنسا لاستخدامها في الحرب ضد الجزائر في حين أن مشروع الثورة الجزائرية هو الاستقلال الوطني وتدعم هذا النشاط في العلاقات الدولية تدخل مندوب الجبهة محمد يزيد لدى الولايات المتحدة الأمريكية باحتجاج ضد هذا التحالف الغربي الرأسمالي الاستعماري لتقصدي إلى حقوق الثوار الجزائريين، وكل حركات التحرر في العالم.

بل وأكثر من ذلك فإن فرنسا قد اعتبرت هذا المشروع ضربا لبرنامجها الذي هدف إلى استخدام الثروات الطبيعية المستعمرها لتنمية اقتصادها والعكس صحيح².

وبقيت القضية الجزائرية تثير اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية و ظل السفير الأمريكي " أموري هارتون" في باريس يعني هذه المسألة.

ومما يذكر في هذا السياق أن "أموري هارتون" السفير الأمريكي بباريس لما عاد إلى واشنطن في شهر جوان 1957م، التقى مع الرئيس الأمريكي إيرل هاور ونجادا في مسألة الجزائر، التي يقول المراقبون أنها أصبحت

١- جريدة العمل التونسية: " نشاط في الأمم المتحدة لتقدم بالقضية الجزائرية إلى الأمام"، 6 فيفري 1958م. ص 3.

أهم شيء في السياسة الفرنسية يشغل بال الولايات المتحدة الأمريكية، والحق أن بورقيبة وفي إطار المساعي الدبلوماسية، كان أول من نادى على منبر الجمعية العمومية هيئة الأمم المتحدة بتأليف لجنة توفيق دولية مهمتها إيقاف القتال بالجزائر وإيجاد حل سلمي عادل لقضية الجزائر، وأكد أنه لا يقدر من وراء ذلك سواء مساعدة فرنسا على الخروج من المأزق وهي عاجزة على الخروج منه وحدها.

وقد استاءت السياسة وقادة الرأي العام الفرنسي من هذا الاقتراح الذي أعننه بورقيبة على منبر الأمم المتحدة واعتبروه تدخلا في مشككة هي من صميم المشاكل الفرنسية الداخلية باعتبار أن الجزائر أرض فرنسية في نظرهم، وإن النزاع هناك في الجزائر قائم بين طائفتين من الفرنسيين مسلمين وأوربيين والحكومة الفرنسية الحكم الوحيد بينهما. وفي ذات الفترة زار السيد/ريتشارد تونس، ولما اجتمع مع الرئيس بورقيبة طرح عليه هذا الأخير: المعضلة الجزائرية، ونشأ عنها أن الولايات المتحدة طال عليها انتظار الحل الذي تعهد به م-ينيو رئيس الحكومة الفرنسية، وأنها حريصة كل الحرص على إطفاء النار في نقطة حساسة من العالم الحر، هذا ما أفصح عنه مستر دوليس إلى "غي موللي" عند مروره بباريس بعد حضوره ندوة الحلف الأطلسي.

إن استمرار كفاح الشعب الجزائري وامتداد الحرب الجزائرية وارتباطها بمصير تونس كما أكدت حوادث بداية 1958م، قد أبرز من جديد تفاعل الشعب التونسي لدعم الثورة الجزائرية، وأكدت النخبة السياسية ومسؤولي البلدين أن استقرار الوضع بالمنطقة لن يتحقق إلا باستقلال الجزائر، ولم تكن جهود الرئيس بورقيبة لحل المسألة الجزائرية تجد تجاوبا من الحكومة الفرنسية، التي ظنت متحفظة على مواقفها في التمسك بالجزائر ورفض جلاء القوات الفرنسية، مما جعل الحركات السياسية والقوى الشعبية تدعوا إلى تطوير مواقف أكثر دعما ومساندة الثورة الجزائرية¹.

لقد كانت قضية وحدة الشمال الإفريقي من المسائل الهامة في الخطاب السياسي التونسي. وكان الرئيس بورقيبة ينظر إليها باعتبارها مطلباً جماهيرياً ويتخذها إطاراً للتعاون مع فرنسا وفض المشكل الجزائري. أما جبهة التحرير الوطني فكانت تؤكد دائما على وحدة مصير الشعبين التونسي والجزائري، وببدي رغبتها في تحقيق وحدة المغرب العربي.

بعد انعقاد مؤتمر طنجة يوم 30 أبريل 1958م، عبر الرئيس بورقيبة عقب اجتماعه بوفد المؤتمر لجبهة التحرير الوطني قبول حكومته ومباركتها لقرارات المؤتمر. على الرغم من تحايل دول العالم في تركية قرارات مؤتمر طنجة. ومع أن تونس كانت حازمة في مواقفها تجاه الثورة الجزائرية، فإن سياسة الإدماج التي أعلنتها ديفول أثارت تخوف الحكومة التونسية من التمسك بمساندة الثورة الجزائرية، لاسيما بعد أن أحييت الحكومة الفرنسية الأمل بإمكانية بعث التعاون التونسي الفرنسي².

¹ - عن رحابة: الثورة الجزائرية والمغرب العربي، ص 157.

² - المصطفى محمد: مواقف جزائرية، ط 1، د.ك. الجزائر، 1984م، ص 93. مقتضى عبد الله نور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية، بحث محفوظ، ص 42.

وحاولت الحكومة الفرنسية برئاسة الجنرال ديغول إلقاء اللوم على الحكومة التونسية بإمكانية إزالة عقبة التفاهم والاستعداد بخلاء القوات الفرنسية عن تونس، مما جعل الرئيس بورقيبة يعتبر هذا التفاهم خطوة هامة معرباً أن تونس سوف تحقق آخر انتصاراتها قريباً¹.

واستعمل الجنرال ديغول سياسة الإغراء والتعاون الاقتصادي، وبدأ للحكومة التونسية إمكانية التعاون مع فرنسا، وتجاوز مشروع وحدة المغرب العربي الذي أصبح معلقاً نظراً لإصدار الحكومة الفرنسية على مواصلة الحرب بالجزائر، وهي حرب يمكن أن تطول مدتها، وعلى تونس أن لا تكون ضحية هذه الحرب، يربط معبرها وتقييد مستقبلها وبذلك تكون إستراتيجية الجنرال ديغول قد نجحت في استمالة تونس لعزل الثورة الجزائرية، وتحطيم التعاون المغاربي².

هذا ما تأكد خلال مؤتمر المهدية الذي اعتبر لجنة التنسيق والتنفيذ هيئة تنفيذية حكومية، وقرر رفض سياسة الجنرال ديغول الإدماجية للجزائر، وأكد حق الشعب الجزائري في السيادة والحرية ومع ذلك فإن جبهة التحرير الوطني الجزائرية في مقررات طحجة.

والحق أن الحكومة التونسية أظهرت سلوكيات ومواقف فطرية مناقضة لروح التضامن والعلاقات الجزائرية التونسية، ومضرة بمصالح الثورة الجزائرية ذاتها فلم تخفي أيام معدودة حتى أعلن بباريس وتونس في 30 جوان 1958م، عن توقيع اتفاقية مشتركة تسمح تونس بمقتضاها "تحرير أبواب غار" إيطالي غير التراب التونسي إلى ميناء قابس، وكان الإعلان عن هذه الاتفاقية سبباً كافياً لتأزم الموقف بين جبهة التحرير الوطني والحكومة التونسية، كون هذه الاتفاقية تمثل سلوكاً مخالفاً لعهودات تونس، وتشكل أخطاراً بالغة على الكفاح الجزائري، فهي ليست مجرد اتفاقية اقتصادية بل طعناً في شرعية الكفاح الجزائري وأهدافه السامية وتدعيمها مباشرة للاستعمار الفرنسي³.

وقبل توقيع اتفاقية باريس بأسبوع قامت لجنة التنسيق والتنفيذ بمساع حثيثة لدى الرئيس بورقيبة، ووجهت مذكرة توضيحية للحكومة التونسية عبرت فيها عن رفضها الصارخ لهذه الاتفاقية وأوضحت آثارها السلبية على الثورة الجزائرية، موضحة أن هذه الاتفاقية تعني في الواقع الاعتراف لفرنسا بتملك ثروات الشعب الجزائري، وتعتبر دعماً سياسياً واقتصادياً لفرنسا يسمح لها بحجب رؤوس الأموال الأجنبية وتبرر مواصلتها للحرب أمام الرأي العام الدولي⁴.

وهكذا كانت قضية "إنجلي" عن خلاف عميق أزم العلاقات بين الطرفين وتداولت هذه القضية الصحافة التونسية والجزائرية، كل يدافع عن موقف بنده. حاولت الصحافة التونسية تبرير هذه الاتفاقية

¹ - أنجلي محمد: المرجع نفسه، ص 94.

² - المرجع نفسه، ص 97.

³ - ديش اسماعيل: السياسة العربية والمواقف الدولية اتجاه الثورة الجزائرية، ط1: دار النهضة، الجزائر 2000، ص 111.

⁴ - صحيفة المجاهد العدد 27، 22 جوان 1958م، ص 3.

بالحاجة الاقتصادية لكونها تحقق دخلا معتبرا لتونس وتوفير مناصب للشغل وأن التحسن الاقتصادي يخدم كافة الشمال الإفريقي ويؤمن الخير اليومي للشعب التونسي، وردت جريدة المجاهد على هذا الحجاج، بمقال افتتاحي عنوانه "الخبر المسموم" وهو مقال انتقادي اعرض خلفيات الاتفاقية والموقف التونسي السلي منها. وأدت هذه الكتابات الانتقادية إلى قيام السلطات التونسية بحجز العدد 28 من صحيفة المجاهد وهي بالمضيق¹ وتوقيف إذاعة "صوت الجزائر" ومحاولة تعطيل نشاط الثورة، فقامت بحجز السبع الموجهة للهلل الأحمر الجزائري طوال شهر جويلية 1958م، وطالت بالتخلي عن أية سلطة ذات طابع قسلي وأوقفت مرور الأسلحة ووضعت يدها على كمية ضخمة منها في جوان 1958م، وكان ذلك يعني عزم الحكومة التونسية على إنذار جبهة التحرير الوطني ومحاولة ضرب التضامن الشعبي الذي يكنه التونسيون للجزائر، والادعاء بأن الجزائريين أصبحوا لا يحترمون السيادة التونسية².

والحق أن الحكومة التونسية على الرغم من التأيد عم المشروط للثورة الجزائرية وشعبها منذ استقلال تونس فإن مسألة أبواب الغاز، قد أحتكت شرعا كبيرا في العلاقات الجزائرية التونسية، وأوشكت أن تسجل قطيعة تاريخية خطيرة.

غير أن التضامن الشعبي التونسي مع الثورة والشعب الجزائريين، أوقف الشرخ الذي أصاب تلك العلاقات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد وقفت البلدان العربية كليبيا ومصر والمغرب موقف استنكار وإدانة لتلك الخلافات الحادة، ودعت الطرفين إلى مراجعة موقفهما إزاء بعضهما البعض، مما أوقع الحكومة التونسية في حرج كبير. وكان من الختم على القيادتين احتواء خلافاتهما والعودة إلى مسار العلاقات الطبيعية، التي عرفها الشعبان منذ اندلاع الثورة، نظرا لارتفاع تلك الأصوات المنددة بالموقف التونسي من جهة، وخوف جبهة التحرير الوطني الجزائرية على مصالحها من جهة أخرى.

وعادت الاجتماعات بين الطرفين من جديد، وكان أول لقاء جمع القيادتين هو اجتماع بداية أوت 1958م، بتونس للنظر في المسائل العالقة وفض الخلاف وإعادة العلاقات بين الجانبين³.

وأعربت الحكومة التونسية بعد هذا الاجتماع على دعم القضية الجزائرية وتواصل التضامن الفعلي لتونس حكومة وشعبا مع الجزائر.

ومن جهتها أصدرت الحكومة الجزائرية المؤقتة بيانا أكدت فيه تفهم الحكومة التونسية ودعمها لقضية الجزائر، وأشار أن الطرفين تعرضا أساسا لخلاف إقامة أبواب "إيجلي" عبر الأراضي التونسية⁴.

¹ - الميلي سمعة/ المرجع السابق، ص 119.

² - محمد حريبي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة كمال الجز، دار المؤسسة الأبحاث العربية، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ص 361.

³ - جوان غيليسيو: الجزائر الشائرة، ترجمة خيرى حماد، دار الطليعة، بيروت لبنان، 1961م، ص 215.

⁴ - بن قليس أحمد: السياسة الدولية للحكومة المؤقتة الجزائرية، رسالة ماجستير، مخطوط، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 1986م، ص 121.

وقد نشرت جريدة الصباح التونسية البرقية التي بعث بها وزير الأنباء الجزائرية "محمد يريـد" إلى الرئيس الحبيب بورقيبة، الذي شكره فيها على دور الوفد التونسي في الأمم المتحدة عند مناقشته القضية الجزائرية، مما جاء فيها: "فخامة الحبيب بورقيبة، رئيس الجمهورية التونسية عند إنهاء مناقشة القضية الجزائرية نريد أن نعبر لفخامتكم عن ارتياحنا لما برهن عنه الوفد التونسي ورئيسه السفير "النجي سليم"، من مساندة فعالة للقضية الجزائرية، ولما قامت به وفود المغرب العربي من تضامن أخوي طيلة الدورة للجمعية العامة للأمم المتحدة، مع فائق الاحترام والتقدير"¹

والحق أن الخلاف بين القيادتين حول مشروع أنبوب الغاز، قد حل: "بصنوبر تأكيد تونسي بأن لا يسير الزيت بالأنابيب المذكورة، حتى تنال الجزائر استقلالها"²، وحسب بعض القيادات السياسية في الثورة الجزائرية، أن موضوع تمديد أنبوب "إيجلي للغاز"، قد تم أثناء شهري أوت وسبتمبر 1958م، إلى ما بعد استقلال الجزائر³.

وهكذا عادت العلاقات الجزائرية التونسية إلى سابق عهدها وتم كسب الدعم السياسي التونسي من جديد، غير أن مشكلة أنبوب الغاز قد تركت أثرا سلبيا في نفوس القيادة الجزائرية، ولم يكن الكثير منهم راضيا عن سياسة المهادنة، خاصة بعد أن تزايدت حساسية النظام التونسي من توسع نشاطات الثورة الجزائرية، وانتشار إيديولوجياها في أوساط التونسيين، وأصبح يفرض رقابته على النشاط السياسي والعسكري خاصة، ويتدخل لمعرفة كل شيء في القواعد الخلفية ويطلب من جبهة التحرير الوطني ألا تقوم بأي نشاط سياسي أو عسكري فوق الأراضي التونسية، إلا بعد إبلاغ الحكومة التونسية بذلك مما شكل صعوبات حمة لثورة الجزائرية في تونس سنتي 1958م و1959م⁴، علاوة على الصعوبات التي كانت تواجهها في الجزائر، بعد تحيـء الجنرال ديغول إلى الحكم وتطبيق مخطط شال الـرهيب.

والحق أن جبهة التحرير الوطني قد أدركت خلال هذه المرحلة أن السياسة الديغولية استطاعت أن تستميل الحكومة التونسية وتضرب التضامن المغاربي عامة والعلاقات الجزائرية التونسية بصورة خاصة، مما جعلها تتبع سياسة اللين والابتعاد عن الاصطدام بالحكومة التونسية⁵.

ولكن بعد إنشاء الحكومة الجزائرية المؤقتة، اعتبرت تونس ذلك إجراء مهما يفيد القضية الجزائرية، ويطلق الحجاج الفرنسية بعدم وجود هيئة تنفيذية يحكم التفاوض معها.

والواقع أن حرص الحكومة التونسية على تجنب الاصطدام مع الحكومة الفرنسية لم يمنع اعترافها الرسمي بالحكومة الجزائرية في اليوم الأول من إعلانها، وأكدت وقوفها إلى جانب الشعب الجزائري في كفاحه من

¹- جريدة الصباح: الرئيس بورقيبة يتلقى شكر من وزير الأنباء الجزائرية، العدد 1972، ص 1.

²- جوان غيليسبي: المرجع السابق.

³- محمد الشلي: مرجع سابق، ص 114.

⁴- المرجع السابق نفسه.

⁵- ابن قلين احمد: مرجع سابق، ص 126.

أجل السيادة، وقد تأكد تأييد الحكومة التونسية للحكومة الجزائرية من خلال اتصالاتها بالمسؤولين الجزائريين وتشجيع نشاطهم السياسي، كما أكد الشعب التونسي دعمه التام لكفاح السيامي ونشاطات الحكومة الجزائرية بتونس .

مما فرض على الحكومة التونسية الإسراع بموازرة القضية الجزائرية والاقناع بأن هذه القضية السياسية ستعجل باختصار زمن الحرب التي دامت أربع سنوات حتى ذلك الوقت ووضع حلول سلمية للمشاكل الجزائري حيث صرح الرئيس بورقيبة في شهر فيفري 1959م، بقوله: "لقد اعترفنا بالحكومة الجزائرية بوصفها ممثلة للشعب وللوطن وللدولة الجزائرية"¹.

الرئيس البورقي هو خطوة سياسية إيجابية إزاء الثورة الجزائرية وتأكيدا على أن كفاح الشعبين الجزائري والتونسي كفاح مشترك ومستمر لا يتوقف إلا بتحرير البلدين تحريرا كاملا غير منقوص.

وإذا كان بورقيبة قد أعلن صراحة اعترافه بالحكومة الجزائرية المؤقتة باعتبارها ممثلة الشعب الجزائري وللدولة الجزائرية مستقبلا، ولكن في الواقع كانت هناك صعوبات في الميدان عانت منها جهة التحرير الوطني معاناة شديدة مثل: تمرير الأسلحة عبر الأراضي التونسية ونشاط القواعد الخفية للثورة بالإضافة إلى مضايقات أخرى كانت تعرق نشاط الثورة في الأراضي التونسية .

ويبدو أن التحفظات التي كانت عالقة بالذهنية السياسية التونسية إزاء الثورة الجزائرية كانت ناتجة عن ميل هذه الأخيرة نحو الماركسية وتشجيعها بالمدائى القومية، خاصة وأن المعارضة اليسارية المتأثرة بالقومية والتيار البعثي بدأت تتقوى وينصاعف أنصارها، وكان وجود القوات الجزائرية في الحدود تشكل خطرا على النظام البورقي في حالة وقوع اصطدام بينه وبين التيار البوسفي، وهو يخوض صراعا إيديولوجيا لمواجهة معبر الناصرية².

وأخى أن الحكومة التونسية لم تكن مبراحة لتواجد قمرانة عسكرية للجزائريين بسط فوق أراضيها وتطالب بتسهيلات أكبر لنشاطها، فكانت تخشى ترسخ مؤسسات الدولة الجزائرية داخل تونس، وهي لا تظهر الالتزام بقوانين الدولة التونسية .

كما أن بورقيبة كان يخشى على سياسته المعروفة بالحنول السلمية أي سياسة المراحل من الفشل أمام الخبر العسكري الذي تتبعه كل من فرنسا والثورة الجزائرية³.

ولعل الحكومة التونسية بزعامة بورقيبة، كانت تتعامل بطريقتين مختلفتين مع القادة العسكريين الثوريين الجزائريين المتواجدين على الأراضي التونسية ومع الحكومة الجزائرية المشكلة منذ 1958م، حيث

¹ - طلاس مصطفى، وسام السلي: الثورة الجزائرية، ط1، مؤسس طلاس للدراسات والفتوى، دمشق، 1984م، ص 10-3.

² - محمد السلي: مواقف جزائرية، ط1، م.و.ل.د. الجزائر، 1984م، ص 117.

³ - المرجع نفسه، ص 113.

كانت تبدي تفاهها تاماً مع حكومة الثورة، ولكنها في الوقت ذاته تبدي امتعاضاً من القادة العسكريين بتونس لاسيما في السنوات الأولى للثورة.

والحق أن الحكومة التونسية كان عليها حل الكثير من المتاعب بحكم وفاتها السياسي مع الحكومة الجزائرية المؤقتة، فاجتهدت في توطيد علاقات الصداقة معها، والتفاعل مع تطور القضية الجزائرية، وحافظت على هذه العلاقات التي تدعمت بتزايد التضامن الشعبي مع الكفاح الجزائري، وكان للتغير الذي طرأ على السياسة الخارجية لتونس وتدهور علاقاتها مع فرنسا دافعاً في اتساع مجالات التضامن والتأييد الشعبي ودعم نشاطات الحكومة الجزائرية، مما جعلها تفكر في نقل مقرها من مصر إلى تونس التي ازدادت أهميتها منذ 1960م، في النشاط السياسي والدبلوماسي للثورة الجزائرية .

وإذا كان انتقال الحكومة الجزائرية المؤقتة من القاهرة إلى تونس، يدل على الوفاق السياسي وحسن العلاقات التونسية الجزائرية، فإنه مرتبط بوضعية الثورة، كما يؤكد العديد من الدارسين وتعضده شهادات رجال الثورة¹.

والحق أن انتقال الحكومة الجزائرية المؤقتة إلى تونس اعتبر من القيادة السياسية التونسية انتصاراً في الصراع القائم بينها وبين الحكومة المصرية الناصرية.

ولا شك أن انتقال الحكومة الجزائرية المؤقتة إلى تونس، كان يهدف إلى تقريب القيادة السياسية من ميدان المعركة، وهناك أسباب ثانوية أخرى أوردتها بعض قادة الثورة² مثل: حدوث مشاكل على الحدود التونسية الجزائرية، وسهولة الاتصالات والتحكم في قرارات الثورة انطلاقاً من تونس وقد علق على ذلك عمر أوعمران³ بقوله: "ثم نقلها من القاهرة إلى تونس نظراً لبعد المسافة فتونس قريبة من الجزائر، بحيث لنا حدود مشتركة".

لقد كان لهذا الانتقال من مصر إلى تونس نتائج إيجابية بالنسبة للثورة، حيث أصبح إشراف الحكومة الجزائرية على تسيير شؤون الثورة عامة والجزائريين المتواجدين بتونس بصورة خاصة إشرافاً مباشراً بفضل التسهيلات التي تقدمها الحكومة التونسية في مجال مرور الأسلحة والحصول على تسهيلات إدارية لنشطاء الجزائريين وتنسيق التضامن من الجالية الجزائرية والشعب التونسي لمساندة التضامن مع القضية الجزائرية⁴.

والخليفة أن الحكومة التونسية كانت ترى أن القضية الجزائرية في مراحلها الأخيرة تحتاج إلى دعم أكبر، يمكن من تحسين صورة الدولة، ويرضي مطامح التضامن التي يبديها الشعب التونسي تجاه كفاح

¹ - مصطفى بوطور: علاقة جبهة التحرير الوطني الجزائرية بالحكومة المصرية، رسالة ماجستير، محفوظ بمعهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 1982م، ص 124.

² - أوعمران: مجلة البحث، المحافظة السياسية للجنرال المؤقت الشعبي، عدد خاص حول التسليح، جريدة 1987، ص 14.

³ - المكان نفسه.

⁴ - الجندي خليفة وآخرون: حوار حول الثورة، ج3، طبع لأمم كز الوطني للتوثيق، والمصحقة والإعلام، الجزائر، 1986م، ص 515.

الجزائر، وأظهر النظام التونسي تضامنه السياسي ومساندته للثورة الجزائرية إذ قامت تونس دعماً معتبراً خلال تلك المراحل الأخيرة إحساساً منها بقرب انتصار الجزائر، وتسبب هذا الدعم في تدحور علاقاتها مع فرنسا، لكن نشاط الحكومة الجزائرية المكثف في تونس، استفادات منه سياسياً واقتصادياً¹، وأصبح النظام التونسي يفضل التقرب من قادة الثورة الجزائري، وإيجاد حل سلمي لمشكلة الجزائر بعيد الأمل لعودة العلاقات التونسية الفرنسية.

ونظراً للدعم المعوي الذي كانت تقدمه تونس حكومة وشعباً زاد نشاط الثورة الجزائرية في تونس وتلدعت تحركاتها الدبلوماسية والسياسية، بالتنسيق مع الحكومة التونسية لتأييد مواقف الجزائر للحصول على استقلالها والتوصل إلى حل عادل للقضية الجزائرية، وهذا ما يؤكد الموقف الإيجابي التونسي في موازرة الحكومة الجزائرية لمباشرة المفاوضات التي دعت إليها الحكومة الفرنسية في جوان 1960م. إذ رحبت تونس بالمبادرة الجزائرية واعتبرها الرئيس بورقيبة من الأحداث الهامة في سبيل تحرير الشعب الجزائري وإنهاء الحرب الضروس، وأشاد بتغيير الحكومة الفرنسية لموقفها اتجاه الشعب الجزائري واعترافها له بحق تقرير المصير، واعتبر الحزب الدستوري آخر جواب الحكومة الجزائرية لمباشرة المفاوضات خطوة جريئة نحو السلم وتمكين الشعب الجزائري من ممارسة سيادته، وهذا التحرك التونسي والتضامن السيامي مع الحكومة تؤكد بعد فشل مفاوضات مولان بين الوفدين الجزائري والفرنسي، إذ وقفت الحكومة التونسية تؤيد الموقف الجزائري في رفضه لشروط التعجيزية، والعراقيل الفرنسية لإنجاح المفاوضات، وأكدت تونس أنها لا تقبل بأن يتفاوض الجزائريون من موقف الضعف، وأن التونسيين لا يقبلون بأن يقع إيقاف القتال ضمانات، وأشدت بإبقاء الحكومة الجزائرية المؤقتة مجال المفاوضات مفتوحاً إلى غاية تراجع الموقف الفرنسي².

وكان لزاماً على الحكومة الجزائرية المؤقتة أن تواصل كفاحها السياسي والعسكري لتحقيق أهدافها والرد على المناورات السياسية الفرنسية، وتحلى الدعم الدبلوماسي والسياسي لتونس بوضوح من خلال دعم القضية الجزائرية وكسب التأييد الدولي لها بمعية الأمم المتحدة أمام الرأي العام الدولي، وأمام ثنائي الموقف الفرنسي وتواصل مساندة العالم العربي لوجه السياسة الفرنسية أعرب الرئيس بورقيبة عن أسفه من مواقف الدول الغربية تجاه قضية الجزائر، وأكد حبيبة أملة في الغرب. وقد أعلن في خطابه الرسمي أمام مجلس الأمة في شهر أكتوبر 1960م، أن استقلال الجزائر سيتحقق مهما كان النص، ولو أدى ذلك إلى الاستعانة بروسيا والصين قائلاً: "إنه لو قدر لاستقلال الجزائر أن يتم على يد روسيا أو الصين مثلما تم استقلال

¹ - جيش اسماعيل: مرجع سابق، ص 114.

² - المجاهد الأسبوعي: العدد 72، 11 جويلية 1960م، ص 2-6.

الفييتام الشمالي، فإن ذلك لا يمس الجزائر بل فقد يمس تونس والمغرب وكامل شمال إفريقيا، بل ربما تعم نتائج إفريقيا كلها...¹

وقد واصل الزعيم بورقيبة دعمه للقضية الجزائرية حتى أدى به الأمر في شهر أكتوبر سنة 1960م، إلى اقتراح مشروع وحدة بين الجزائر وتونس، وكان قد عرض الفكرة على بعض المسؤولين الجزائريين في شهر أوت من العام ذاته، ولكنه لم يجد ترحيبا من قبل القيادة الجزائرية، وأكد هذا الاتجاه أمام مجلس الأمة في 7 أكتوبر 1960م، كما سلف الذكر - بقوله: "قبل انتهاء الحرب ذاتها ولتقريب ساعة خلاص وتسهيل الاستقلال الجزائري"².

غير أن قيادة الثورة الجزائرية لم تول هذا المشروع أي اهتمام لما يحتوي عليه من مخاطر ترابية واحتياجات سياسية قد تؤدي إلى نهاية المطاف إلى فرض الزعامة البورقيبية على المغرب العربي.

وعلى الرغم من مخاوف الجزائريين من مشروع الاتحاد المقترح من الرئيس بورقيبة، إلا أنها لم تكن تعارض وساطة تونس في إعادة المفاوضات بين جبهة التحرير الوطني والحكومة الفرنسية. وبذل الرئيس بورقيبة ووزير الخارجية المصمودي في شهر فيفري 1961م، جهودا وحشية قصد عودة المفاوضات الجزائرية الفرنسية توجت لقاء الرئيس بورقيبة مع ديغول بباريس في 27 فيفري 1961م، وكان لهذا اللقاء أهمية خاصة على الرغم من اختلاف تفسيراته بحسب شهادة الرجلين، إذ أكد بورقيبة بأن اللقاء دار أساسا حول تطورات المشكل الجزائرية، وسبل إنجاح عودة المفاوضات³. في حين يذكر ديغول أن بورقيبة حرص على اللقاء به ليعرب عن تأييد موقف إجراء المفاوضات مع الجزائريين، وعن رغبته في أن يقوم بمهمة التوفيق أثناء المحادثة" غير أنه يعترف أيضا الحصول على بعض المكاسب، وذكر أن محاوره عرض قضية بئرث وقضية بلاده من ناحية الحدود الصحراوية"⁴، وقد حاول النظام التونسي منذ تأسيس الجمهورية التونسية الحصول على حقوق ترابية على الحدود الجزائرية من خلال الدعم السياسي والوجسي، الذي كان يقدمه للثورة الجزائرية ويسعى إلى أن تسلك الجزائر سياسة المراحل لاسترجاع استقلالها لكي تتحقق له بعض المكاسب، وانتقل بورقيبة من توجيه النصح إلى ممارسة الضغط على الثورة الجزائرية لقبول باستقلال جزئي ينهي الحرب التي أثقلت كاهل تونس، وقضت السلطات التونسية الإرادة الطيبة التي كانت تعامل بها الجزائريين فمنعت وصل الأسلحة وضايقت جيش التحرير الوطني بالحدود، وجاءت حادثة أسر الجيش الجزائري لتطيير الفرنسي، حيث طالبت الحكومة الفرنسية بتسليمه مما أدى إلى

¹ - بورقيبة العيب: من أقوال مجاهد الأكبر الرئيس الحبيب بورقيبة، منشورات الحزب الاشتراكي الدستوري، طبع بـ: بئر بئر، ص. تونس، 1984م، ص 223.

² - بورقيبة الحبيب: المصدر نفسه، ص 69-70.

³ - حرية العمل التونسية: خطاب الرئيس بورقيبة 6 أفريل 1961م، العدد 5398، 13 جاني 1973م، ص 5.

⁴ - ديغول: مذكرات الأمل، ج3، التحدث، (1958م-1962م)، ترجمة سموعي فوق العاد، ط1، منشورات جريدات، بئر بئر، 1971م، ص 405.

الخلاف بين الحكومة التونسية والحكومة الجزائرية المؤقتة في جوان 1961م¹ ، ولجان الحكومة الجزائرية المؤقتة إلى الخلاف سلميا، ومهادنة الحكومة التونسية، وأمرت بتسليم الطيار الفرنسي، لكن هيئة الأركان العامة تلكأت في الاستجابة لهذا الطلب، واحتجت بتقديم استقلالها مشهورة بسياسة الحكومة الجزائرية المينة اتحاد تونس، وانتقدت الرئيس بأنه يحاول إبراز الموالين لسياسته من أعضاء الحكومة الجزائرية، وأنه يضع مطالبه الترابية بالجانب هذفا لسياسته إذ أكدت في بيان استقلالها: "أن بورقية لم تمتنع يوما عن الضغط على السكان الفقراء السوف كي يطالبوا بالهوية التونسية"².

ولكن الخلافات الظرفية التي وقعت بين الحكومة التونسية وقيادة الثورة الجزائرية لم تحل دون تأييد الحكومة التونسية لاستقلال الجزائر ومساندة مطالب الحكومة الجزائرية المؤقتة في الوصول إلى الاستقلال، فنظمت تونس مهرجانات التضامن المؤيدة لمطالب الحكومة الجزائرية المؤقتة في الحفاظ على الوحدة الترابية، وإطلاق سراح المساجين السياسيين.

وأكدت الحكومة التونسية دعمها لتوفد الجزائري المفاوض من أجل للوصول إلى اتفاق نهائي في مفاوضات إيفيان³، واستمر التأييد والتضامن التونسي للقضية الجزائرية بعد أن أدرك بورقية قرب انتصارها، وجملة القول : أن الدبلوماسية الجزائرية استطاعت أن تلبس من مواقف النظام التونسي، وهي تقوض مفاوضات الاستقلال مع فرنسا، وبذلك تجاوزت ضغوطات النظام البورقي بالاعتماد على تضامن الشعب التونسي المؤيد لقضية استقلال الجزائر.

وهكذا ظلت العلاقات الجزائرية التونسية إبان ثورة التحرير أخذًا وعطاء وتشابك المصالح والوشائج الأخوية والروابط الحضارية والصلات السياسية والاقتصادية بين السكان الذين لم يكونوا يفتقون عن بعضهم البعض، إلا في طبيعة الاستعمار الذي كان يعبر الجزائر جزءا لا يتجزأ من التراب الفرنسي، بينما ينظر إلى تونس على أنها محمية فرنسية لها حكومتها الوطنية الداخلية في أول الأمر ، ثم حكومة وطنية مستقلة، حاولت فرنسا أن تقيم معها علاقة إستراتيجية لضرب الثورة الجزائرية، ولكن الشعب التونسي كان بالمرصاد لتلك المحاولات الحادقة إلى إبعاد الحكومة التونسية عن مجال الصراع الجزائري الفرنسي، لأن الفرنسيين كانوا مستعدين للتضحية بكل شيء من أجل الإبقاء على الجزائر.

¹ - حربي محمد: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مرجع سابق، ص 224-225.

² - المرجع السابق، ص 225.

³ - مجلة المجاهد: العدد 113، 19 فيفري 1962م، ص 2.

الفصل الرابع

الفصل الرابع: العلاقات الاجتماعية الجزائرية التونسية إبان الثورة .

المبحث الأول: أسباب الهجرة ومظاهرها في تونس

المبحث الثاني: الدعم الاجتماعي للاجئين الجزائريين بتونس (1954-1957)

المبحث الثالث : تطور العلاقات الاجتماعية التونسية الجزائرية (1957-1962)

الفصل الرابع: العلاقات الاجتماعية الجزائرية التونسية إبان الثورة .

تحدثنا في الفصل السابق عن الدعم السياسي الذي قامت به السلطات التونسية اتجاه الثورة الجزائرية أما في هذا الفصل فسأعاج جانباً مهماً من نشاط الثورة الجزائرية بتونس ألا وهو النشاط الاجتماعي الذي أكد حضوره بقوة وقدمت بشأنه تونس دعماً مميزاً للشعب الجزائري الذي اضطر للهجرة إلى البلاد التونسية فراراً من حرب الإبادة التي انتهجتها سلطات الاحتلال الفرنسي في الجزائر طوال حرب التحرير الجزائرية.

ويركز هذا الفصل على العلاقات الاجتماعية الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية (1954-1962) وهي المرحلة التي بلغت فيها العلاقات الجزائرية التونسية ذروتها على كل المستويات الاقتصادية والسياسية والثقافية. و بعض المظاهر الاجتماعية في الثورة الجزائرية من خلال الصحافة التونسية كالهجرة والسكن والتعليم، والعادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية الأخرى للاحقين الجزائريين في البلاد التونسية في مرحلة امتزج فيها الدم الجزائري بالدم التونسي على الحدود المشتركة بين البلدين في مخاض الكفاح الوطني الذي كان يشهد حركة نشيطة لإزالة الاستعمار من الأقطار المغاربية كلها واسترجاع الاستقلال الوطني لهذا الشعب المناضل من أجل البقاء والحرية.

صحيح ان العلاقات الجزائرية التونسية ليست وليدة (1954-1962) ولكنها قد تبلورت في هذا الخبز الزمني المتميز حتى وصلت إلى قمة التعاون والتكافل في جميع المجالات وعلى كافة المستويات. لقد بدأت العلاقات الاجتماعية بين الجزائريين والتونسيين بشكل مكثف ومباشر منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، حين بدأ الجزائريون يهاجرون إلى تونس زرافات ووحدانا بعائلاتهم أحياناً وعفروهم أحياناً أخرى، إما كمقاومين يدعأون للأراضي التونسية بعد طبعف مقاومتهم أو كمهاجرين عازين من وجه الاحتلال الفرنسي بدينهم ولعنهم وعاداتهم وتقاليدهم، وهناك استقر الكثير من العائلات الجزائرية .

وبعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 تزايدت الهجرة واللجوء إلى الأراضي التونسية فراراً من القمع الدموي الاستعماري الذي سلط على المدنيين خاصة طوال سبع سنوات ونصف، حيث كان الفرنسيون لا يميزون بين العسكريين والمدنيين ولا بين الشيوخ والشباب ولا حتى بين النساء والأطفال فكان المخرج الوحيد، لهؤلاء الجزائريين هو تنطفي الحدود الوطنية والإقامة في أراضي البلدان المجاورة. وبسرعة ارتفع عدد المهاجرين الجزائريين إلى تونس وحدها حتى بلغ في شهر أكتوبر 1959 (150.000) مائة وخمسين ألف نسمة بناء على إحصائية البلدين.

وقد شكل التواجد الجزائري لهذه الكثافة بتونس جملة من الظواهر الاجتماعية إيجابية أحيانا وسلبية أحيانا أخرى من أهمها:

مشاكل البطالة وانتشار الفقر وتقضي بعض الأمراض .

ولكن من جهة أخرى سجل التواجد الجزائري بتونس ظواهر إيجابية هي:

أولا: تكفل الثورة باللاجئين من خلال شبكات ومؤسسات اجتماعية أقامتها بمختلف المدن والقرى التونسية.

ثانيا: ظهور أشكال من التضامن والتكافل الاجتماعي بين الشعبين .

ثالثا: تحارب السلطات الرسمية التونسية مع تحمل تبعات انخسار الجزائري حسب ظروفها وإمكاناتها المتاحة.

رابعا: استفادة المهاجرين الجزائريين من مستوى تعليمي معتبر دعم خط التعريب في الجزائر بعد الاستقلال الوطني سنة 1962م.

خامسا: تشكل عائلات جزائرية تونسية مختلطة عن طريق الدم والمصاهرة أقامت جسورا من المودة والتعاون بينهما أثناء الوجود الجزائري بتونس وبعد العودة إلى أرض الوطن سنة 1962.

المبحث الأول/ أسباب الهجرة ومظاهرها في تونس:

عرف المجتمع الجزائري إبان الثورة التحريرية خلال الخمسينات وبداية الستينات من القرن العشرين تطورات خطيرة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الشعب الجزائري ،لاسيما من حيث ازدياد الوعي الاجتماعي والسياسي والمعاناة المعيشية من سكن وغذاء وخوف ،وسجن وتعذيب وتشريد وتهجير ونفي واعتقال من جراء الحرب الدائرة بين الثورة التحريرية وسلطات الاحتلال الفرنسي التي لم تكن تميز بين المقاومين العسكريين والمدنيين من الشعب الجزائري الأعزل ، حيث كانت تعتبر كل جزائري ثائرا (فلاها) كما هو معروف في قاموسها .

فبدأت بعد اندلاع الثورة مباشرة بالاعتقالات والاعتقالات العشوائية في كل منطقة يطلق فيها رصاص المجاهدين ضد ضابط أو مستوطن متعصب للدفاع عن " الجزائر الفرنسية أو تعرض قافلة عسكرية فرنسية إلى إطلاق النار من قبل المقاومين الجزائريين فقامت بغلق الحدود مع البلدان المجاورة وغلقت المنابر بالأسلاك الشائكة وأقامت الحواجز في كل مكان ولاحت الناس في قراهم وبيوتهم، ومدت خطوط الكهرباء عبر القرى والأرياف لربط مراكز القوات العسكرية التي أقامت أبراجا للحراسة في كل قنطرة وأكمة وحبيست على الناس أنفاسهم وهجرت المدنيين من قراهم وجمعاتهم في مخبئات كانت نموذجاً لإهانة كرامة الإنسان ومثالا للفقر والبطالة والازدحام السكاني ورتابة الحياة اليومية والجهل والمرض

والتوتر النفسي والعصبي وهدهما للهوية وهتكاً للأعراض وتخطيماً للمقدسات والرموز الدينية والوطنية. فعايش الشعب الجزائري حياة ضنكة وعلاقات اجتماعية فريدة من نوعها تميزت بعلو الهمة والتسامح والكرم وعزة النفس والإيثار والإيلاء والأخوة التي لم يسبق لها نظير بين الجزائريين .

إنها حياة جمعت بين القيم الإنسانية الرفيعة وانتهاك حقوق الإنسان في أبغض صورها من قبل قادة الاحتلال وجنوده فكانت ثلاث عائلات تعيش في منزل واحد وتتفاسم رغيف شعير وتشترك في المرحل والموقد ونور القنديل الزيتي، ضاربة أروع الأمثلة في الكرم والتسامح والإيلاء والشجاعة أمام شراسة المحتل وآله الجهمية التي لم تجد وسيلة إلا واستعملتها لغهر السكان وإخضاعهم ومحاولة تدجينهم وإبعادهم عن نظام الثورة، التي شككت عقيدة كوكودا في طريق "النظام الاستعماري" الذي لم يتمكن من اختراق السياسة التي أقامتها الثورة بين الإدارة الاستعمارية والمواطن الجزائري .

لقد ظهر في هذه المرحلة الخطيرة بمظهر جديد تميز بالتعاون والتضامن الاجتماعي وبالقدرة على الصمود والمواجهة والدفاع عن الهوية، التي ظلت شظية طوال القرن الأول من الاحتلال تنتظر الفرصة المناسبة للظهور من جديد والمناقشة عن كيانها وبقائها متميزة عن الهوية الجديدة التي حاول المحتلون فرضها على المجتمع الجزائري، وهي هوية لا جزائرية قومية ولا فرنسية غربية، إنما هي هوية تجمع بين الخصائص الأهلية التي وافق الاحتلال على بقائها والخصائص الفرنسية التي تجعل من الجزائري إنساناً مجرداً من القيم الإسلامية والمقومات العربية والجنود الوطنية، حتى يتلاءم مع الهوية الجديدة .

وفي هذه المناسبة الإنسانية برزت ظواهر متعددة كإفجعة إلى البلدان المجاورة أو إلى أوروبا بل وإلى المشرق العربي نتجت عنها أوضاع اجتماعية واقتصادية متردية ليس بالنسبة للمهاجرين الجزائريين فحسب، بل فقد مست كل من البلدين الشقيقتين تونس والمغرب حتى أصبح هذان البلدان يتوسلان إلى هيئة الأمم المتحدة للتدخل في إيجاد حل لقضية اللاجئيين الجزائريين وفي هذا السياق كتبت جريدة العمل التونسية في عددها 482 الصادر بتاريخ 11 / 7 / 1957 م تحت عنوان : "الحكومة التونسية ستطلب من هيئة الأمم إيجاد حل لقضية اللاجئيين الجزائريين"، مما جاء فيه: «عن صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية أن الحكومة التونسية تستعد لتقديم طلب إلى هيئة الأمم المتحدة لتساعد على إيجاد حل لقضية اللاجئيين الجزائريين بتونس وحسب هذه الأخبار، فإن الحكومة التونسية تنوي عرض هذه القضية على مكتب اللاجئيين التابع للهيئة الأممية، من جراء العبء الاقتصادي الذي ينجر عنها لتونس، وقد استفيد أن السفير المنحي سليم قد اغتنم فرصة مروره بجنييف صحبة لجنة التحقيق بالبحر، فاستفسر لدى مقر مندوبية

الأمم المتحدة للاجئين بالمدينة المذكورة، عن إمكانية مساعدة هذه المنظمة لقضية اللاجئين الجزائريين بتونس الذين يبلغ عددهم حوالي (200000) نسمة¹.

إذن فحريدة العمل تخص عدد المهاجرين الجزائريين إلى تونس سنة 1957، بمائتي ألف نسمة ومثل ذلك في المغرب وعدد آخر في ليبيا ومصر والبلاد العربية الأخرى وقد بلغ عدد اللاجئين الجزائريين خارج الوطن أكثر من (1/2) نصف مليون نسمة وكان الشعب العربي في المشرق والمغرب ينضم حملات اكتتاب لصالح الشعب الجزائري فتحصص الأموال من الشعب كما تجمع من الحكومات، وفي 8 ماي 1957 نشرت جريدة العمل التونسية بيانات في هذا السياق تحت عنوان: "حملة اكتتاب لفائدة المقاومين الجزائريين"² كما جاء فيه: بغداد 9 ماي ألقى جلالة ملك العراق فيصل، خطابا أثناء اجتماع عمومي التقط عن طريق التلفزيون وأذاعته محطة بغداد عناسية افتتاح حملة اكتتاب لمساعدة إخواننا الجزائريين لفائدة المقاومين الجزائريين قال فيه بالخصوص: "باسم الله أعلن افتتاح حملة اكتتاب لمساعدة إخواننا الجزائريين الذين يكافحون و يتألمون في سبيل حريتهم واستقلالهم...".

وقد ساهم جلالة الملك فيصل، بمبلغ عشرة ملايين من الفرائكات واستفيد من جهة أخرى أن الاكتتاب سيظل مفتوحا لمدة سنة.

وفي اليوم الرابع من شهر حزيران جوان 1957 نشرت جريدة العمل التونسية عمودا حول وضعية اللاجئين الجزائريين ومعاناتهم من القمع والتعذيب والإقصاء الفرنسي الذي اضطرتهم إلى الفرار بأرواحهم وأجسادهم إلى الأراضي التونسية بعنوان: "فرنسا تترث: حالة اللاجئين الجزائريين تونس" ومما جاء فيه: "... قررت الحكومة التونسية إرسال موظفين سامين إلى منطقة اللاجئين الدولية بحيف، وجاءت هذه المذكرة أيضا بعد أن حاولت مصالح الوزير المقيم بعاصمة الجزائر إنكار وجود هؤلاء اللاجئين وبعد أن حاولت كذلك حملهم على الرجوع إلى الجزائر، بل وبعد أن أعطت بخصوصهم معلومات وأرقام أقل ما يقال فيها أنها مناهضة في صحتها للمعلومات التي تصدر يوميا عن سلطات الجزائر بخصوص عمليات التهديد اليومية. ولكن المذكرة بينت أن هؤلاء الجزائريين يرفضون الجنسية الفرنسية التي يراد حملهم على التمس بها وقد اخترقوا الحدود ليطلقوا في تونس يعطف وعناية تجلب بصورة مغايرة (نعطف وعناية) السلطات الاستعمارية في الجزائر ونحن تساعد هؤلاء سواء على النطاق المحلي أو الدولي"³.

وقد رد غي مولي على مشروع قسنطينة الذي أعننه الجنرال ديغول في أكتوبر سنة 1958 - كما ورد في فصل العلاقات السياسية- عندما تحدث عن قضية الجزائر قائلا: "مشروع قسنطينة لا يكفي وإني

1 - جريدة العمل: الحكومة التونسية ستطلب من هيئة الأمم إيجاد حل لعضة اللاجئين الجزائريين، العدد: 482، 11/ 5/ 1957، ص 1.

2 - جريدة العمل: حملة اكتتاب لفائدة المقاومين الجزائريين، العدد: 480، 9/ 5/ 1957، ص 1.

3 - جريدة العمل: فرنسا تترث حالة اللاجئين الجزائريين، العدد: 502، 4/ 6/ 19/ 57، ص 1.

كاشتراكي يزمن بأن للاقتصاد والاجتماع دورا أساسيا في ازدهار البلاد أرى بأن مشروع قسنطينة ضروري ونافع، ولكنه غير كاف، إن المشكل الجزائري لا يحل بالازدهار الاقتصادي ولا يحل بانتصار عسكري، ولكن يحل سياسي يرضي جميع السكان¹.

أما عن مشروع النهوض الاقتصادي والمالي فقد قال الكاتب العام للحزب الاشتراكي آنفا طريقه لم تحسن صنعها وبوسيلة لم نوفق في تطبيقها، فليس يحصل ذلك النهوض بالزيادة في الأسعار ومضاعفة الضرائب، واتخاذ تدابير مضايقة، وما إلى ذلك بما نأخذ من مئات المليارات من أفقر طبقات الشعب ومهما يكن الأمر فإذا لم تتدبر الأمر عن خبرة وتوازن، فإن الوطن سيتعرض لمأساة اجتماعية كاملة. وهكذا كانت الظروف الاجتماعية قاسية على الشعب الجزائري لم يجد بدا بسببها، إلا الهجرة من وطنه إلى البلدان المجاورة، أو إلى بلدان أخرى نجد فيها الأمن والسلام، حيث لم تتوقف الهجرة الجزائرية نحو الخارج ولاسيما تونس، إبان الثورة منذ اندلاعها حتى سنة 1962م.

ومنذ 1956م بدأ اللاعنون الجزائريون في تونس يكتبون في الصحف عن أسباب لجونهم إلى هذه البلد الشقيق، وفي يوم 21 جويلية 1956م نشرت مجموعة من الجزائريين بنونس باسم المهاجرين الجزائريين بيانا في جريدة الصباح أوضحت فيه أوضاع الخالية الجزائرية وموقفها من الثورة الجزائرية وذكرت أن تونس كانت وما تزال من الاحتلال الفرنسي للجزائر ملجأ ومأوى لأحرارها الذين يقرون زراقات ووجدانا بدينهم ولغتهم وشرفهم من وجه الاحتلال المقيت ومارسوا في تونس كل المهن الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ونحو ذلك وما جاء في البيان²: "تواجد الجزائريين في تونس كخالية منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث كانوا دائما يجدون الأمان والمأوى بعد الهجرة الاختيارية، فلا نحال أن تكون الخالية الجزائرية تونس كثيرة العدد أنهم توزعوا على مختلف فروع النشاط الاقتصادي التونسي، فإذا أبعانا ترقية اللجنة المديرية لودادية الجزائريين بالقطر التونسي العام 1955 كمثل لوجدانا منهم انخامي، والطبيب والصيدلي والموظف والفلاح والتاجر والمفازن الصناعاتي وحتى فندقي، مما يعني أنه كان هم حصولهم إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية بالجزائر، لقد تحمل جزائريو تونس مسؤولياتهم بتأييد طموح شعبهم للتحرر والإنعتاق، وذلك بالتنديد بما يتعرض له من قمع وقهر وتدمير لدى السلطات الاستعمارية في باريس³.

¹ - مجموعة من الجزائريين المقيمين بنونس إلى القسم الجزائري بتلك المغرب العربي، بالثائرة، جريدة الصباح 21 جويلية 1956 ص 2.

² - بوقية من الجزائريين بنونس إلى رئيس الحكومة الفرنسية، جريدة الزهرة 4 أوت 1955 ص 1.

ولما لم يشفع هذا الاجتماع، تأكد لهم أن لا حل أمام الجزائر إلا استعمال القوة لاسترجاع حقوقها المهضومة منذ ما يزيد عن القرن وربع القرن فاندفعوا في تأييد جيش وجهة التحرير الوطنيين بلا قيد ولا شرط حتى النصر النهائي¹.

لا شك أن الاستقلال التام لتونس والذي أيده جزائريو تونس بأن أكدوا بأنهم ليسوا "فرنسيين مسلمين" لأنه لقب كبريه بالنسبة لهم وتوجهوا إلى الشعب طالبين منه اعتبارهم جالية عربية مسلمة "لا فرنسية" لأن الشعب الجزائري التائر لم يثر ثورته الجائحة هذه إلا دفاعا عن كرامته وعزته وعرويته وإسلامه ومعنى هذه الأسطورة الخرافية التي يشرف بها الفرنسيون والانسلاخ من هذه الجنسية التي أخفت بنا قرنا وربع قرن ونحن منها براء يشهد بذلك إسلامنا وعروبتنا وما قاساه الشعب الجزائري من إهانة وذل وعذاب ، فإن كان الشعب الجزائري كبيره وصغيره ، شيوخه وشبابه ، نسائه ورجاله يذهبون ضحية العدوان في سبيل هذا الأمر المحلل ثم تأتي هنا ونرضى بهذه الجنسية المفقودة وبرضى أن تبقى نعامل كالفرتسيين فسا نحن إلا نخونة مارقون حق علينا غضب الشعب .

وويل لعمري من غضب الشعب الجريح المكافح إننا عرب مسلمون نعامل معاملة العرب بريء من الشعب التونسي أن يعتبرنا جزائريين مسلمين عرب ، نحن من الجزائر وإلى الجزائر العربية ننسب في سبيل الجزائر فحيا وشموت² وكان الجزائريون على حق حين طالبوا السلطات التونسية إسقاط اعتبارهم فرنسي الجنسية ، فهاهي فرنسا تحاول نقل المساجين السياسيين الجزائريين بعد استقلال تونس من السجون التونسية إلى السجون الفرنسية بعد حملات الانتقادات التي تعرضوا لها منذ اندلاع الثورة³ لذا فقد دفع هؤلاء المساجين أصواتهم للاستغاثة بالسلطات التونسية لكي تقف دون رغبة السلطة الفرنسية لأن الأمر يشتر فيهم تقويات التشفي والانتقام .

والأمر الذي يثير الاستغراب وجود مساجين للدولة أخرى في أرض دولة مستقلة ويبدو أن الحكومة التونسية تغادرت الإشكال برفضها السماح بنقل المساجين خارج تونس ، مما ساهم في منع نقل رؤوس كانت تساعد فرنسا على فرض هيمنتها أكثر على الجزائر..

هذا العمل والموقف الشجاع من الحكومة التونسية قابله موقف لا يقل شهامة وشجاعة ، ألا وهو الموقف المتضامن للشعب التونسي مع أخيه الشعب الجزائري في محتته الشيء الذي جعل الجزائريين ينهون به على صفحات الجرائد وهم يرون الشعب التونسي يساعد إخوانه اللاجئين الجزائريين في محتتهم⁴ وحتى

¹ - برقية من الجزائريين المقيمين بتونس إلى القسم الجزائري بمكتب المغرب العربي بالقاهرة جريدة الصباح مرقع سابق ص2

² - نداء من جزائريو تونس ، جريدة الزهرة ، 20 ماي 1956 ، ص1

³ - جريدة الزهرة : 9 أوت 1955 ، ص1 ، جريدة الصباح ، نفس التاريخ.

⁴ - محمد الأحصر الساجي : الإعانة الحالية ، جريدة الصباح ، 27 جويلية ص2.

المساجين كان فم نصيب من هذه المساعدة، حتى يشعرون أنهم "...حقا في وطنهم الثاني بين إخوان كرام"، وكما كان اللاهثون الجزائريون تونس يساندون الثورة ويؤيدونها بالرجال والعتاد كان الطلبة الجزائريون في تونس أيضا من مسانديها و مداعميها ولم تكن الثورة بالنسبة إليهم ظاهرة مفاجئة وإنما كانت وجماعها قد وصلت إليهم قبل اندلاعها من جراء الممارسات الاستعمارية الظالمة من جهة ووعي الطلبة وتورهم من جهة أخرى .

وقد انضموا إلى إضراب 19 ماي 1956 الذي دعا إليه اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين الذي تأسس في فرنسا سنة 1955م، على الرغم من أنهم لم يكونوا أعضاء فيه، وعلى الرغم من أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية المأساوية في تونس فقد اختاروا طريق الإضراب اللاهثي عن الدراسة كما فعل باقي الطلبة الجزائريون المتواجدين في فرنسا والجزائر الذين أضربوا منذ 19 ماي 1956 فاضرب الطلبة الجزائريون بتونس استجابة لنداء جمعية الطلبة الجزائريين¹ وأظهروا ذلك على صفحات الجرائد² إلا أن البعض لم يقنع هذه الخطوة واعتبرها قاصرة عن أداء المهمة ولا يرى حلا إلا الالتحاق بالجهيل والأخذ بالتأثر لضحايا الاستعمار³.

لم يظل انتظار هؤلاء، حيث صدر نداء الطلبة الزيتونيين للعودة إلى الدراسة في سبتمبر 1956⁴ على الرغم من أن الإضراب تواصل في الجزائر وفرنسا إلى غاية أكتوبر 1957 والسبب في ذلك هو حرص جبهة التحرير الوطني على المستقبل الدراسي لإضرابات الجزائر المستقبلية بتفادي الانقطاع الطويل عن الدراسة خاصة وأن كل الدلائل كانت تشير إلى أن نهاية الحرب في الجزائر لن تكون في القريب العاجل وعلى الرغم من مشاركة وتمثال الطلبة لقرارات جبهة التحرير الوطني، إلا أن الملفت للانتباه هو أنهم لم ينظموا إلى الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بمجرد تأسيسه سنة 1955م.

وببدو أنه كانت توجد خلافات بينهم⁵ مجموعة تريد أن تحل من جمعية الطلبة الجزائريين إطارا تقليديا يمثل للطلبة⁶ و مجموعة أخرى تريد إنشاء جمعية جديدة لتكون فرعاً للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين⁷ وقد أدى استمرار هذا الخلاف بالطالب يحي بوعزيز إلى كتابة مجموعة مقالات بعنوان رسالة

¹ - نداء إلى جميع الطلبة الجزائريين، جريدة الصباح، 29 ماي 1956، ص2.

² - الطاهر وطار، نداء راحلون، جريدة الصباح، 6 أكتوبر 1956.

³ - حمادي بغريش، لو كنت ثائرا، جريدة الصباح، 8 جوان 56، ص4.

⁴ - نداء جمعية الطلبة الجزائريين، جريدة الصباح، 28 سبتمبر 1956، ص4.

⁵ - نداء من الاتحاد العام : الطلبة المسلمين الجزائريين إلى الطلبة الجزائريين بتونس، جريدة الصباح، 22 مارس 1956، ص3.

⁶ - يحي بوعزيز، لم يختلف أبدا، جريدة الصباح، 4 مارس 1956، ص4.

⁷ - إبراهيم زعويوب، "علام مختلف"، جريدة الصباح، 24 فيفري 1956، ص3.

الجمعيات¹ حاول فيها تشريع عمل وأهداف وأهمية الجمعيات الطلائعية، بل وحتى كيفية النضال داخلها ودعى إلى الوحدة في العمل، إلا أن دعوته ذهبت أدراج الرياح، ولم ينشأ خلاف إلا بتدخل جبهة التحرير الوطني وإفائها الوجود الرسمي للجمعية الطبية الجزائريين بالدعوة إلى انتخاب فرع للاتحاد كمجندين أو مكلفين بالقيام بأعمال الدعاية والتكوين وتعليم اللاجئين والإشراف على مرافق حيوية متعددة² تابعة للثورة التحريرية في تونس.

وخلال هذه الفترة أن المجتمع الجزائري إبان عهد الاحتلال الفرنسي عامة وأثناء الثورة التحريرية خاصة قد عرف حياة مأساوية لم يسبق لها مثيل: في أمنه العائلي وفي أمنه الصحي وفي استقراره السكاني وفي أمنه الثقافي وفي الاستقرار النفسي والاستقرار الاجتماعي. مما جعله يهاجر إلى مختلف البلدان العربية والأوربية التي ترسم فيها شيئا من الأمن والاستقرار، فكانت أقرب البلدان إليه محطته الأولى، الأكثر كثافة وانسجاما مع سكانه وهي البلاد التونسية ذات العلاقة التاريخية الوطيدة بين سكان البلدين، مما يبور لديه فكرة الدولة الوطنية التي لا يمكن أن تصان كرامته إلا بوجودها. ازداد تشبثا والتمسكا بالثورة طوال سبع سنوات ونصف حتى استرجع سيادته كاملة غير منقوصة بكفاحه المستمر على كل المناسبات السياسية والعسكرية والثقافية والاجتماعية داخل الوطن وخارجه.

المبحث الثاني / الدعم الاجتماعي للاجئين الجزائريين بتونس (1954-1957):

تزايد عدد اللاجئين إلى تونس بعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 في مرحلتين رئيسيتين: تميزت المرحلة الأولى ببلجوء الجزائريين إلى الأراضي التونسية بعائلاتهم وأموالهم ومواسيهم دون أن يطلب منهم الرحيل من قرانهم الحدودية أو ما قبل المناطق الحدودية، حفاظا على أرواحهم وأموالهم ورفضاً للتعامل مع سلطات الاحتلال الفرنسي وتمتد هذه المرحلة من بداية الثورة إلى ربيع 1957م. أما المرحلة الثانية فتبدأ من شهر سبتمبر 1957 عندما شرعت الحكومة الفرنسية في تنفيذ خطط عسكري استعماري يتضمن تطهير منطقة الحدود الشرقية الجزائرية تهديدا لإقامة الأسلاك الشائكة التي عرفت بخط موديس³ وأصبح سكان هذه المناطق الحدودية مهددين من القالة شمالا إلى الصحراء جنوبا، وبالمطاردة والقتل حيث استعملت قوات الاحتلال مختلف أنواع الأسلحة مثل: المدافع والطائرات لتهدم القرى وحرق المزارع واضطر آلاف الجزائريين من الشيوخ والأطفال والنساء للفرار بحياتهم بعد أن فقدوا كل شيء.

¹ - جريدة الصباح: 20 ديسمبر 1956. 1 - حانفي، 6 فيفري 1957.

² - محمد الصالح البخاري و آخرون: الأدب العربي في شمال إفريقيا: مقالات نقدية وبيبلوغرافية وصفيّة، دار موهج 1982، ص: 37.

³ - جريدة المجاهد، العددان 12-15، نوفمبر 1957، ص: 3.

وفي هذه المرحلة كانت مأساة اللاجئين الجزائريين فوق ما يتصوره العقل حيث وصلوا إلى الأراضي التونسية منهكين ومخطمي الأمل في الحياة بسبب العوز المادي ومشاكل السكن والحرمان من أدنى ضرورات الحياة¹.

والحق أن اللاجئين الجزائريين قد تورعوا في البلاد التونسية على مختلف المراكز والمدن والضرى كل حسب إمكانياته وعلاقاته بالجزائريين الذين استوطنوا بتونس من قبل. غير أن قيادة جبهة التحرير الوطني والسلطات التونسية، قد تكففتا بشئوهم واجتماعية وإيوائهم في مراكز أقيمت داخل الحدود التونسية بمناطق "الكاف" و"غار النعناء" و"طيرقة" و"ساقية سيدي يوسف" و"توزر" و"قصة" و"مدنين" و"مدني بورقية" و"باجة" و"جندوبة" و"محاز الباب" و"سيظلة" و"تونس العاصمة" و"عين دراهم". وهناك من اللاجئين الجزائريين من اشترى مسكنا أو أجرد من العائلات التونسية أو أقام عند بعض العائلات القاطنة بتونس وضا ممتلكات قديمة هناك.

ولم يستقر اللاجئون الجزائريون في القرى والأرياف الحدودية فحسب، بل فقد انتشروا في المدن الكبرى ولاسيما العاصمة تونس حيث أصبحوا يقيمون في كل أحياء العاصمة وينشئون علاقات اجتماعية واقتصادية وثقافية حوارية مع التونسيين. فظهرت بينهم علاقات عائلية بالمصاهرة ونشأبات المصالح الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

هذا وقد بذلت الحكومة التونسية واللال الأحمر التونسي بالتعاون مع مصلحة الشؤون الاجتماعية لجهة التحرير الوطني قصارى الجهود لإسعاف المنكوبين وإيواء المشردين؛ وكانت إقامة اللاجئين وأوضاعهم جد صعبة من حيث الإسكان والغذاء والعلاج²، لأن إمكانيات التكفل لدى جبهة التحرير الوطني والحكومة التونسية كانت ضعيفة إلى حد كبير لم تستطع تلبية حاجة اللاجئين وتوفير شروط الحياة اللازمة لهم على الأراضي التونسية. إذ لم يكن من الميسور استقبال الأعداد الكبيرة من اللاجئين في وقت قصير³. والحق أن الحكومة التونسية برئاسة الحبيب بورقية قد تحملت ما فيه الكفاية من الأعباء الاقتصادية والاجتماعية لصالح اللاجئين الجزائريين المشردين من وطنهم، انطلاقا من اقتناع بات إنسانية

¹ - المكان نفسه.

² - يعني إحدى المدن التونسية المتاخمة للحدود الجزائرية، كانت من أهم الملاجئ للجزائريين اللاجئين إلى تونس، وذلك لعرفتهم بها وتقع على الساحل للبحر الأبيض المتوسط.

² - انشاهد: العدد 36 (06 فيفري 1959، ص2).

³ - المكان نفسه.

والأخوية وجوارية وحضارية، حيث سعت ما وسعتها أساليب المسعى للتعريف بمأساتهم أمام الرأي العام العالمي.

والحق أن أهم انعكاس ترتب عن الحرب التي كانت تشتتها فرنسا بالجزائر هو اضطراب الآلاف من الجزائريين لاجئاً إلى البلدان المجاورة، كالمغرب وتونس وليبيا، حيث كانت تتواجد بتونس جالية جزائرية معتبرة انضمت إليها منذ اندلاع الثورة الجزائرية أعداداً ضخمة من اللاجئين، وإذا كانت السلطات الفرنسية نرمي من وراء سياسة القمع والطرد لسكان الحدود الشرقية خلق مشاكل مادية للثوار الجزائريين وإثارة الصعوبات للحكومة التونسية الفتية لتكف عن دعمها للثورة الجزائرية، فإن مشكل اللاجئين أكد الحضور القوي للجزائريين بتونس من تلال الشبكات والمصالح الاجتماعية التي أقامت جبهة التحرير الوطني لتكفل باللاجئين، وأظهرت أشكالاً من التضامن والتكافل الأخوي بين الشعبين وبشكل جعل السلطات الرسمية بتونس تتجاوب مع تحمل تبعات الحضور الجزائري حسب ظروفها وإمكاناتها المتاحة.

ولا شك أن العرض لمواقفها من قضية اللاجئين سيظهر مدى علاقتها بالثورة الجزائرية ومناصبقتها للأهداف التي ناشدت جبهة التحرير الوطني تحقيقها لفائدة الكفاح الوطني، خاصة وأن قضية اللاجئين بالنسبة لأية دولة تكون "ورقة رابحة" إذا ما حسن استغلالها، ولم تكن هذه الحقيقة لتخفى على المسؤولين الجزائريين إذ يسهل علينا تلمس النتائج الإيجابية والمزور الهام الذي قدمه اللاجئون لصالح القضية الجزائرية بقاعدة تونس وهذا ما يدفعنا لإبراز الجهود والنشاطات التي قُضت بها مؤسسات وتنظيمات الثورة الاجتماعية التي أكدت بحق التمثيل الاجتماعي للجزائريين بتونس والذي ارتسمت ملامحه بأهداف ومبادئ الثورة الجزائرية. ترتب عن سياسة الاضطهاد التي شنتها السلطات ضد الشعب الجزائري آثاراً سلبية طالت البلاد المجاورة، نتيجة اضطراب الأسر الجزائرية منذ اندلاع الثورة التحريرية وعبر مراحل متوالية الممتدح إلى تونس والاستقرار بها كما سبق الذكر، حيث تكفلت جبهة التحرير الوطني بشؤونهم باعتبارهم جزائريين منكوين فروا من جحيم القمع الفرنسي، وتحملت سلطات تونس وشعبها جهوداً معتبرة لإيوائهم ورعايتهم، وستعرض في هذا البحث لمراسل تطور مشكل اللاجئين⁽¹⁾ وستبرز مختلف أشكال الدعم والمساعدة التي تلقوها بتونس.

لقد بدأت حركة هجرة السكان الجزائريين باتجاه القطر التونسي منذ اندلاع الثورة التحريرية وتزايدت حركية نزوحهم مع اشتداد رقعة الحرب، إذ تعرض سكان الحدود الشرقية لمضايقات الجيوش الفرنسية وأعوانها وخاصة عندما شرعت فرنسا في إقامة خط مورييس المكهرب واتخاذ الإجراءات التعسفية لإنشاء المناطق المحرمة على مساحة واسعة داخل الحدود الجزائرية، فأصبحت قوافل اللاجئين تتدفق بأعداد كبيرة على تونس وقررت السلطات الفرنسية إبعاد كل سكان المنطقة بالقوة في محاولة منها أغلق الحدود وعزل الثورة الجزائرية بالداخل، وقامت القوات الفرنسية بمطاردة السكان وتقتيلهم وتدمير القرى والمدن

وإحراق الأمته والمزارع، واضطر سكان هذه المناطق من الشيوخ والنساء والأطفال الفرار بأنفسهم⁽²⁾ والنجوء إلى تونس، وأقيمت لهم الملاجئ بالأراضي التونسية، ظلوا يعانون فيها الجوع والعري والأمراض الفتاكة، وفي ظل هذه الظروف طرحت جبهة التحرير الوطني قضية اللاجئين الجزائريين الذين يتعرضون لتمييز إنساني، ووضعت كل إمكانياتها لمساعدة اللاجئين وإسعادهم قبل تصاهر الجهود الدولية ووصول المساعدات، فقد كانت تونس حكومة وشعباً أولى الأطراف اهتماماً بقضية اللاجئين واحتضاناً لأعدادهم المتزايدة، وعلى الرغم من استقلالها الحديث وإمكاناتها الضعيفة، إلا أن المواقف السياسية والشعبية إزاء احتضان عشرات الآلاف من اللاجئين ودعمهم بأشكال مختلفة تؤكد للمباحث مدى الدور الاجتماعي الفعال الذي قدمته تونس في التكفل باللاجئين الجزائريين.

تتمد صلات النأحي والتآزر بين التونسيين والجزائريين في القدم وخلال الفترة الاستعمارية استوطنت جالية جزائرية معتبرة تونس، كما أن الصلات الاجتماعية كانت تشد سكان الحدود الجزائرية الشرقية بإخوانهم التونسيين⁽³⁾.

و منذ اندلاع الثورة الجزائرية استقبل لجوء الجزائريين باستقبال شعبي تلقائي ودون ترقب لقرار سياسي، إذ استقبلت تونس أوائل اللاجئين منذ سنة 1955 عندما غادر العديد من العائلات التي رفضت التعامل مع السلطات الفرنسية خاصة من مدن الشرق الجزائري واستقرت بالمدن التونسية، كما ترك الكثير من سكان المناطق الحدودية أوطانهم ونجأوا إلى تونس إثر توسع رقعة الحرب إلى هذه المناطق وقيام القوات الفرنسية بعمليات التمشيط والتهديد لسكان الأرياف العزل، ولم يخلق هؤلاء مشاكل للسلطات التونسية لأنهم جلبوا معهم قطعاتهم ومتاعهم لتوفير الأموال⁽⁴⁾، واستقروا بتواحي غار الدماء وطريقة كما توجهوا إلى بواحي الجنوب الشرقي باتجاه سببلة وتزايدت أعدادهم خلال النصف الثاني من سنة 1956⁽⁵⁾.

و أدركت الحكومة التونسية الفتية مدى خطورة هذا التزيف السكاني الذي تسببه حرب الجزائر وبذلك جهوداً كبرى لاستقبال جموع اللاجئين وقدمت لهم الإسعافات الأولية، وبحكم خطورة الأوضاع التي يعيشونها بادرت تونس من خلال وفدها لدى هيئة الأمم المتحدة بتقديم تقرير مفصل عن أوضاع اللاجئين الجزائريين وما يعانون من مصاعب جراء السياسة الفرنسية، كما ندد الرئيس الحبيب بورقيبة بالمخاطر التي يتعرض لها الشعب الجزائري، ووجه انتقاده للضمير العالمي الذي لا يلتفت لما تقوم به فرنسا بالجزائر من أعمال تنافي ومبادئ هيئة الأمم المتحدة⁽⁶⁾.

وعلى الرغم من أن تونس عرضت قضية اللاجئين كمشكل سياسي وفي ذلك تأكيد لوجهة نظر جبهة التحرير الوطني⁽⁷⁾ إلا أن المنظمات الدولية ظلت عاملة عن قضية اللاجئين الجزائريين، وقد بدأت مساعدات هيئة الصليب الأحمر الدولي بشكل محدود.

في نهاية ماي 1957 وحتى شهر سبتمبر 1957 بدأت القوات الفرنسية مشروعها لتطهير منطقة الحدود الشرقية الجزائرية تمهيدا لإقامة الأسلاك الشائكة (خط هوريس)، وأصبح سكان هذه المنطقة من النقال شمالا وحتى الصحراء جنوبا مهددين بالمطاردة والقتل، إذ استعملت القوات الفرنسية المدافع والطائرات لتهاجم القرى وحرق المزارع واضطر الاف الجزائريين من الشيوخ والأطفال والنساء للفرار بحياتهم بعد أن فقدوا كل شيء، وفي هذه المرة كانت مأساة اللاجئين الذين نزلوا بتونس كبيرة، إذ وصلوا بأعداد ضخمة وهم منهكون، وفقراء معدومون من كل ضروريات العيش⁽⁸⁾، وبذلك الحكومة التونسية واللال الأحمر التونسي بالتعاون مع مصلحة الشؤون الاجتماعية لجهة التحرير الوطني، قصارى الجهود لإسعاف المنكوبين وإيواء المنشردين، فأقيمت لهم المراكز على طول الحدود التونسية، وكانت أوضاع اللاجئين جد صعبة من حيث الإيواء والأغذية والعلاج لأن الإمكانيات المحلية لتونس ولجهة التحرير الوطني كانت ضعيفة، ولم يكن من السهل استقبال مثل هذه الأعداد الكبيرة من اللاجئين في وقت قصير⁽⁹⁾.

من هنا فقد تحمست الحكومة التونسية عبء العناية هؤلاء المنشردين باعتبار أن ذلك بعد واحبا إسانيا وأحويا، وسعت للتعريف بمأساتهم أمام الرأي العام الدولي، إذ قامت كناية الدولة التونسية للأخبار باستضافة جموع من الصحفيين الأحانب ودعتهم للإطلاع بأنفسهم على أوضاع اللاجئين المأساوية ومعاينة مدى اتساع هجرة الجزائريين أمام الضغط والعدوان الاستعماري المتوالي على القرى والمدن والجزائرية⁽¹⁰⁾.

وسعت الحكومة التونسية من خلال اتصالاتها الدولية من أجل طرح قضية اللاجئين الجزائريين في هيئة الأمم المتحدة، إذ اتصل المنجي سليم ممثل تونس لدى الجمعية العامة للأمم المتحدة بالسيد محمد يزيد مندوب جهة التحرير الوطني، ثم تقابلا مع الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة وأجرىا معه محادثة تناولت مسألة إعانة اللاجئين الجزائريين، وأعلن إثرها المنجي سليم : " أن تونس قدرت الاستعانة بالمندوب السامي للاجئين لتسوية مشكلة اللاجئين الجزائريين في تونس " ⁽¹¹⁾.

كما ضاعف اللال الأحمر التونسي جهوده لتقديم الإعانات الضرورية للاجئين إذ قام رفقة الجمعيات والمنظمات الوطنية بحملة تحسيسية ونظم عدة اكتتابات لجمع التبرعات، واستطاع حت هيئة الصليب الأحمر الدولي لتقوم بتقديم مساعداتها الإنسانية للاجئين وكسب التعاون معها لتقديم المساعدات وتوزيعها بواسطة فروعه المختلفة، لكنها كانت مساعدات محدودة لا تسد حاجيات اللاجئين الجزائريين ومن أجل الرفع من مستوى هذه المساعدات كان المسؤولون التونسيون ينتهزون كل الفرص لإقناع هيئة الصليب الأحمر الدولي بتقديم مساعدات منتظمة تسد حاجيات اللاجئين الجزائريين، وفي هذا الإطار أصيب الكاتب العام لوزارة الخارجية خميس الحبري عندما كان يقوم بعهمة استطلاعية في أوساط اللاجئين

عنطقة عين دراهم قبل سفره إلى جنيف لإطلاع الدوائر الأمية بوضعية اللاجئين بحروج يوم 28 ماي 1957 إثر اشتباك مع القوات الفرنسية أدت إلى وفاته⁽¹²⁾.

و ازدادت أفواج اللاجئين تدفقا بحلال السداسي الثاني من سنة 1957، وتشير الإحصائيات المختلفة إلى ضخامة أعدادهم، إذ قدرت لجنة التنسيق والتنفيذ أعدادهم بـ 100 ألف لاجئ جزائري في تونس حتى أكتوبر 1957، لكن المصادر التونسية تقلل من هذا الرقم، إذ قدرهم الهلال الأحمر التونسي بـ 85 ألف⁽¹³⁾، غير أن المتفق عليه هو أن جميع الجهود التي تبذلها الهيئات التونسية والجزائرية ليس بإمكانها سد حاجيات اللاجئين.

إن الهلال الأحمر التونسي الذي اشتهر منذ مارس 1957 دوليا بنبته لقضية اللاجئين الجزائريين كان دائما يستنجد بالمساعدات الدولية، ويستصرخ هيئات الإغاثة الدولية للإمراع بتقديم الإعانات الإنسانية، وعندما كان الهلال الأحمر الجزائري لم يحقق بعد الاعتراف الدولي كان الهلال الأحمر التونسي يقف إلى جانبه بالتشجيع المادي والمعنوي، وكان خير ممثل لمطلب مساعدة اللاجئين الجزائريين خلال الندوة العالمية للصليب والهلال الأحمر ببيودهي من 24 أكتوبر إلى 7 نوفمبر 1957، إذ تبني المؤتمر المطلب التونسي الذي حاز على إجماع الدورة العامة، وقررت الندوة ضرورة تحقيق مجهود دولي لتقديم المساعدات الإنسانية للاجئين الجزائريين، وهذا القرار كرس تضامنا دوليا مع اللاجئين الجزائريين⁽¹⁴⁾، إذ بدأت المساعدات الدولية تفد إلى تونس، وكان الهلال الأحمر التونسي يخضى بتعاون محكم مع هيئة الصليب الأحمر الدولي، إذ تقدم هذه الأخيرة المساعدات باعتباره عضوا فيها فيقوم بتوزيعها على 37 مركز للاجئين موزعة على القطر التونسي الشقيق⁽¹⁵⁾، وكان يستقبل المساعدات التي تقدم بها الدول المتضامنة مع الجزائر، ويشرف على توزيعها بنفسه إذ أن الحكومة التونسية قررت التكفل والإشراف على حملة التضامن والمساعدات الدولية بواسطة الهلال الأحمر التونسي وكانت تصر على أن تسلم معونة الدول له ولا تسمح إلا هيئة الصليب الأحمر بالتوزيع بينما مساعدات الدول الأخرى كان يجب تسليمها إلى السلطات التونسية باعتبارها الوساطة في التوزيع والتعامل مع اللاجئين، لذا رفضت السلطات التونسية لعناصر الهلال الأحمر المصري وبعثته الطبية الدخول إلى التراب التونسي⁽¹⁶⁾.

و في بداية سنة 1958 شنت القوات الفرنسية بالجزائر حملات مطاردة وهجوم على ملاجئ الجزائريين والمناطق الحدودية التونسية بحجة تتبع الثوار الجزائريين وإرجاع اللاجئين إلى وطنهم، وقد ذهب ضحيتها عشرات القتلى من الجزائريين والتونسيين، كما ازدادت عمليات اجتياح وتدمير القرى والمدن بالحدود الجزائرية خاصة بعد حادثة ساقية سيدي يوسف في 8 فيفري 1958 وما تلاها من إجراءات فرنسية وقرار إنشاء المناطق المحرمة على الحدود الجزائرية التونسية⁽¹⁷⁾، وأخذت قوافل اللاجئين تتدفق على تونس هروبا من المطاردة واستقرت بها أعداد كبيرة من سكان المناطق الواقعة على الشريط الحدودي

الجزائري حاحه سكان الدواوير والدير والكويف ومرسد وبكارية والماء الأبيض، وبحيرة الأرنب، وتازييت وغيرها⁽¹⁸⁾، وكان اتحاد سكان هذه المناطق إلى أقرب نقطة في البلاد التونسية وهي القصيرين وثالة وعين بودقة، أما منطقة سيطة فأوت ما يقرب من 1600 لاجئ تضاف إلى 7000 لاجئ موجودين بها من قبل، وقد قامت الحكومة التونسية بجمع بعضهم في مخيم "عين حمورة" ووزعت الخيام لإيواء اللاجئين، كما أرسل الهلال الأحمر التونسي الإسعافات الأولية لهم⁽¹⁹⁾.

إن اشتداد الممارك وحملات الطرد جعلت أعداد اللاجئين الجزائريين إلى تونس تتضخم، ولم تستطع الهيئات والمنظمات القائمة على شؤون اللاجئين إعطاء أرقام مضبوطة عن أعداد اللاجئين، فقدرت جبهة التحرير الوطني أعدادهم في أكتوبر 1957 بـ 100 ألف لاجئ تونس، في حين أن الحكومة التونسية لم تستطع إعطاء إحصائيات دقيقة بسبب توزع اللاجئين وتقلبهم داخل القطر التونسي، وحسب مصادرها فإن عدد اللاجئين في الفترة ذاتها 85 ألف لاجئ، وهو ما خلق صعوبات في توزيع المساعدات التي كانت مقدرة حسب الأرقام المقدمة من الحكومة التونسية⁽²⁰⁾، ومعطيات الجدول التالي توضح تباين التقديرات⁽²¹⁾.

المنطقة	عدد اللاجئين	المنطقة	عدد اللاجئين
قفصة	9014	مزل بورقية	83
توزر	2450	باجة	490
سيطة	25368	سوسة	387
سوى لربعاء	40323	صفاقس	200
الكاف	49449	بقرت	282
تونس	2541	زغوان	220
نالوت	33	مدنين	60
المجموع / 130000 شخصا			

جدول يبين توزع اللاجئين الجزائريين بالولايات التونسية (أكتوبر 1958).

إن اللاجئين الجزائريين بتونس وعلى الرغم من المساعدات الدولية المقدمة والجهود المبذولة من الحكومة التونسية وجبهة التحرير الوطني إلا أنهم ظلوا مشردين في الملاجئ، يعيشون ظروفًا صعبة تحت الخيام أو في أكواخ بسيطة ومع السكان المحليين بالمناطق الحدودية، إذ مثل تضامن سكان هذه المناطق تكافلا اجتماعيا واسعا، فقد ظلوا يقتسمون لقمة العيش مع إخوانهم الجزائريين⁽²²⁾، ولكن وعلى الرغم من

الجهود المحلية والدولية المبذولة لإغاثة اللاجئين إلا أن وجود ما يقرب 150 ألف لاجئ جزائري منهم من الشيوخ والنساء والأطفال في بلد صغير وفقير مثل تونس شكل عبئا على الحكومة التونسية⁽²⁹⁾.

حيث كان اللاجئين الجزائريين يختارون أول عطاياهم المراكز الحضرية القريبة من الحدود الجزائرية حتى يسهل عليهم إدخال بعض مواشيهم وامتعتهم مثل: القصيرين وثالة وفريان وعين بودة.

وكانت سيطرة وحدها قد استقبلت 1600 لاجئ في هذه الموجهات الأخيرة من اللجوء الجزائري إلى تونس، علاوة على 7000 نسمة كانت موجودة بها من قبل وفي هذه الأخيرة قامت الحكومة التونسية بمحسب بعضهم في شيم "عين حمورة"، ووزعت عليهم الخيام للإسكان وقدمت لهم مساعدات غذائية وأتانية كالأغطية والأفرشة ونحو ذلك بواسطة الهلال الأحمر التونسي¹.

ولعل ما أوجد صعوبات حمة أمام الحكومة التونسية لتوزيع المعونات على هؤلاء اللاجئين هو تنقلهم بشكل واسع في مختلف البلاد التونسية كما سلف الذكر - وعدم القدرة على وضع إحصاء دقيق لإعدادهم الكثيرة، وما بذل على ذلك هو التعارض الموجود بين إحصاء جهة التحرير الوطني وإحصاء الحكومة التونسية في سنة 1957، فبينما تذكر إحصاءات جهة التحرير الوطني 100 مائة ألف لاجئ تشير الحكومة التونسية إلى 85000 شخص فقط - كما سلف الذكر -. والجدول الآتي يبين هذا النقص بين الإحصاء الجزائري والإحصاء التونسي.

إحصاءات جزائرية		إحصاءات تونسية	
الفترة	العدد	الفترة	العدد
أكتوبر 1957	97000	جوان 1957	60.000
جانفي 1958	100000	أكتوبر 1957	85.000
أكتوبر 1958	120.000	أكتوبر 1958	110.000
جانفي 1959	125.000	أكتوبر 1958	150.000
سبتمبر 1959	130.000		
أكتوبر 1959	150.000		

من خلال هذا الجدول المقارن يتضح للباحث أن سنة 1959 قد تطابقت فيها الإحصاءات الجزائرية مع إحصاءات الحكومة التونسية، وهذا بفضل التنسيق والتعاون الذي مكن من ضبط عدد اللاجئين المتواجدين في تونس.

¹ المجاهد: العدد 19 (01 مارس 1958) ص 10.

والحق أن صعوبات توزيع المساعدات على اللاجئين الجزائريين لم تكن محصورة في اختلاف الإحصاءات وعدم دقتها بين السطتين: جهة التحرير الوطني والحكومة التونسية وإنما كانت هناك عقبات أخرى أمام مصدحة اللاجئين لجهة التحرير الوطني ناتجة عن احتكار الضلال الأحمر التونسي لتوزيع المساعدات الدولية، مما قلل من أهمية التوزيع وشموليته لكل المراكز السكانية للاجئين.

وكنتيجة مباشرة لهذه المعوقات سعت مصدحة اللاجئين لجهة التحرير الوطني إلى الحصول على إحصاءات دقيقة حسب التقسيمات الإدارية للقطر التونسي، وقدمت أرقاما تكاد تكون دقيقة هؤلاء اللاجئين الذين قدرتهم بـ 130,000 ألف لاجئ في شهر أكتوبر 1959م، مورعين على المراكز الموجودة¹.

وأمام هذه الظروف الصعبة التي كان يعيشها اللاجئون بتونس سعت الحكومة التونسية وجهة التحرير الوطني لمناشدة المحافظة السامية للاجئين لجنة الأمم المتحدة بالتدخل السريع لتقديم مساعداتها و ضمان وصول المساعدات الإنسانية بانتظام، وقد أقرت هيئة الأمم المتحدة في 6 نوفمبر 1958 مشروع قرار تقدم به المنجي سليم والفيلاي ممثلا تونس والمغرب يتضمن حث المدوب السامي لشؤون اللاجئين على الإسراع بمساعدة اللاجئين الجزائريين بكيفية ناجحة⁽²⁴⁾.

وقامت الدبلوماسية التونسية بإجراءات ومساعي حادة لحث المنظمات والجمعيات الخيرية على مساعدة اللاجئين الجزائريين، ويذكر ممثل الضلال الأحمر الجزائري بنحيف بن تامي أنه اجتمع بالسفير التونسي بيون فأبدى له قبوله لتقييم الوساطة ونقل اشتغالات الضلال الأحمر الجزائري إلى المحافظة السامية للاجئين، وبلغ للهيئة المذكورة رسالة من الضلال الأحمر الجزائري أثناء مناقشات هيئتها التنفيذية لقضية اللاجئين الجزائريين يوم 29 جانفي 1959⁽²⁵⁾.

إن المساعي الدولية المتعددة كللت بتدخل المحافظة السامية للاجئين لتقديم المساعدات الإنسانية للاجئين الجزائريين، كما قدمت العديد من المنظمات الدولية والحكومات مساعداتها المادية وحسب الإحصائيات الرسمية للمحافظة السامية للاجئين فقد زود اللاجئون الجزائريون خلال الفترة بين 1959 و1962 بما قيمته 22 مليون دولار أمريكي⁽²⁶⁾.

وقد قامت المنظمات الإنسانية بتقديم مساعداتها للاجئين الجزائريين بتونس خاصة منذ أن بادرت جهة التحرير الوطني إلى إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين والأجانب فوق التراب التونسي، إذ كان لهذه المبادرة الإنسانية تشجعا كبيرا من الحكومة التونسية ووجدت صداها لدى المنظمات الإنسانية الدولية،

¹ الوثيقة مرقونة بـ 105 في مجلد جهة التحرير الوطني بتونس موقعة في 05 أكتوبر 1958.

وأصبحت هيئة الصليب الأحمر الدولي تتقرب أكثر فأكثر من اهللال الأحمر الجزائري في تنسيق العمل لإطلاق الأسرى ومضاعفة المساعدات الإنسانية⁽²⁶⁾.

إن الدعم الاجتماعي للاجئين بتونس توسعت مبادئه طوال سنين الثورة التحريرية، ولم يكن مقتصرًا على استضافة اللاجئين وإسعافهم، بل امتد إلى تحسين ظروف معيشتهم والسماح لهم بإقامة مصالحهم الاجتماعية وتنشيط شبكة اتصالاتهم بكل حرية، حيث ظلت المدارس والمستشفيات التونسية بالقرب من الحدود تقدم خدماتها للجزائريين.

و قد ساهمت المنظمات الوطنية والشعبية إلى جانب هذا الدعم الحكومي فقادت المنظمات العمالية والطلابية والنسوية أشكالًا مختلفة من الدعم للاجئين الجزائريين، وعلى الرغم من أن القسطنطينية من مساعداتها كان يقدم لها كإهداء من المنظمات الدولية فإن دورها الوسيط كان جد فعال في حيث المنظمات الخيرية على جمع المساعدات للاجئين.

و قد حددت الحكومة التونسية موقفها من قضية اللاجئين الجزائريين باعتبار أنهما مشكلة سياسية لا تعالج إلا بحصول الجزائر على استقلالها وعودة اللاجئين إلى بلادهم، وفي هذا الإطار كانت الحكومة التونسية تندد باستمرار تواصل الحرب وتجاهل الطرف الفرنسي لعواقب المشكلة الجزائرية التي خلفت أكثر من 150 ألف لاجئ بتونس، وقد رد المصمودي كاتب الدولة للأخبار على البلاغ الذي أصدرته الحكومة الفرنسية في جوان 1959، والذي يعتبر اللاجئين رعايا فرنسيين متجاهلا وجود الكيان الجزائري بقوله: " إن هذا البلاغ يتجاهل جوهر المشكلة الجزائرية وإذا كان الجزائريون قد لجأوا إلى تونس إثر قيام حرب ومشاكل سياسية فالواجب يدعو إلى التفاوض مع المسلمين الجزائريين لإرضاء مطالبهم الجزائريين الشرعية والسماح لهم بعودة حقيقية إلى أوطانهم"⁽²⁷⁾.

وهذا الموقف المؤيد لاستقلال الجزائر والداعي إلى إيجاد تسوية عادلة لقضية الشعب الجزائري أكد تواصل جهود الحكومة التونسية والهللال الأحمر التونسي لإعانة اللاجئين الجزائريين، والتكفل لهم اجتماعيا بالتعاون مع المؤسسات الاجتماعية لثورة الجزائرية، وعشية توقيف إطلاق النار في مارس 1962 ساهمت الحكومة التونسية والهللال الأحمر التونسي في الإشراف على عودة الجزائريين إلى بلادهم، وقد أثّرت بحدّة مشكلة صرف أموال العائدين إلى الجزائر، إذ أن تحويل أموال الجزائريين بأعدادهم الضخمة دفعة واحدة من الدينار التونسي إلى الفرنك الفرنسي بسبب اضطرابا للوضع المالي والاقتصادي بتونس، وانفقت الحكومة التونسية مع الحكومة الجزائرية المؤقتة على تخصيص مبلغ خمسمائة ألف فرنك كدسب بوضع تحت تصرف الحكومة الجزائرية المؤقتة من أجل تسهيل عودة اللاجئين، لكن هذا المبلغ لم يكن كافيا فتدخلت الحكومة التونسية لدى الجامعة العربية وطلبت مساهمة الدول العربية لحل المشكلة التي تستلزم وضع مبلغ ثلاث

ملايين فرنك تحت تصرف البنوك التونسية، وقد استجابت دولة الكويت وتم تسيير عملية الصرف وتسهيل عودة الجزائريين إلى بلادهم⁽²⁸⁾.

هذا وقد ظل الرئيس الحبيب بورقيبة منذ حصول تونس على استقلالها سنة 1956 يؤيد الثورة الجزائرية وينتقد الحكومة الفرنسية على سياسة العصا الغليظة التي اتبعتها مع السكان المدنيين الجزائريين في عمالة قسنطينة بوجه الخصوص، وهي العمالة المتاخمة للحدود التونسية المغربية.

نعم لقد تحمل الشعب التونسي قبل الحكومة الأعباء الجسيمة في استقبال اللاجئين الجزائريين، ولكن الموقف الرسمي للرئيس بورقيبة قد أعطى الدعم الجماهيري بعدا عميقا في العلاقات الجزائرية التونسية. ومن المواقف المتعددة التي وقفها بورقيبة مع الثورة الجزائرية عامة ومع اللاجئين الجزائريين خاصة النداء الذي وجهه إلى الضمير العالمي يوم العشرين من شهر فبراير 1958¹ أي بعد حادثة سابقة سيدي يوسف الأليمة بإثني عشر يوما فقط والتي احتلظت فيها دماء الجزائريين بدماء التونسيين على تربة واحدة. قال بورقيبة: "إن قرار مجلس الوزراء الفرنسيين يعرف أكثر من ذي قبل بنوايا فرنسا وهي رغم وضعها لخط موريس - لم تتجاسر على الجاهرة والإشهار مثل اليوم لأن الأمر لا يرفع من سمعتها وشرفها وفخرها"².

وعاد الرئيس بورقيبة إلى التاريخ فذكر بما اقترفته موسوليني لما طرد أهالي ليبيا إلى الصحراء عند مقاومته لجماعة عمر المختار.

كما ذكر أيضا بما اقترفته الشيوعية السوفياتية لما احتلت لتوانيا وأستونيا في البلطيق قبل الحرب العالمية الثانية — ورمت بغير الروسيين من سكانها إلى سيبيريا فماتوا بردا.

ثم انتقل إلى الحديث عن موقف الإنسانية من الحادث، فعبّر عن اعتقاده بأن رئيس الجمهورية الفرنسية لا بد أن يتأثر لو تصور مغبة قرار الحكومة الفرنسية مثل: تأثره بواقعة ملوزة³.

والحق أن بورقيبة في هذا البيان كان يريد تقديم مقاربات تاريخية للحكومة الفرنسية لكي تعتبر من تلك النماذج التاريخية والتي فشل فيها كل الدين قاموا بارتكاب هذه الجرائم الإنسانية في إفريقيا وفي أوروبا الشرقية.

وقد استشهد الرئيس بورقيبة في بيانه إلى الرأي العام العالمي بما كتبه صحافي فرنسي حول كبح عدد سكان دواوير من شمال مقاطعة قسنطينة: "مائة وثمانون ألف نسمة وقع إجلاؤهم من الدواوير في شمال

¹ - "نداء إلى الضمير العالمي"، جريدة العمل التونسية لسان الحزب الدستوري الحر، العدد 731، 20 فيفري 1958، ص 1.

² - بورقيبة "نداء إلى الضمير العالمي"، جريدة العمل التونسية، المرجع السابق ص 01.

³ - "نداء إلى الضمير العالمي"، جريدة العمل التونسية، المرجع السابق، ص 1.

مقاطعة قسنطينة وجمعوا حول المراكز العسكرية الفرنسية وسبعون ألف نسمة أخرى من المتوقع إخراجهم من نفس المنطقة، والمنطقة تمسح مسحا والأرض تحرق حرقا، وكل هذا يرمي إلى إرضاخ شعب أبي الهيمنة الفرنسية بل ابتلاعه وإدماجه قهرا في جمهورية فرنسا أو إلى الحكم عليه بالقضاء".

ويواصل بورقيبة بقده للمسؤولين الفرنسيين على حريهم وراء القوة والعظمة واستخدام العضلات وتشريد شعب أغزل من السلاح لا ذنب له سوى أنه يطالب بالحرية والاعتناق من ربة عبودية المحتلين الذين استعمروا أرضه واستبعدوا شعبه وهم يريدون دمجه قهرا في كيان الأمة غربية عنه.

وقد بحث الرئيس بورقيبة "عن السبب الذي دفع فرنسا إلى هذا فينسيه إلى اختقاد المسؤولين الفرنسيين في قوة الحديد والنار ونجاحهم في الحرب بالرغم من خيبتهم إلى حد الآن وبالرغم من نصيحة حلفائهم وأصدقائهم وما بذلته تونس من المساعي في هذا السبيل، ونتيجة العناد الفرنسي يحددنا بورقيبة " هناك ما بين المغرب وتونس منطقة تسمى الجزائر فيها عشرة ملايين من البشر هم في قبضة حيوانات كاسرة، لا رحمة فيها ولا شفقة، ويقع وسط هذا العالم، لا في أطراف منه، بل في منطقة لا تبعده عن فرنسا بأكثر من ساعة ونصف ومن إيطاليا ساعتين، وكذلك إسبانيا... في هذه المنطقة عشرة ملايين مهتدين بالقضاء بجميع وسائل الإرهاب حتى يصبحوا فرنسيين، إن هذه الحالة خطيرة، وإذا لم تعالج قبل أن قوات الأوان تكون النتيجة أن يذهب جميعا إلى البحر ...¹.

والحق أن بورقيبة قد وجد فسحة دولية بعد الهجوم الفرنسي على الساقية، لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية التي شاركت بعض طائرا في الحربية مع الطيران الفرنسي في قذف الساقية.

وقد وضع وزير خارجيتها المساعد "دالين" قائلا: "إنني اجزم بأننا سنبدل كل مجهود لتحقيق من عدم استعمال سلاحنا كما وقع في قذف الساقية".

وقد اغتبر بورقيبة تصريح وزير الخارجية المساعد بداية ليقظة عالمية اتجاه القضية الجزائرية فقال: "وعا كانت القضية الجزائرية مرحلة في سبيل الحل المنشود، ومن الممكن أن يأتي الحل عن المساعي الحميدة، خصوصا وقد قبلت فرنسا تشكيل لجنة فرنسية تونسية برأسها محاميد لمراقبة الحدود، فلمماذا لا تسع شولاها إلى النظر في نفس المشكل الجزائري، وتبحث له عن حل وبذلك تحل جميع المشاكل المتفرعة عنها".²

¹ - جريدة العمل الأسبوعية: الرئيس بورقيبة يندد بحرب الإبادة في الجزائر ويوجه نداء إلى الصمير العالمي، العدد 731، 20

فبري 1958، ص 4.

² المكان نفسه.

أشكال الدعم والمساعدات الاجتماعية التي قدمتها تونس لمؤازرة اللاجئين الجزائريين والتكفل بهم تعد خدمات تضامنية هامة تؤكد على مدى التزام تونس بتأدية دورها الكامل تجاه ضحايا المشكلة الجزائرية، إذ أوتت فوق ترابها ما يقارب 150 ألف جزائري من اللاجئين والمهاجرين القادمين من فرنسا والعاشرين الذين استقروا بتونس، على الرغم من ما كان يحدث من خلافات وصعوبات بين أطراف جزائرية وأخرى تونسية فإنها كانت ظرفية بسبب وجود تلك الأعداد المعتبرة من الجالية الجزائرية.

ويمكن القول أن تونس استقبلت اللاجئين وآوهم بكثير من الرعاية والترحاب، ونسفت المهام الإنسانية لإسعافهم والمساعدات الدبلوماسية لنصرة قضيتهم كما طرحت قضيتهم بعيد سياسي دفاعا عن قضية الجزائر واستقلالها.

المبحث الثالث/ تطور العلاقات الاجتماعية التونسية الجزائرية 1957-1962:

منذ إنشاء الحكومة الجزائرية المؤقتة في سبتمبر 1958 شكلت وزارة الشؤون الاجتماعية لتتكفل بجميع المهام والشؤون الاجتماعية الحيوية للمجتمع الجزائري، خاصة اللاجئين إلى البلدان المجاورة كتونس والمغرب وليبيا والذين يمثلون جالية هامة بالخارج لها مؤسساتها الاجتماعية والصحية والتعليمية، كما تشرف الوزارة على المنظمات الاجتماعية المختلفة كالاتحاد العام للعمال الجزائريين، والاتحاد العام للطلبة الجزائريين المسلمين والاتحاد العام للصناعة والتجارة، والحلال الأحمر الجزائري، والاتحاد العام لانداء الجزائريات، وغيرها من الهيئات الشبابية والثقافية والرياضية¹، وعملت الوزارة على تفعيل النشاطات الاجتماعية لهذه المنظمات والهيئات الوطنية، وذلك بتنظيمها وتشجيعها وتنسيق مهامها حتى تنهض بتأدية دورها على أحسن ما يرام وتساير ظروف الكفاح الوطني، وقد قامت هذه المنظمات بدور هام في الكفاح التحرري كما ساهمت في بناء نواة الدولة الجزائرية وتأطير الجماهير الثورية.

واهتمت وزارة الشؤون الاجتماعية بتنظيم المصالح الاجتماعية للجزائريين المتواجدين بتونس فمن حيث الإيواء نظمت الملاجئ وأقامت القرى، وفي الميدان الصحي أنشأت المستشفيات والمراكز الصحية ودعمت نشاط الحلال الأحمر الجزائري²، واهتمت بميدان التأطير الاجتماعي الذي لحظ به المحافظون السياسيون والمرشدون الاجتماعيون من خلال اللقاءات والدروس والمحاضرات، وفي الميدان التعليمي والثقافي تركزت الجهود على إنشاء المدارس ووضع البرامج التعليمية والاهتمام بالطلبة، كما اهتمت الوزارة ببيكلة المجتمع اعتمادا على قدرات عناصره الفعالة كالمرأة والشبيبة.

¹ - انظر تفصيل القضية وجهود أحمد المستيري سمع تونس بالقاهرة للحصول على القرض المالي من دولة الكويت، بلادي أحمد توفيق: الحياة كفاح، ج3، ص 568 وما بعدها.

² - انظر اتحاد: العدد 54 (1 نوفمبر 1959)، ص8.

وبذلك كانت المصالح الاجتماعية لوزارة بتونس تمثل شبكة هامة وحركية نشيطة، وتركز نشاط الوزارة وهيكلها بتونس منذ انتقال الحكومة الجزائرية المؤقتة إليها، حيث كان الإشراف والتوجيه الاجتماعي للمصالح والتنظيمات يتم عن قرب، ووجدت الوزارة كفاءة الدعم لنشاطاتها بتونس فهي تتلقى تسهيلات إدارية ومؤازرة لنشاطاتها الاجتماعية من تونس¹.

لقد لمحت وزارة الشؤون الاجتماعية بنشاطات وأعباء واسعة، ووجدت نفسها توظف حالة جزائرية معتبرة بتونس ليست من اللاجئين فقط بل كذلك المقيمين بها من قبل والعاجزين المستقرين للعلاج، والمخرجين من المختبرات، وأصبحت الوزارة تتبعها شبكة من المؤسسات والمصالح الاجتماعية والثقافية، وقد باشرت بنظرة مستقبلية في تنظيم أسس وهيكل المجتمع الجزائري لمرحلة ما بعد الاستقلال اعتمادا على التعليم وبناء الأسرة والتوعية الوطنية.

لقد سارعت قيادة الثورة التحريرية للاهتمام بالحالية الجزائرية بتونس وذلك من خلال توعيتها بفضايل بلادها وتنظيمها في الهيئات السياسية والاجتماعية والثقافية التي تكفلت بتأطير وتنظيم أحوالها المدنية في سجلات خاصة كالولادات والوفيات والزواج...، واستطاعت جبهة التحرير الوطني بفضل التسهيلات المقدمة من سلطات الدولة التونسية التحكم في تأطير الحالية الجزائرية واللاجئين لكي تستفيد من خدماتهم، حيث " أن كل جزائري أو جزائرية كان يدخل إلى أرض تونس إلا يجد نظاما محكما بجبهة التحرير الوطني بحيث يسلم في الحدود إلى جهة معينة ومختصة وهي تعين له المهمة التي يمارسها"²، فإذا كان متاخلا سياسيا تؤمن له حق اللجوء، وإذا كان طيبا أو شاميا أو إداريا توفر له العمل بمصالحها أو مؤسسات تونس، وإذا كان تاجرا فيعين له المكان الذي يقيم فيه، وجميع هذه الفئات يدفعون الاشتراكات الواجبة ويكونون تحت الطنب في أي وقت، ويحضررون باستمرار الاجتماعات، وكانت الجبهة تراقبهم ولخصهم في سجلات خاصة³.

لقد بدأت أوضاع اللاجئين تتحسن شيئا فشيئا منذ سنة 1958، وكانوا يخضعون لتنظيم اجتماعي منسق بين مصالح وهيئات اجتماعية لم تقتصر مهامها على إسعاف ما يقرب من 300 ألف لاجئ جزائري والعناية بهم بل امتدت إلى هيكلة وإقامة مجتمع اللاجئين كصورة مصغرة للمجتمع الجزائري الذي تأمله الثورة التحريرية حسب نظرها للجزائر المستقلة، ولمح فيه عناية الثورة بالفئات الاجتماعية المختلفة للاجئين من أطفال ونساء وشيوخ، إذ لم تفكر إطلاقا أن هذه العناصر عالة عليها، بل كانت تنظر

¹ - وزارة الشؤون الاجتماعية كانت تشرف على قبول هذه المؤسسات والمنظمات الاجتماعية والثقافية مخصصة مثلا للهلال الأحمر منذ ديسمبر 1959 مع 148 مليون فرنك شهريا، بنظر المجاهد العدد 58 (28 ديسمبر 1959)، ص 9.

² - الجبيلي خليفة وآخرون: حوار حول الثورة، مرجع سابق، ج 1، ص 241.

³ - المرجع نفسه، ج 3، ص 39.

بوجهة إستراتيجية للاستفادة من هذه الفئات، فهي قد صهرت جميع فئات الشعب في بوتقة واحدة، أساسها العدالة والتعاون والتآزر، والتفتت لأشبال اللاجئيين وهياقم ليكونوا جنودا يقاتلون لتحرير وطنهم واهتمت بعنصر المرأة واستفادت منه كموجه اجتماعي للأسرة والمجتمع وكمناضل سياسي وعسكري.

إن عناية الثورة التحريرية باللاجئيين توجهت للاهتمام بالآلاف الأطفال اللاجئيين المشردين؛ هؤلاء الضحايا المهددون بالأمراض والأمية وجدوا كامل العناية لرفع الأمية عنهم وإدماجهم في الحياة العادية واهتمت كذلك باليتامى من أبناء الشهداء فأنشأت لهم مراكز بتونس للتكفل بهم اجتماعيا¹ وكانت وزارة الشؤون الاجتماعية تسهر على التوجيه والإرشاد الاجتماعي للأطفال اللاجئيين، وقد كوّنت في سنة 1960 هيئة مختصة بشؤون الطفولة سمّتها اللجنة الوطنية للشبيبة وإنقاذ الطفولة². كما اهتمت بإقامة مراكز التكوين المهني المتعددة الاختصاصات لتقوم بتوجيه الأطفال والشبان وتدريبهم على الحياة المهنية ليكونوا مؤهلين لمساهمة في بناء مستقبل بلادهم.

أما الاهتمام بالشباب فلقد لقي نشيجا وعناية معتبرين نظرا لدورهم في الكفاح التحرري وبناء المجتمع، فاعتبرا عنصرا هام وخزان بشري للكفاح المسلح، وقد عولت الثورة على سواعدهم ومعارفهم في بناء المستقبل، فكونتهم بالجامعات والمعاهد ومراكز التكوين المهني واهتمت بتأطيرهم في جمعيات ثقافية ورياضية وعملت على توعيتهم بالمبادئ الوطنية الثورية، وكانوا مندشرين في منظمة شبابية سياسية هي اتحاد الشباب الجزائري منذ سنة 1960م³، ورعت جبهة التحرير الوطني فئة العاجزين من شيوخ ومرضى ومعطوبي الحرب فلقوا جميعهم كل الرعاية والاهتمام في مراكز خاصة للرعاية والاستشفاء بتونس^(*)

أما المرأة فقد اعتبرت هي الأخرى العنصر الأساس لبناء صرح المجتمع فأستندت لها الثورة التحريرية مهام نضالية واجتماعية أدتها بشجاعة واقتدار، وتعددت مهامها في القواعد الخفية ومراكز اللاجئيين فهي إلى جانب رعايتها بالأسرة وإشرافها على رعاية الأطفال والعجزة بمخيمات اللاجئيين كانت تقوم بعلاج المرضى وتقديم المساعدة والتوجيه الاجتماعي لرفع معنويات اللاجئيين^(**)، وقد أنشأت جبهة التحرير الوطني ورشات الخياطة ومراكز لغسل الملابس العسكرية سمّتها "ديار الصابون" كانت تجمعها النساء

¹ - فكان نفسه.

² - ينظر الطيف الجزائري صحبة الاستعمار : الشباب، مصدر سابق، ص 10.

³ - ينظر أمقران عبد الوهيد : المرجع السابق، ص 119.

^(*) شارك اتحاد الشباب الجزائري في العديد من المؤتمرات الدولية، ومنها منتدى الشباب الأفريقي المنعقد بتونس في أبريل 1960، وعبر خلالها عن دور الشباب الجزائري في تحرير بلاده وبناء مستقبلها، ينظر المجاهد : العدد 66 (18 أبريل 1960)، ص 5.

^(**) - أقرب عدة مراكز استشفائية لعناية بهذه الفئات منها مراكز النعسان بتونس، ووحدة والسحيرات.

لتقيام بخياطة ملابس الجنود وغسلها باستمرار¹ كما حازت المرأة على تدريب عسكري وجندت في صفوف جيش التحرير الوطني وتكونت في مجال التمريض، فكانت تخوض المعارك وتسعف الجرحى وتداوي المرضى من الجنود بالقواعد الخلفية، واستفادت الثورة التحريرية من خدمات المرأة في مختلف الشؤون الإدارية والاجتماعية والسياسية وحتى في ميدان الاتصالات العامة والتسليح². وقد عبرت المرأة عن مستوى عال من النضال السياسي من خلال تنظيمها للحركة النسوية الجزائرية تنظيما سياسيا واجتماعيا شاملا، إذ أسست منظمة اتحاد النساء الجزائريات سنة 1958م بتونس، وقام هذا التنظيم بأعمال نضالية منها :

- 1- جمع التبرعات وربط الصلات وتسيق العمل مع المنظمات النسوية العالمية وخصوصا المغربية.
- 2- إرسال الوفود إلى العديد من بلدان العالم للتعريف بالقضية الجزائرية.
- 3 الاهتمام الاجتماعي بقضايا المرأة وأوضاع اللاجئتين الجزائريين في تونس والجزائر.
- 4- مشاركة اتحاد النساء الجزائريات في العديد من المؤتمرات الدولية، مساهمة في النضال السياسي دفاعا عن القضية الجزائرية، وهو ما جعل نساء العالم يعربن عن نصرتهن لكفاح الجزائر، وأبدت المنظمات العالمية للنساء تضامنها " لفائدة مئات الآلاف من اللاجئتين من النسوة والأطفال و الشيوخ الفارين من هول الحرب"³، وعاضدت منظمة اتحاد النساء الجزائريات من خلال مشاركتها في المؤتمر التأسيسي لاتحاد النساء الجزائريات المنعقد بتونس سنة 1960م⁴.

وهكذا فقد اهتمت الثورة الجزائرية بكل التنظيمات الوطنية التي كانت تتخذ من تونس قاعدة ذات، وساهمت في التعريف بالقضية الجزائرية إلى جانب مهامها الاجتماعية، إذ ساهم الطلبة والعمال والشباب والنساء كل في ميدهن القطاعي في الكفاح الاجتماعي، وفي الأخذ بيد اللاجئتين وتوجيههم بكل وعي لقضايا بلادهم وهيتهم بعزم كبير على بناء مستقبلهم بأنفسهم، وأولت الثورة الجزائرية اللاجئتين بالترقية الوطنية لرفع المستوى السياسي، وعينت في هذا الصدد اخافطين السياسيين والعلماء للمتوجيه والإرشاد السياسي والديني والاجتماعي، فكانوا يناقشون معهم مختلف الجوانب المتصلة بكفاح الجزائر ومستقبل النضال الوطني، ويبرزون أسس وجواب الشخصية الوطنية، ويدعون إلى الوحدة والتآزر والتجديد الكامل⁵.

¹ - ينظر مجموعة باحثين : كفاح المرأة الجزائرية، مرجع سابق، ص 266.

² - ينظر شهادة المجاهدة بوجريو با : مجموعة باحثين : كفاح المرأة الجزائرية، مرجع سابق، ص 462.

³ - المرجع نفسه، ص 462-463 ويركزت أيضا : دور المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية، مرجع سابق، ص 36.

⁴ - ينظر مجموعة باحثين : كفاح المرأة الجزائرية، المرجع نفسه، ص 268.

⁵ - المرجع السابق، ص 272.

إن الجهود الاجتماعية والثقافية التي قضت بها الهيئات الاجتماعية لجهة التحرير الوطني في تونس قد نشطت حركية وفاعلية شتى للاجئين، وأصبحت تشعر بمختلف فئاتها أنها تعيش حياة النخوة والاعتزاز بوجود حكومة جزائرية مؤقتة (دولة) لها طاقاتها النضالية، والمصالح الاجتماعية التي تسهر على رعاية شؤونهم. ورغم أن اللاجئين كانوا يعيشون خارج وطنهم إلا أنهم لم يشعروا بأنهم غرباء في تونس، وكان أملهم كبيرا في النصر والعودة إلى الوطن، وقد استطاعوا بفضل الثورة التحريرية التي نشبت فيهم هذا الأمل العيش في حياة اجتماعية يسودها التكافل والأخوة في قرى وملاجئ بنيت بسواعدهم وترمز لمعالم المجتمع الجزائري الجديد، كما شيد جيش التحرير الوطني عدة فرى نموذجية وأسكن بها المواطنين الجزائريين الذين حررهم من مراكز المحتشدات الفرنسية على الحدود منذ بداية سنة 1961م تعتبر قرية المجاهد بالحدود التونسية - الجزائرية مشروعا اجتماعيا ثوريا وتخطيطيا نموذجيا لمستقبل الجزائر المستقلة (*) .

ومن خلال ما سبق يتضح أن الثورة الجزائرية ببعدها الاجتماعي ونظرها لمستقبل الأعداد الكبرى من اللاجئين المستقرين بتونس بادرت للعناية بمؤلاء الجزائريين واستفادت مما كان يقدمه الإخوة من دعم وتسهيلات، وقد أظهرت اللاجئين والجمالية الجزائرية في مؤسسات وهيئات اجتماعية واسعة وهي تشعر أنها تقيم دولة داخل دولة وتنهياً لإدخال مؤسساتها إلى داخل الوطن، وأشرفت على توجيههم للاستفادة من خدماتهم، وتفعيل النضال التحرري، ولقد أكدت الحكومة التونسية في ميدان التضامن الاجتماعي وقوفها إلى جانب قضية اللاجئين الجزائريين، ودعمها المستمر للتكفل بمجموع اللاجئين، ومؤازرة مختلف النشاطات والمؤسسات الاجتماعية لجهة التحرير الوطني التي استقرت بهذه البلاد قصد النهوض بمختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية لثورة الجزائرية.

وجملة القول أن دراستنا للعلاقات الاجتماعية الجزائرية التونسية أوضحت لنا أن المجتمع المغربي كان مجتمعا واحدا حتى في ظل الاحتلال الفرنسي بتعاطف أفراد مع بعضهم البعض في السراء والضراء وحين اليأس ، ولم يكن المرء يستطيع أن يفترق بين تونسي وجزائري ولبي ومغربي من خلال ما كان

(*) يمكننا أن نضرب مثلا يبرز أهمية هذا النشاط التعويضي إذ كان نعيم التعويضي يقوم بتنظيم ندوات وندوات اجتماعات مراكز تجمع الجزائريين بتونس فقدم محاضرة بمسرح السنما معاوية في تونس علق فيها موضوع معركة الجزائر مؤكدا على أنها معركة المغرب العربي الكبير وبيع عدد الحاضرين فيها 450 تونسيا و 50 جزائريا فضلا عن رئيس شرطة الناحية ورئيس فرغ الحرب الدستوري. وهدم محاضرة أخرى بتاريخ 1959/07/21 في نفس الموضوع يستلها بزيادة حضرها 120 تونسي و 355 جزائري، وألقي محاضرات أخرى في كل من بوزرت، طبرقة، تروست، منزل بورقة، بنظر نسل : الاتجاه العربي الاسلامي ودوره في تحرير الجزائر. مرجع سابق، ص 159-160

يكتب في صحافة أي بلد من هذه البلدان، وبيان ذلك أننا عندما شرعنا في دراسة الصحافة التونسية من جرائد ومجلات لم نصدق في أحيان كثيرة بأنها صحف تونسية وليست جزائرية، لأن أصحاب المقالات كانوا يتفاعلون مع الأحداث والوقائع في الجزائر كما لو أنها وقعت في بلادهم .

الفصل الخامس

الفصل الخامس: العلاقات الثقافية الجزائرية التونسية

المبحث الأول : النهضة الثقافية في الجزائر من خلال الأعلام التونسية

المبحث الثاني : الأعلام الجزائرية في الصحف التونسية إبان الثورة التحريرية

المبحث الثالث : دور اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين من خلال الصحافة التونسية

المبحث الرابع : دعم الطلبة التونسيين للطلبة الجزائريين ودور المؤسسات التعليمية بتونس

الفصل الخامس: العلاقات الثقافية الجزائرية التونسية :

تعد العلاقات الثقافية بين الجزائريين والتونسيين من أقدم الروابط التي جمعت الشعبين في ظل حضارة واحدة على مر العصور، إذ لم نعرف في أية مرحلة تاريخية أن البلدين عاشا في ظل ثقافتين مختلفتين منذ عهد القوطاحيين إلى يومنا هذا، لاسيما الثقافة العربية الإسلامية التي ربطت شعوب المغرب برباط متين على مدى أربعة عشر قرناً، ولكن ثورة الفاتح من نوفمبر الجزائرية قد وطدت هذه العلاقة الثقافية بشكل لم يسبق له مثيل حيث اختلطت الأقلام الجزائرية بالأقلام التونسية، وصار المثقفون يحملون هموماً واحدة لكلا البلدين، حتى أن المرء لم يكن في وسعه أن يفرق بين الكتابات الجزائرية والتونسية خلال الثورة الجزائرية، لأنها أصبحت تعبر عن انشغالات واحدة وأهداف مشتركة.

المبحث الأول : النهضة الثقافية في الجزائر من خلال الأقلام التونسية .

لعل أهم موضوع شغل الأقلام التونسية، منذ بداية الخمسينات حتى استرجاع الاستقلال الوطني للجزائر سنة 1962م، هو الكتابة عن الحياة الثقافية في الجزائر قبل اهتمامها بالحياة السياسية التي جاءت مع اندلاع شرارة الفاتح من نوفمبر سنة 1954.

والمقصف لصحافة التونسية يجد كتابا تونسيين وجزائريين تخصصوا في الكتابة عن الجزائر بشكل دائم ومستمر، كما يجد تراجم لكل الشخصيات التي برزت في الخلق الثقافي أوهي في طريق الظهور، لاسيما في مجالات الكتابة والتعليم والإصلاح والثقافة بصورة عامة: في الأدب في الفكر في اللغة، في التربية والتعليم والفلسفة، في التاريخ، في المسرح، في السينما، في الفس، وهو ذلك من موضوعات الساعة التي كانت تشغل أبناء الجيل الذي بدأ فكره يتفتح وعبقريته تفتق في ظل الزعم الكبير الذي عرفته الجزائر عقب الحرب النكوبة الأولى حتى اندلاع ثورة نوفمبر سنة 1954م.

ومن أهم الشخصيات التي برزت في الكتابة عن الجزائر: علي الخندوي، الحبيب بن تاسي، و محمد العيسوي الجمالي، أما الشخصيات الجزائرية الأولى التي اهتم بها هؤلاء الكتاب فهي الأمير عبد القادر الجزائري والشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الشير الإبراهيمي والسعيد الصالح والسعيد الزاهري والمهدي السنوسي والعربي التسي، الأمين العمودي، الشيخ أبو القبطان، محمد العيد آل خليفة، مغدي زكريا، أحمد توفيق المدني، المهدي أبو عبد الله مفتي الأصنام، عبد الرحمن شيبان، الأخضر السائحي عبد الوهاب بن منصور، أحمد رضا جوجو وأحمد سحنون، وعفي الدين باغ تارزي، كنشوم الجزائرية المعروفة في مجال العمل السينمائي. وقد اهتم الكاتب "علي الخندوي" بالنهضة العلمية والأدبية التي عرفتها الجزائر بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفي هذا السياق يقول الكاتب¹: "تدرج الجزائر الشقيقة في

¹ - علي الخندوي: عهد علمي جديد بالجزائر، جريدة الأبروج، العدد 5: 316/01/1953، ص3.

سلم المعرفة والسير في تخصصاتها العلمية التي أساسها عمل جبار ثقافي قام به ولا زال يقوم به أبناءها البررة وأساس هذا العمل الثقافي هو في ثلاث مراكز للتوجيه هي: دار الحديث ببنسنان والمعهد البياديسي بقسنطينة والكتبة الكتانية وبقية المدارس الخيرة الأخرى.

هذا زيادة عن انتشار مبدأ حفظ القرآن العظيم..... الذي كان منتشرًا في كل أنحاء القطر الجزائري المسلم، بل فقد أكد الكاتب على أن حرية تعلم القرآن في الجزائر أكثر منها في تونس ذاقا.

ويضيف الجندوبي قائلا: "... وكلما نزلت بلدة تعرفت فيها إلى فقهاء وأدباء وأهل دراية نادرة و انقطاع نحو العربية وآدابها، فلا زال الخير بهذا القطر ولا زالت العزة والكرامة والنبوغ وأهل الجزائر في عمالاتها الثلاث يجلبون أهل العلم والأدب وعلى الأخص أهل الجامعة الزيتونية وأدباء القطر التونسي...".

وينتقل الكاتب من الحديث عن النهضة في الجزائر إلى الحديث عن أعلام وبنائ الجزائر ويبدأ حديثه بالأمير عبد القادر الجزائري فيقول: "الأمير عبد القادر هو رجل جمع بين العلم والأدب والصلاح الشرعي وهو المولود في دشرة بالقرب من معسكر بالجزائر تسمى "كثيرة كشم" وهي التي وضع له فيها تمثال أخيرا في مرتفع يشرف على قصره وبستانه الذي كان يعيش فيه، ولد سنة 1222 هجري وانتقل عند منارته الجزائر إلى الأستانة والإسكندرية ومصر وكان حينما حل يدرس العلم.

وفي مصر أصدر كتابا نادر المنال تحدث فيه عن قيمة العالم الذي يستحق هذا اللقب بمناسبة نسخة لقب عالم جزائري وإهداءه جائزة نوبل^(*). كما أتت عشرت علي كتاب به من الصحائف ما يزيد عن ثلاثمائة صفحة نثرا ونظما طبع بمصر عنوانه "زهة الراغب لماثر الأمير عبد القادر" ومن هذا تبين لي أن الأمير عبد القادر هو رجل علم وأدب وقد نال خطوة علمية بالشرق وعلى الأخص بالأستانة ومصر و دمشق التي مات بها سنة 1271 هجري^(*) كما حكى لي عالم جزائري وأنه أطلع على سفر خطي هو نسخة من "صحيح البخاري" ويحاول الكاتب في هذا المقال الذي نشره في جريدة الأسبوع يوم 5 كانون الثاني (جانفي) 1953 أن يلم ليس فقط بالأعلام الجزائرية، وإنما يرصد كل الحراك الثقافي في القطر الجزائري ويتتبع خطوات الحركة العلمية بشيء من التفصيل والدقة في تحديد الأماكن و الفضاءات التي يقصدها

(*) ذكر مخطط رأس الأمير عبد القادر في كتاب التاريخ باسم: القبطة

(**) يشير الكاتب هنا إلى حصول الأمير عبد القادر الجزائري على جائزة نوبل، وهو خطأ تاريخي لم تذكره نسخة الوثائق التي ألفه ابنه الأمير محمد. كما أن الكاتب هنا يذكر الإسكندرية لإقامة الأمير، وقد زارها زيارة سريعة فقط سنة 1896م، ولم يذكر دمشق التي أقام فيها مبعوثا وعشرين عاما.

(***) ولد الأمير عبد القادر بالقبطة بالجزائر سنة 1808م، وتوفي بدمشق سنة 1883م، وهو تاريخ لا يتفق مع التاريخ الذي أشار إليه الكاتب.

تلاميذة الجمعية وتلاميذة الكلية الكتانية فبسمعه يقول الحركة العلمية بالقطر الجزائري تسير في تودة وقد استنبر أهل مدينة قسنطينة لتحصيلهم على الجامع الكبير، الذي كان مقتصر فيه على الصلاة فإذا به اليوم تنتصب فيه حلقات التدريس للعلم ويصبح ذلك تحت طنب طلبة وأساتذة المعهد الباديسي من الضباح إلى الزوال ثم من الزوال إلى الغروب طلبة وأساتذة الكلية الكتانية وقدم ثم هذا في شهر نوفمبر 1952م؛ على إثر انتهاء أعمال اللجنة الزيتونية التي أوفدها مشيخة الجامعة الزيتونية في دورة أكتوبر، لإجراء امتحانات شهادة الأهلية بالكلية الكتانية التي سنت هذه السنة الحسنة وكان الحاح في تلك الدورة ثلاث وعشرين طالبا هم الذين تحصلوا على الأهلية والتحق عدد منهم بتونس .

ولا شك وأن في العام الآتي عندما يرشغل أفراد اللجنة إلى قسنطينة ستجري امتحان الأهلية في كل من الكلية الكتانية والمعهد الباديسي معا لطلبة الجزائر وسنقام احتفالات مشتركة وتظهر النتيجة في يوم واحد.

ويقف الكاتب هنيهة مع إعادة الود والعلاقات الطيبة بين جمعية العلماء والكلية الكتانية التابعة للزاوية الحملاوية رغم ما كان بينهما من حرب كلامية استمرت عقدتين من الزمن فيقول "وقد علمنا أن لقاء مدير الكلية الكتانية عبد العالي الأخضر والعلامة الشيخ العربي التبسي مدير المعهد الباديسي يتم عن إحساس شريف وتقدير لكل من عمل لمائدة العلم، كما علمنا أن مدير الكلية الكتانية جن سوتس لانتقاء أستاذ الرياضيات وفعلا فقد رافقه الشاب "محمد طراد" من خريجي الجامعة الزيتونية وممن توفرت فيهم الشروط التي تطلبها الكلية وهي الحزم والمعرفة والإخلاص في العمل لمائدة نشر العلم."

وعنم على الجنادوي مقاله حول الحركة العنسية في الجزائر بالنهاي والشكر والامتنان لأقطاب هذه الحركة في قسنطينة وهما : الشيخ العربي التبسي، والشيخ عبد العالي الأخضر قائلان :

" ونحن ههنا كل قائم بحركة علمية من إخواننا الجزائريين وفي المقدمة رمزا النباهة والمعرفة والأخلاق الإسلامية: الشيخ العربي التبسي والشيخ عبد العالي الأخضر اللذان في عهدهما وقع الحصول على الجامع الكبير بمدينة قسنطينة الذي يرجع تأسيسه إلى القرن السابع الهجري الثاني عشر الميلادي وهو جامع ابن تشفين، ولا نسي أعضاءهما من إخواننا الأساتذة من أبناء الجزائر الشقيقة ممن ازدهرت على يدهم الحركة العلمية " ¹ .

ولم يفك الكاتب أن ينوه بالأدباء الجزائريين المبدعين الذين ملأوا الصحف والمجلات التونسية بالمنظوم والمثنوي قائلا : "وهذه المناسبة نوجه تحيتنا لإخواننا أسرة الأدب والشعر وحامي رايثها على بعد الدار أمثال السادة التوابغ الأفضاء الذين هم أركان الأدب في القطر الشقيق الجزائري الذي يحق للجزائر أن تشخر بهم بين أدباء العالم العربي وهم :

¹ - علي الجنادوي : المرجع السابق ، ص 3.

" الشيخ محمد العيد آل خليفة"، الشيخ الهادي السنوسي، الشيخ السعيد الزاهري، الشيخ الأمين العسودي، الشيخ أحمد سحنون، الشيخ الأخضر السائحي، الشيخ عبد الوهاب بن منصور والأديب أحمد رمسا جوجو، وغيرهم من الشباب العامل في إحقاق الأدبي بأقلامهم وتوجيهاتهم التي تسخر لنا الأقدار بلقائهم جميعا في ذلك القطر الذي يعز علينا مثلما تعز علينا بلادنا " .

إن علي الجنود علي الرغم مما تميز به من سعة الأفق والإدراك والروح القومية والوطنية والحب الفياض للجزائر وشعبها، فإنه يفتقر إلى دقة بعض المعطيات التاريخية التي تتطلب الرجوع إلى المصادر الأساسية لاسيما فيما يتعلق بحياة وأعمال بعض الشخصيات الوطنية فهو يذكر مثلا أن الأمير عبد القادر قد حصل على جائزة نوبل -كما سلف الذكر -، وأنه كتب كتابا بعنوانه: " نزهة الراغب لتأثر الأمير عبد القادر"، لم تكن معطيات دقيقة وذلك للأسباب التالية:

أولا: أن جائزة نوبل لم تنشأ قبل وفاة الأمير عبد القادر.

ثانيا: أن هذا الكتاب هو ليس للأمير عبد القادر، وإنما هو لابنه الأمير محمد.

ثالثا: أن الأمير لم يقم مدة طويلة بالإسكندرية محصرا، وإنما مر بها سنة 1869م، عندما دعي لتحضور حفل تدهيش قناة السويس مع المفولك والرؤساء الذين حضروا تلك المناسبة .

والحق أن الجنود علي الرغم من هذه المأخذ، فإنه كان يكتب عن الجزائر بحرارة الكاتب المولع بإبراز وشائج القرابة بين الشعبين وعلاقتهم الوطيدة عبر التاريخ، وإبراز الحركة الثقافية في الجزائر في وقت لم تحد من يكتب عنها إلا الأقلام التونسية المخلصة والحاددة في الروابط بين الأهلين في الجزائر وتونس.

بعد أن فرغنا من الحديث عن الأمير عبد القادر وكما كتب عنه علي الجنود في حريدة الأسبوع التونسية سنة 1953 نعود إلى الوراء قليلا إلى 1952 لتري ما كتبه هذا الكاتب في الجريدة نفسها عن العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس بعد اثنا عشر سنة من وفاته تحت عنوان " القطر الجزائري ونوابه" اعتبر الكاتب الجزائر قبل ظهور ابن باديس على الساحة الفكرية راوية مهملة في العالم ولم تفتح فيها الحياة، إلا بعد أن برز هذا العالم الجليل قائلا : عاشت الجزائر دهرا وهي في زاوية من الكرة الأرضية وفجأة ظهر العلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس القسنطيني المولد التونسي الثقافة وأحد أعلام النبوغ الزيتوني فرفع علم المعرفة وأخذ يث روح الإيمان وتعاليم الإسلام بأسلوب رائع وهمة عالية وعقل في الخيل الخاضع روح في ميدان العلم والبيان ونشر لغة القرآن ، قدم إلى تونس التي أحبته وأحبها وشرع في إلقاء المحاضرات النادرة، التي سجلها له التاريخ في صفحاته وأرسل أول بعثة جزائرية سنة 1934 من شباب الجزائر الذي قام اليوم بأعباء نشر المعرفة بكامل القطر الجزائري حتى لقي حتفه وحيد ذكره وسجل عمله للأجيال ونفذ أمنية عزيزة عليه وعنى أمته .

وظن من ظن عندما وري التراب ذلك الرجل العظيم والعالم العامل والمرشد الحماهم ، إن مشعل المعرفة رنما ناله ما ناله ، ولم تحض فترة حتى برز للميدان عالم مقدام وأديب لم يجديه الزمان فحلف الفقيد وتمثل بقول القائل¹ : " إذا مات منا سيد فام سيد " .

وفي ذكرى الثالثة عشرة لوفاته انبرت أقلام تونسية أخرى للكتابة عن الجزائر وعن الشيخ عبد الحميد بن باديس تاريخا ووصفا وتحليلا ، ومن هذه الأقلام التي برزت على أعمدة جريدة الأسبوع سنة 1953 الأديب " الحبيب بن ناسي " الذي كتب مقالا راقيا في عدد من أعداد هذه الصحيفة تنوع فيها الحركة العلمية والإصلاحية التي ظهرت مع عودة ابن باديس من جامع الزيتونة تنوع إلى مسقط رأسه بقسنطينة . يستهل الكاتب مقاله بالشهرة التي حققها ابن باديس والصيت الذائع الذي أصبح يدوي في كل ناد وجهة وبلغت دعوته أقصاها في العالم العربي والإسلامي بصورة عامة ، والكاتب لا يكاد يفرق في حديثه بين ابن باديس وجزائر إذ هما اسمان لمسمى واحد " وإذا تكلم متكلم أو كتب كاتب عن شعب بأسره إلا وكان عبد الحميد أمة في شخص ، ويعتبره " الحبيب بن ناسي " مجددا في كل شيء ، ويرى أن الإصلاح والتجديد أمر دوري يبعث الله للناس مصنحا مجددا من وقت إلى آخر لتجديد الأفكار وتفتح العقول مما خلق بها من صلب الحمود وما غشاها من الخطا في الإدراك² .

والكاتب على الرغم من أنه يعطي الأسبقية في الإصلاح والتجديد إلى مفكري الشرف الإسلامي كالسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده فإنه لا يعتبر حركة الشيخ عبد الحميد بن باديس التجديدية في الجزائر امتدادا أو أثرا من آثار الحركة التجديدية الشرقية فيقول " فبينما كان الشرف العربي مسرعا للأخذ والرد بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وبين الرجعيين كان صوت التجديد قد بلغ قلب المغرب ، فقام عبد الحميد بن باديس يتصدى لذلك الصوت وأخذ يدعو للتجديد في كل مناسبة وفي جميع النواحي ، لأنه نظر إلى الدين فوجده في يد الذين سخره لخدمة بظانهم ، وفحص الفكر فوجده مربوطا بعقال الجهل والخرافات وأجال فكره في المجتمع فوجده فاسدا مملوءا بالجرائم الفتاكة ، ولكن الروح التي كانت تلهب جدوها في روح عبد الحميد أثبت إلا الاندفاع الحريء للمعركة الهائلة .

ثم يضيف الكاتب قائلا³ : " وهكذا ارغمي في ساحة المعركة داعيا للتجديد محثا جنود الجمود ومهددا مسرورا الرجعية ، ولم يتوخ الأساليب القديمة في دعوته إلى التجديد ، بل كانت أساليبه نفسها جديدة فكان يكتب في الصحف ويحاضر ويفسر القرآن ويدرس العلوم كل ذلك بأسلوب جديد لا أثر لتقديم فيه .

¹ - علي الجندوبي : القطر الجزائري ونواحيه : مرجع سابق ، ص 3

² - المكان نفسه .

³ - الحبيب بن ناسي ، الإمام عبد الحميد بن باديس ، مرجع سابق ، ص 30.

وفد تجلت عبقرية ابن باديس كما يرى الكاتب في انتصاره على المعوقات والعقبات الكوود التي كانت تواجهه في المجتمع الجزائري الصعب ، كما يؤكد الكاتب " ليس من الطبيعي أن يقوم مصلح في شعب كـالجزائر ولم يلاق الصعوبات الشديدة في دعوته أول الأمر إذ أن أصعب الأشياء ابتدائها ، ولكن عبد الحميد بن باديس تجلت عبقرته في المرحلة الأولى من مراحل الحركة الإصلاحية فقد استطاع أن يعقد ندوة دعى إليها جميع حملة الدين والمثقفين بدون استثناء ، وفي هذه الندوة اتفق الجميع على تأسيس " جمعية الإخاء العلمي " شعارها نشر الثقافة في الأوساط الشعبية¹ .

يتحدث الكاتب في هذا المقال عن تأسيس جمعية العلماء سنة 1931 ولكنه يذكرها تحت اسم جمعية الإخاء العلمي ، وأحق أن " جمعية الإخاء العلمي " قد ظهر اسمها وقانونها الأساس سنة 1924 بين ابن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي عندما اتفق الرجلان على تأسيس جمعية دينية وثقافية على أن يكون مقرها بقسطنطينة ، ولكن تلك الجمعية لم يكتب لها الظهور إلا بعد ذلك اللقاء بين الرجلين بسبع سنوات كاملة ولم تظهر باسم " الإخاء العلمي " وإنما ظهرت باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبشيد " الحبيب بن ناسي " الأديب التونسي مرة أخرى بعبقرية ابن باديس وفلسفته الناجحة في التعامل مع المجموعات المناوئة له : " وهكذا استطاع أن يسير مع من لا يؤمنون بالتحديد وهو يعلم أنهم سيصبحون يوما ما أعداء له ولكنه سار معهم يدا في يد ولو أنه لم يدعوهم للمشاركة في الجمعية ليتصدوا لخارته وافقوا على التحديد في مهده لأنه تعوزه القوة لإبراز فكرته بدوهم وليس هذا من ضعف مقدرته وإنما طبيعة الفكرة التي جاء بها تقتضي منه هذا ، ولما انس من نفسه القوة وأصبح له الأنصار في جميع النوادي شرع في الإعلان بحقيقة أهدافه التحديدية بدون أن يضرب حسابا لغضب أنصار الرجعية وهم كاليون حتى في قلب الجمعية² .

وهذه الإستراتيجية، بعث ابن باديس صوت الإصلاح عاليا في القطر الجزائري وأحدث إنقلابا واضحا في الأفكار والعقول " فغضب الغاضبون من الرجعيين فسللوا من الجمعية وتصدوا لخارته " وناصره المؤيدون وانضموا إلى جمعية العلماء فتكونت منهم النخبة الإصلاحية المجددة التي حملت مشعل العلم والمعرفة وأبقت الشعب الجزائري من سيادة العميق ومنذ ذلك تطورت وأصبحت قوية متينة لها مجلة وجرائد وفروع في أغلب المدن وبعض القرى .

وبهذه الإستراتيجية نجح ابن باديس في إرساء قواعد الإصلاح ومناهج التحديد وبعث في الأمة الجزائرية روح اليقظة وحب العلم وطلب المعرفة .

¹ - المرجع السابق، ص 7 .

² - الحبيب بن ناسي : الإمام عبد الحميد بن باديس ، مرجع سابق ، ص 7 .

إن منتقديه الذين لاموه من الفريقين على مهادنة خصوم الإصلاح والتجديد، ودخوله معهم في حرب كلامية، قد أسالت تعاليقهم الكثير من الخير.

وقد أعطى الحبيب بن ناسي في مقال آخر صورة واضحة جلية حول الصراع بين الإصلاح الذي كان يقوده بن باديس وتلامذته من بعده والتقليد الذي كانت تتزعمه الرجعية الجامدة .

وذكر أن الإمام بن باديس وقف من هذا الصراع موقف الحكيم المنتصر في ثورة الصراع ورد العنف بالعنف وإنما واجه خصومه بالحكمة والموعظة والمجادلة الحسنة :

" إصطدام الإصلاح في الجزائر بمقاومة عنيفة قد أخرجته من نطاق الردود في الصحف ومناير المساجد إلى الميدان العام حتى كاد لا يجتمع جزائريان إلا والخلاف ثالثهما ، ولكن لحكمة الإمام وأنصاره دخل في عدم استفحال الأمر وقيام معارك دموية ولو أن المصلحين قابلوا العنف بالعنف لآل الأمر إلى غير ما آل إليه إذ كان الرجعيون يسيبون الإمام حتى أمامه ويؤذونه من مناير المساجد ويحرمونه الدخول إليها ولكنه كان يقابلهم بمثل قوله عليه السلام " اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون " .

يركز الكاتب في المقارنة خاصة بين الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي وحركة لؤثير في أوروبا وكيف أن الأولى نجحت في تحقيق أهدافها ، بينما فشلت الثانية بسبب القمع الشديد الذي لاقته من قبل الجيوش والحكومات الأوروبية التي كانت ترفض أي إصلاح وتجهيد بتحريض من الكنيسة الكاثوليكية الجامدة ، ومرت قرون عديدة دون أن تشهد أوروبا حركة إصلاحية تجديدية في ربوعها في حين الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي ظلت مستمرة على الدوام ، فكلما انتهت واحدة إلا وظهرت أخرى هنا أو هناك. وكان الإصلاح ينتشر بسهولة رغم معارضة الوجهين الجامدين ، وقد لخص الحبيب بن ناسي أهداف الحركة الإصلاحية بالجزائر في القضايا الآتية :

- 1- نشر الثقافة العربية
- 2- نشر التربية والتعليم
- 3 تأسيس المدارس
- 4- توعية الناس عن طريق الوعظ والإرشاد.

ثم نوه الكاتب بالجهود التي بذلها الشيخ عبد الحميد بن باديس عن طريق الرحلات وإلقاء الخطب والدروس الوعظية في كل المدن والقرى الجزائرية التي يزورها علاوة على دروسه المسجدية التي كان يلقيها بالجامع الأخضر منذ 1913م والذي تكون بفضله نخبة مثقفة انتشرت عبر القطر الجزائري تنشر العلم والمعرفة¹ . وظهور أنصار الحمود لم يكونوا ظاهرة خاصة بالجزائر بل فقد عمت هذه الظاهرة كل بلدان

¹ - الحبيب بن ناسي : الإمام عبد الحميد بن باديس (مجلة الأسبوع) العدد 331 : المراجع السابق ، ص 2 .

شمال إفريقيا : "إذ قام الرجعيون في القطرين الشقيقين المغرب الأقصى وتونس بدعاية فاحشة ضد الإصلاح ألفوا كتباً في الرد على الإمام وتكفيره ، كما قام للإمام أنصار هناك حتى أن المغاربة الوافدين على تلمسان بمناسبة تدشين مدرستها بلغوا عددا كبيرا ومن بينهم الشيخ " إبراهيم الكنائي " .
ويعلق الكاتب على نضال ابن باديس في إطار الحركة الإصلاحية قائلا : "...أن مبلغ المعارضة التي لاقاها الإمام على عقيدته ...أكثر بكثير من التي لاقاها المصنحان جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده بالشرق " .

ويرى الكاتب أننا لو قسنا تاريخ حركات الإصلاح في الإسلام بغيره من تاريخ الحركات الإصلاحية الأخرى " لوجدنا بينها بونا شاسعا لأن للإسلام دستورا يرجع إليه المسلمون في كل خلاف ينشأ بينهم وله حرية فكرية واسعة تحول بين المسلمين وبين العصبية التي تلعب الدور الأساس في الخلافات " .

ومن الجديد بالذكر أن صاحب جريدة الأسبوع التونسية قد صوره رائد الإصلاح والتجديد في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس في صدر صحيفة مقتحرا بها ومؤكدا على أن جريدته هي واحدة من الجرائد التونسية التي ترى نفسها معنية بالقضية الثقافية بالجزائر، التي هي نواة حياة ومستقبل الجزائر العربية المسلمة ولا تترك فرصة لم دون أن تمجد كل عمل علمي سواء قام به مؤسس هذه الحركة الثقافية أو خلفه العلاء الشيخ البشير الإبراهيمي الساهر على رئاسة هيئة جمعية العلماء المسلمين.

والقصد من هذه الذكرى هو تنبيه قادة التوجيه الجزائري إلى السير على غرار ما عرسه ذلك الإمام الذي جمع بين العلم والعمل والصدق وحسن التوجيه المتميز¹ . ويتابع الجندوبي على أعمدة جريدة الأسبوع نشاط رجال جمعية العلماء بالجزائر ونجح قائمهم داخل الوطن وخارجه ، وقد تحدث في العدد الصادر في 19 أكتوبر سنة 1953 عن نشاط :الإبراهيمي^(*) والصالح^(*) ونزوحهم ضيوف على عظام الحرمين الشريفين الملك بن سعود، حيث كانوا يقيمون ويضعمون وينقلون عبر مدن الحجاز من مكة إلى المدينة إلى جدة على ضيافة الملك ابن السعود² .

وبعد أداء فريضة الحج يشير إلى زيارتهم إلى سوريا ولبنان و إلى مصر و إقامتهم في أرض الكنانة بالبيت الجزائر الذي أسسه الشيخ البشير الإبراهيمي بعد استقراره بالشرق.

¹ - الحبيب بن ناسي، ذكرى عبد الحميد بن باديس، جريدة الأسبوع، العدد: 331، 4/ 1953، ص 1.

^(*) نشر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الفترة ما بين 1940-1956.

^(**) كلمة أمين مال الجمعية.

² عبي الجندوبي، من الشرق إلى تونس، جريدة الأسبوع، 19 / أكتوبر 1953.

أما كاتب تونسي آخر من كتاب جريدة الأسبوع وهو: محمد العيساوي الجمبي فقد زار العاصمة الجزائر وحرر مقالا نشر في جريدة الأسبوع بعنوان: "في عاصمة الجزائر" اعتبرها قطعة من فرنسا في بنائها ولغتها وعاداتها وتقاليدها ولباس أهلها و يؤكد على أن كل من زار الجزائر يجد نفسه وكأنه في بلد أوروبي بعيدا عن العروبة لا تربطه بها أدنى رابطة " وهذا يرجع لاعتفاء معالم الإسلام ومسحتها والعامل الرئيس في ذلك هو الاستعمار الذي أحالها بئدة أوربية بمعنى الكلمة، حيث سلبها تقاليدها وعاداتها وهويتها التي كانت تطبعها بطابع عربي محض ولا نستني من ذلك اللغة عنوان تقدم الأمة ودليل احتفاظها بقوميتها وشخصيتها".

إن الكاتب محمد العيساوي عندما زار الجزائر وكتب عنها انطلاقا من مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية في العاصمة، لم تكن في الحقيقة إلا ملاحظات ومشاهدات أفقية، لأن العنصرية الثقافية الجزائرية في ذلك الوقت كانت ما تزال خافتة بسبب الهيمنة الاستعمارية على كل مظاهر الحياة، ولكنها كانت متواجدة بكثافة داخل الأسر والأحياء في المدن وبين الفلاحين في الريف، والذين يكتبون على الجزائر من الخارج لا يلاحظون ذلك العمل الممتد في تاريخ الأمة، والذي هو في الحقيقة ليس سوى الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري.

أما الحديث عن النهضة الأدبية في الجزائر فقد تجلت في أقلام بعض الكتاب التونسيين، كما تجلت في أقلام بعض الكتاب الجزائريين في الخمسينيات من القرن العشرين، حين بدأ يسيل حبرها بشيء من الاستفاضة والتدقيق عن الأدب و الأدباء في الجزائر ومن بين هذه الأقلام التي جندت في تلك المرحلة الاستعمارية لتشجيع الكتاب و إنعاش الأدب العربي الذي كادت الثقافة الوطنية أن تحف منه منذ بداية الاحتلال الفرنسي حتى غداة الحرب الكونية الأولى .

فبمناسبة كتابة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور النقدية التي أثارت النزاع الأدبي إثر نشره فضلا ممثعا فيما في جريدة البصائر عدد 207 مقالا حمل فيه حملة منكرة على الأدباء ومنتحلي الأدب في القطر الجزائري وأعتبر الكاتب أن مقال الأستاذ عبد الوهاب بن منصور جاء في الوقت المناسب لأنه كان صريحة مدوية هزت الأدباء هزة شديدة ولكنها لبنة في آن واحد .

ينتقد فيه الساحة الأدبية بسبب جهود الأدباء وجفاف الأقلام العربية كتب الخبيب بن تاسي مقالا في جريدة الأسبوع التونسية تحت عنوان: "انبعاث الأدب العربي" مما جاء فيه: "بدون انتظار ولا شهيد اندلعت جذوة أدبية متأججة في عالم الأدب بالجزائر، ولعل الذي أوقدها أراد أن تكون كذلك حتى يكون موقعها على الناس موقع القبلة كما يقولون ... لقد عمد الأستاذ عبد الوهاب بن منصور إلى إثارة "النزاع الأدبي"، لأنه أحدث رجة بين الأدباء فيها سحق وفيها رضاء فيها تشاؤم وفيها تفاؤل في الأوساط الأدبية مما جعل الأدباء يسارعون إلى بري أقلامهم وتسير دوافعهم للدفاع عن النهضة الصريحة التي أثمرت

هم وسرعان ما اتسع الجدل وعم الصحف العربية النقاش بين مؤيد ومعارض لما جاء في مقال الأستاذ عبد الوهاب بن منصور. والحق أن الشعب الجزائري قد مر بظروف شغلته عن الأدب وهي ظروف لا تقل عن الاهتمام الانشغال بالأدب و النهضة.

وكان الفكر جامدا والقرائح جافة فحمدت في إثره تلك الأفكار المتأججة في صدور الأدباء، ولما انبعثت الحركة الإصلاحية بعد الحرب الكونية الثانية عمت الحركة الثقافية وانتشر التعليم وأخذت وسائل النشر والتوزيع تظهر للوجود فانبثق نور الأمل. وسرعان ما لاحت في الأفق الأدبي وجوه أدبية جديدة من كتاب ذوي المواهب البارزة وشعراء ذوي القرائح المنتجة للمعاني السامية والأفكار القيمة الدمسة.

ويضيف الكاتب قائلا¹: "... وليس من العجيب أن تكون في الأدب رجعية وشعبية، لأن الأدب قبل كل شيء عواطف رقيقة تقيش في صدور الأدباء وشعور فياض يستولي على مشاعر الأديب و يستأثر بخواصه، والأدب إحساس مرهف نبيل لا يحس به إلا من ضم قوى الإحساس الطاغية الجارفة وطبيعي أن الأديب لا يكون أدبيا حقا إلا إذا صور ذلك الشعور في صورة رائعة خالدة، والأديب هو الذي يلبس بأصابعه الروحانية في ذلك الإحساس الرقيق النبيل حتى يقع بتأობ نفسياني بين الأديب ومن يقرأ له، لأن القارئ لا يهمه ما يقرأ وإنما يقبل جميع ما يقدمه له الأديب.

فإذا أخذ الأديب بيد القارئ وجعله يحس بألمه و يفرح بفرحه و عرض عليه لونا من الإبداع في تصوير الشعور و إثارة الإحساس فالذي يفعل هذا هو الأديب الشعبي المدير بأن يقال له أديب ، أما الأديب الذي لا يصل إلى هذه المرتبة فهو أديب رجعي لا يستحق الخلود..

وفي مقال آخر كتبه الحبيب بن ناسي في جريدة الأسبوع دائما يرحب فيه بتلك الدعوة التي انبثت الجزائر وبالذات من جريدة "البصائر" وجريدة "المنار" وهي الدعوة إلى "اتحاد" بلاد المغرب العربي ويعتبر الكاتب صدور مجلة العلم الجزائري في هذه المرحلة استجابة لتلك الدعوة السامية التي انطلقت من الصحيفتين المذكورتين "البصائر و المنار" .

وقد وجه صاحب المنار الأستاذ محمود بوروزو استفتاء إلى كافة رجالات الأمة وزعمائها لكي يذكر كل واحد منهم برأيه الخاص فيها يخص مشكلة "الاتحاد" العويصة التي هي من أكبر المشاكل الحيوية بالنسبة لشعبنا في هذه الفترة التي يعيش فيها وسرعان ما احتمدت الآراء وقام كل يدعو إلى الوسيلة التي يراها ناهضة لتكتل الشعب و الثقافة حول محور واحد يخرج بنا من جودنا الحالي إلى ميدان فسيح ن وقد تبنت جريدة "المنار" الفيحاء هذا الاستفتاء الهام.

¹ الحبيب بن ناسي: "مجلة القلم الجزائري"، جريدة الأسبوع العدد: 328، 1953/03/30، ص4.

وكان من رأي الكاتب أن تنشأ في الجزائر، مجلة تعبير ليس فقط عن إرادة الشباب في الوحدة والتضامن والاتحاد، بل كان يدعو أن تصدر جريدة يومية تكون أسهل وأقرب إلى جماهير الشعب من مجلة أدبية فكرية رفيعة المستوى موجهة إلى المثقفين فقط.

لقد ظلت صحيفة الأسبوع التونسية تهتم بالأحداث التاريخية والمظاهر الثقافية، بل وحتى الوقائع السياسية في الجزائر، اهتماما بالغا إذ لا يكاد يبرز في الجزائر أي مظهر من هذه المظاهر، إلا وتكتب عنه هذه الصحيفة دراسة وتعليقا وتوجيها ونقدا.

ومن أهم الموضوعات الثقافية والفنية التي تحدثت عنها في ربيع 1953 "الحياة الفنية والأدبية في الجزائر" أوردت أسماء الفنانين والفنانات من الجزائريين والتونسيين ووصفت اختصاص كل واحد منهم وذكرت قاعات العرض المختلفة التي احتضنت تلك الأعمال الفنية من: غناء ورفض ومسرح ونحو ذلك ومن بين الشخصيات التي ذكرتها في المسرح: محي الدين باشتارزي وفي الغناء المطربين: المطربة فضيلة ختمي، والمطربة: شبيلة راشد، والمطرب الصحراوي أنور، وكوكا التونسية والمطربة أُمهيان التونسية والمطربة صبيحة الكحللاوي والمطرب عبد الرحمن عزيز، والمطربة دليلة رشدي، والمغنية جميلة حاتم¹. وفي الرقص: الراقصتان نزهة أمير وسليمة، والقابسي والشبثسي، والراقصة كلثوم الجزائرية، ومن العازفين: مالك احمد، وعلي الراشدي التونسي ورحمة مبروك الطاهر الصرافي، ومحمد المكي وسليم مصطفي. وفي الفكاهة: الفكاهي الطيب: العناولي وقذور الصراقي والفكاهي محمد التوري.

وجملة القول أن الصحافة التونسية كانت ترصد كل حركة ثقافية تدب في الجزائر فتتلقاها وتعلق عليها وتنتقدها نقدا أدبيا أو تاريخيا بطريقة علمية متهجية تستهدف تقويم الأقاليم والألسنة لاسيما في الشعر والمسرح والغناء... ونحو ذلك، خاصة منذ بداية الخمسينات من القرن العشرين ولعل السبب في ذلك يعود إلى غياب صحافة وطنية جزائرية قوية تهتم بهذه المجالات بعد وقف مجلة الشهاب الغراء سنة 1939م. نعم لقد كانت تصدر خلال الخمسينات جريدة البصائر للعلماء، وجريدة المار لصاحبها محمود بوروزو وجريدة الشمعة لصاحبها الأديب رضا حوحو والشيخ الصادق حماني وجريدة النجاح التي كانت تدور في فلك الإدارة الاستعمارية، ولكن كل تلك الصحف لم تكن تستطيع أن تغطي الساحة الفنية والأدبية والعلمية لأنها كانت صحافة موجهة بإيديولوجيات معينة وخاضعة لسيف الرقابة الاستعمارية. بل فإن الكثير منها لم يدم إلا سنة أو سنتين، وسرعان ما يتوقف بسبب قوانين الخمر الاستعمارية التي تعطل كل صحيفة وطنية تراها تتزعزع نحو الوطن والتحرر والشعب.

¹ - المراجع السابق.

وهكذا فإن العلاقات الثقافية الجزائرية التونسية كانت تنطلق من الأعماق لتعصب في الأعماق، لأن الشعب الجزائري والتونسي هو شعب واحد، لم تفرقه إلا السياسات الاستعمارية التي سلكت منذ 1830م، سبيل "فرق تسد".

وإذا كانت الثورة الجزائرية، التي انطلقت شرارتها الأولى سنة 1954م قد كرست علاقة الشعبين، فإن الأصول في هذا المجال كانت عميقة تعود إلى القرون العتيقة، ولكن ثورة الفاتح من توفير الجزائر أعطت لهذه العلاقة بعدا حدوديا حضاريا ينشد بناء الدولة والمجتمع على نمط حديث، يجمع بين الأصالة والمعاصرة في بناء مستقبل مشترك انطلاقا من الأخوة والحرية والأمال العريضة في انتزاع سيادتها من أيدي المستعمرين الأجانب.

حقا إن العلاقات الجزائرية التونسية التي نسبت قد شملت كل مجالات الحياة : الثقافية الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية وحتى العسكرية، ولكن كل ذلك كان يؤسس لعصر جديد في البلدين، ألا وهو استرجاع حرية الشعب واستقلاله اللذين حرما منها أكثر من قرن وربع قرن بالنسبة للجزائر وأكثر من سبعين عاما بالنسبة لتونس، فاندلجوا واحد ولكن المستقبل واحد أيضا.

والعلاقة جدلية بين الشعبين إذا تحرر الشعب الجزائري، الذي كان يخوض معركة شرسة ضد أعين قوة استعمارية برية في ذلك الوقت فإن الشعب التونسي سيتحرر لا محالة، لأن الجزائر هي القلب وتونس والمغرب هما الجناحان، وإذا انقلبت القلب من ريف الاحتلال أنقلت الجناحان، لأن احتلالهما جاء بعد احتلال القلب.

إذن فالثورة الجزائرية كانت هي الاسمنت المسلح، الذي أضفى لبنة جديدة في قاعدة العلاقات الجزائرية التونسية، ومنحها الطابع الوحدوي وإن كانت العوالم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية أسبق بكثير من الروابط السياسية والعسكرية ولذلك أثرت سلوك هذا المنهج في ترتيب فصول الرسالة.

فبدأت بالعامل الثقافي ثم العامل الاجتماعي ثم الاقتصادي وبعد ذلك انتقلت إلى العوامل الأخرى، على الرغم من أن المنهج الشائع في الدراسات الأكاديمية هو البداية بالسياسة أولا، وفي المنهج الماركسي بالاقتصادي أولا، غير أي لم أتبع لا هذا ولا ذاك نظرا للأهمية التي تكسبها العوامل الثلاثة الأولى التي ذكرتها في هذا السياق.

حقا إن بإمكان الباحث أن يعود إلى حقبة طويلة في العلاقات الجزائرية التونسية قبل سنة 1954م، ولكن ذلك قد يدخل الدارس في متاهات تاريخية لا حدود لها، ولذلك فضلت أن نبدأ بمطالع الخمسينيات من القرن العشرين، وهو العصر الذي ترج بانتصار الثورة الجزائرية والإعلان عن ذلك النصر من عاصمة الأشقاء بتونس.

إن الدراسات الأنثروبولوجية، بل الدراسات النفسية والثقافية والاجتماعية كلها تؤكد على أن الجزائريين والتونسيين شعب واحد، ولكن السياسات التي اتبعت في الجزائر منذ ظهور الدولة الحديثة بالمغرب العربي الكبير في القرن السادس عشر الميلادي.

قد ابتدعت حدودا سياسية وسكانية " ما أنزل الله ها من سلطان"، وكونت على غرار ما وقع في أوروبا دول قبطية أصبحت تعرف بأسائها الحالية، وهو ما أحدث شرخا سياسيا واقتصاديا بين سكان منطقة الشمال الإفريقي، ولكنه عجز عن إحداث القطيعة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بين سكان البلدان الخمسة.

المبحث الثاني: الأعلام الجزائرية في الصحف التونسية إبان الثورة التحريرية:

أما الصحف التونسية فقد كانت على صلة وثيقة بالجزائريين منذ ظهورها وكانت الأعلام الجزائرية تنشر بها إنتاجها الفكري منذ مطلع القرن العشرين فتونس خلال الحقبة الاستعمارية كانت هي الرئة التي يتنفس منها المثقفون المتشبعون بالخطابة العربية الإسلامية. وتواصل هذا العمل حتى ثورة التحرير المباركة والتي فتحت مجالا واسعا وآفاقا رحبة أمام المفكرين والأدباء والشعراء وفجرت فيهم الطاقة المخزنة والخبوية الكامنة من خلال أحداثها ومعاركها الكبرى وأنواع البطولة والشجاعة التي كان يبدونها أفراد جيش التحرير الوطني، ومن صمود الشعب وتضحياته الجسيمة وتعرضه لكل أنواع القتل والتعذيب والتشريد في سبيل الحرية وما صاحب ذلك من أحداث وتطورات سياسية وتغيرات جذرية في الأفكار والاتجاهات سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي. فهذا المناخ الثوري التحريري كان من العوامل الأساسية التي بعثت الحركة الأدبية وزودتها بالوقود الدافع وأخرجتها من الجسود والركود الذي كانت عليه في 1954.

فكيف تعاملت الصحف التونسية مع الإنتاج الفكري الأدبي والسياسي خلال الثورة؟

كانت الصحف التونسية كالعامل والصباح وبعض المجلات مبرا ووسيلة لنشر الوعي السياسي والفكر الوطني في تونس بعد الحرب العالمية الثانية وحتى استقلال تونس، ثم واصلت هذه المهمة لصالح الثورة الجزائرية وقد ساعدت على ذلك العوامل الآتية:

1. انضمام جميع القوى السياسية والوطنية، أحزابا، طلابا، نقابة، تحت لواء جبهة التحرير الوطني كممثل وحيد للشعب الجزائري.
2. محاولة الزعيم بورقيبة التقرب من جبهة التحرير ومساعدتها حتى تبعد عن تأثير الفكر القومي للثورة المصرية وعن الشيوعية وعن أنصار صالح بن يوسف.
3. وجود عدد كبير من التونسيين، الذين ينحدرون من أصول جزائرية يعاطفون مع الثورة الجزائرية ووجود بعثات طلابية في جامعة الزيتونة بالخصوص.

4. تعاون وتعاطف عدد من السياميين والمفكرين في الحزب الدستوري الحر و في جامع الزيتونة كمحمد العربي وفي الصحافة كالأستاذ الهادي العبيدي مدير جريدة الصباح.

5. مشاركة عدد من الجزائريين في تحرير الصحف والمجلات التونسية فالظاهر وطار ساهم في تحرير جريدة الصباح ومجلة الفكر من 1956 وحتى 1962م، وعبد الحميد بن هذوقة ساهم في النشاط الإذاعي ومجلة الإذاعة¹، كما ساهم جزائريون آخرون في جريدة الزيتونة والعمل ومجلة اللغات².

6. الدعم والتشجيع الذي كانت تقدمه جبهة التحرير الوطني للأقلام الجزائرية بتونس من أجل المساهمة في المعركة المضوية التي تقودها جبهة التحرير والشعب الجزائري ضد الإستعمار الفرنسي.

فما هي الأقلام الجزائرية التي كانت تكتسب عن الثورة في تونس؟

لا شك أن المتخصص لتلك الأقلام والمتتبع الراصد لنشاطها وإبداعها يلاحظ أن معظم تلك الأقلام كانت تنتمي لبعثات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى جامع الزيتونة لإتمام الدراسة وكان هؤلاء الطلاب منشعبين بالعروبة والإسلام ومشحونين بالوطنية ومستعدين للتغيير. فلما اندلعت ثورة نوفمبر جاءت بالشرارة التي فحرت فيهم طاقة الإبداع فانطلقت أقلامهم ترسم وجه الثورة المشرق وتبرز ملامح الكفاح والتحدى. ومن أبرز هؤلاء الطلاب : الظاهر وطار، عبد الله الركبي، صالح خرفي، عبد الحميد بن هذوقة، أبو العيد دودو خليفة الجيندي أبو القاسم سعد الله، بوروب أحمد، صالح خياشة... ومن أقلام جمعية العلماء : عبد الرحمن شيبان، نعيم النعيمي، البشير الإبراهيمي. أما المتعاطفون مع جمعية العلماء مثل : عبد الله شريط، مفدي زكرياء، عبد القادر السائحي بالإضافة إلى محمد ديب ومصطفى الأسرف...

وهم يختلفون في العطاء الفكري والتوعية، فالبعض مثلاً لم ينشر بتونس طوّل الثورة لطبيعة عمله في بلدان أخرى سوى عملاً واحداً مثل البشير الإبراهيمي، سعد الله، ونديم النعيمي. كما أن بعضهم توقف عن الكتابة سنة 1957 كعبد الله شريط ليعمل في مهام أخرى بينما توقف الركبي، الجندي خليفة، أحمد بوروب في سنتي 1958 م - 1959 م.

ففي أي تحالة تصنف هذه الكتابات؟ وما هي المواضيع التي تمت معالجتها؟

أولا يمكن لنا تقسيم جميع الأعمال المنشورة إلى أعمال فكرية أدبية وتصريحات سياسية.

¹ - د. محمد مزاح البخاري : من تاريخ التواصل الثقافي بين تونس والجزائر، مجلة الحياة الثقافية العدد 32 : تونس 1984.

ص: 23.

² - نفسه، ص: 13.

الأعمال الأدبية والفكرية :

تدخل جميع هذه الكتابات أثناء الثورة فيما يعرف بأدب النضال والذي كان مرآة صادقة تعكس مختلف الأحداث والتطورات أو المعطيات والتحديات التي عرفت بها الثورة . وهي كذلك تعبير عن آمال الشعب وعن رغباته ومعاناته وصموده في سبيل الحرية والاستقلال.

ومن ناحية أخرى تعتبر إرثا فنيا فعالا ومحركا للأواقع ومشجعا على التغيير وسلاحا لتحطيم فيود الامتعمار¹ . ويعتبره فراتز فانون وسيلة كفاح قومي مستمد من الأصالة ومن ارض المعركة فيقول : " ... نحن هاهنا أمام أدب كفاح بالمعنى الأصلي للكلمة ولأنه يعدو الشعب بأسره إلى النضال في سبيل الوجود القومي² ... " وهو ينظر إلى الثورة بعمق من خلال معاشته لحياة المجاهدين في تونس وقادة الثورة والمثقفين . فالثورة في نظره ليست تلك المعارك التي يخوضها المجاهدون فحسب بالسلاح وإنما هي ثورة كذلك على ثقافة البيض " ... فنجب على المثقف الرجوع إلى الجذور المجهولة³ ... " ويضيف " ... على المثقف الذي يريد أن يصنع أثرا أصيلا صادقا أن يدرك أن الحقيقة القومية إنما هي في الواقع القومي أولا وقبل كل شيء وأن عليه أن يعرض إلى المنع القوار الذي تنهيا فيه صورة المعرفة الجديدة⁴ ... " .

وإذا ألقينا نظرة أولية على بحمل الإنتاج الأدبي والفكري الذي ظهر في تونس أثناء الثورة نجد لا يخرج عن نطاق هذا التعريف . ذلك أن جل المقالات والقصائد الشعرية أو القصص والمسرحيات كانت تنطق دائما من وعي قومي ثوري واعتزاز بالموارث الحضاري العربي الإسلامي ورفض قوي وصريح لطروحات الثقافة الاستعمارية ونظرتها ومعاييرها السائدة في شمال إفريقيا .

إنما ثورة أخرى مبادئها الفكرية لتحريره من الرواسب الكولونيالية . وحول هذه الفكرة يوضح فانون قائلا : " ... أن أولئك الرجال والنساء الذين يقاتلون الاستعمار الفرنسي في الجزائر بأيديهم الأعزلون إنما يقاتلون جميعا في سبيل الثقافة القومية .. والتي حظيها الاستعمار حتى أصبحت حامدة متحجرة⁵ ... " وبهذا المفهوم تصبح الثورة في منظوره شاملة لا يقتصر هدفا على التخلص من المحتل واسترجاع وإنما التخلص من

¹ د .أبية بركات : أدب النضال في الجزائر من سنة 1954 حتى الاستقلال : مجلة الثقافة ، عدد 95 الجزائر 1985 ، ص : 292 .

² فراتز فانون : مذهب الأرض : ترجمة د . د .امي الداروي و د . جمال الأتاسي ط3 - دار الطليعة بيروت 1979 . ص : 229

³ نفسه ، ص : 125 .

⁴ نفسه ، ص : 129 .

⁵ نفسه ، ص : 137 ، 139 .

ثقافة اشغل واسترجاع ثقافتنا القومية الأصيلة وتنوع تلك الأعمال الأدبية و الفكرية يمكن تصنيفها على النحو الآتي :

1. الشعر : ما يلاحظ في هذا الجانب أن جميع الشعراء الذين نشروا قصائد حول الثورة ينتمون في الأصل إلى الجنوب الجزائري المنتمين بالخصارة العربية الإسلامية . وينتمون كذلك إلى جمعية العلماء المسلمين أو متعاطفين معها مثل : مفدي زكريا ، عبد القادر السائحي ، صالح خرفي ، صالح خباشة .

نشر هؤلاء أكثر من اثنين وسبعون قصيدة نشر أغلبها في مجلة الفكر وجريدة الصباح ثم الجرائد والمجلات الأخرى وهي تنوع كالأدبي : ثمانية عشر قصيدة لصالح خرفي الذي كان ينقب بأبي عبد الله وقد جمعها مع قصائد أخرى ونشرت فيما بعد مع ديوان أطلس المعجرات ونشرت لمفدي زكريا الذي لقب بابن تومرت، ثم شاعر الثورة سبع عشرة قصيدة والقصائد الأخرى له نشرت بالمغرب وجريدة المجاهد وبلغ مجموع قصائده حول الثورة حوالي خمس وخمسين قصيدة فيما بين 1954 و 1961 جمعها في ديوان اللهب المقدس الذي نشرته الشركة الجزائرية بتونس في 1961م. وباقي الشعراء نشروا أقل من ذلك . كالسائحي وصالح خباشة ... وقد استلهمت هذه القصائد من أحداث الثورة أو مواضيع لها علاقة عضوية بالحرية والاستقلال ووحدة الشمال الإفريقي، والاعتزاز والتفاخر بالماضي الحضاري . وحسب الدكتور محمد صالح الجابري فإن هذا الشعر : "انطلق قويا عربيا إسلاميا، شعرانه يستجيبون بسخاء واندفاع لكل الأحداث والمواقف المغاربية والعربية الإسلامية ويؤكدون هذا الاتجاه¹ ويرى د. محمد ناصر : "أن المفهوم الذي يطرحه شعراء الثورة التحريرية نابع من تصورهم للدور الذي يجب أن يلعبه الشعر الثوري ووظيفة هذا الشعر وعلاقاته بالجمهور ودوره يجب أن لا يختلف في أي شيء عن دور القائد المختار الذي يدفع الجيوش أو يقودها إلى ساحة القتال²." ومن يقرأ فعلا تلك الأشعار تتضح له هذه الحقيقة . وقد عبر مفدي عن شعره قائلا : "لم أعن في اللهب المقدس بالنس والصناعة عنائي بالتعبئة الثورية وتصوير وجه الجزائر الحقيقي بريشة من عروق قلبي غمستها في جراحاته المظلمة³." فالشعر إذن كان سلاحا في معركة الثورة الكبرى بعاطفته الوطنية المتحمسة . وقد أوضح هذه النقطة د. أبو القاسم سعد الله معبرا عن تجربته الشعرية ما بين 1950 و 1960 قائلا⁴ : "انصهرت في هذا الشعر عاطفتان شابتان مشوبتان لا تكادان تنفصلان ، العاطفة الذاتية والعاطفة الوطنية فكلاهما تتميز بالتمرد والتحدى والجموح".

¹ - د. محمد صالح الجابري : الهوية الجزائرية لدى الشعراء الجزائريين المهاجرين إلى تونس ، مجلة الثقافة العدد 86 ، الجزائر 1985 ص : 206 .

² - د. محمد ناصر : شعر الثورة من حايه الأبي ، مجلة الثقافة العدد 86 ، الجزائر 1985 ، ص : 130 .

³ - المكان نفسه ، ص : 128 .

⁴ - د. أبو القاسم سعد الله : الزمن الأعمى ، م. و. د. ، الجزائر 1985 ، ص : 07 .

وما يمكن قوله في الشعر الذي نشر في تونس أنه كان شعرا ثوريا بأتم معنى الكلمة يقوم بالتعبئة ويدعو إلى التمرد والتحدي ويشجع على الاستشهاد في سبيل الوطن ، كما يعكس الأحداث التي مرت بها الجزائر أثناء الثورة وما عرفته من تحديات دفعت الشعب إلى التعاون والتضامن والتعاطف . وهو إرث تاريخي مشرق ومشرف تعز به الأجيال التي ولدت في ظل الحرية والاستقلال .

المقالات التاريخية:

لقد كان جامع الزيتونة مؤسسة عربية إسلامية تغطي النقص العلمي والثقافي في بلاد المغرب الإسلامي بعد الحطاط وتراجع العالم الإسلامي، ولكن هذا الجامع بدوره عرف تراجعاً هو الآخر حتى القرن التاسع عشر، حين بدأت مسسات الإصلاح تظاله منذ عصر الياي أحمد الذي حاول سنة 1842م، إصلاحه فماشيا مع بعض التطورات الحديثة التي ظهرت في العالم، وكذلك حاول خير الدين باشا التونسي إصلاحه سنة 1875م، ولكن هاتين المحاولتين أصيبتا بالفشل أمام سيطرة بعض العائلات الأرستقراطية على الجامع مالكيين وحنفيين كان هناك 30 منصب أستاذ تتوزع مناصفة بين المذهبين لذلك أنشأت الصادقية في 1875م ثم الخلدونية في 1896م لاستدراك النقص في العلوم العصرية . وأصبحت الخلدونية مكملية للزيتونة . وإصلاح التعليم الزيتوني يندرج في إطار تكوين رأي عام تونسي مهادض للاستعمار الفرنسي أي تدخل في صميم التحرر من هذا الأساس ظهر الاهتمام بإصلاح التعليم الزيتوني¹ . الذي توج بإصلاح أفريل 1956م بعد تصاعد موجة الاحتجاجات الطلابية² المتأثرة بالخرجات الوطنية السياسية وموجة الثورة التي كانت تحتاج شمال إفريقيا منذ 1952 . وفي حضم هذه الأحداث كتب عبد الله شريط مقالاته التحليلية والنقدية لتعليم الزيتوني والتي نشرت على حلقات متتالية في ثلاث أعداد من مجلة الندوة سنة 1954م قبل اندلاع الثورة الجزائرية عندما كان أستاذ للفلسفة بالزيتونة: ففي المقالة الأولى بعنوان: ابن خلدون ينتقد تعليمنا الزيتوني³، حاول فيه استعمال النظرية الخلدونية لتقيد التعليم الزيتوني .

ولا شك أنه كان متأثراً بالفكر الخلدوني الذي تأثرت به إحدى الجمعيات الإصلاحية وأسست معهد الخلدونية الذي أدخل العلوم العصرية في برنامجه وكذلك الفكر القومي ، وهو ما دفع أحد المسؤولين

¹ - دسوت كرمال : حركة الشباب التونسي مولد الشعور الوطني التونسي : المحلة التاريخية المغربية ، عدد 2، 1974 : 153.

² - عرفت الزيتونة احتجاجات طلابية تطالب بإصلاح التعليم الزيتوني في السنوات التالية : 1920، 1932، 1949، 1950، 1955 .

³ - مجلة الندوة عدد فيفري 1954 ص: 10 .

الفرنسيين إلى الكتابة في تقرير له عن الخلدونية قائلا¹ : "إذا ما قدر أن تندلع ثورة في البلاد التونسية فإن هيئة أركان ثوارها تكون قد تخرجت من الخلدونية " في حين كان التعليم الزيتوني بعيد عن الفكر القومي والعلوم العصرية وقضايا المجتمع ومشاكله وكان يعيش في زمن غير زمانه.

وفي المقابل يقدم لنا عبد الله شريط اعتراضا واختجا عن رجال الإدارة في الزيتونة والمدرسين والطلاب وأولياءهم لاشتراكهم بالشعور بالخوف لما آل إليه حال التعليم في الزيتونة، ولكنه في الوقت نفسه يضيف² : "نحن المدرسين نتحمل القسم الخطير من مسؤولية ما فيه الزيتونة من بلاء ومحنة ".

ثم يعرض نظرية بن خلدون في التعليم التي يراها صالحة للتطبيق " ذلك أن الخلق في العلم والفن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسأله واستنباط فروعه من أصوله . وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الخلق في ذلك الفن المتناول حاصلا " ثم يحلل النظرية ويشرحها فيقول : " حسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الأحوال العادية يزيد الإنسان ذكاء في عمله وإضاءة في فكره " ويضيف "التعليم في نظر ابن خلدون مرتبط تماما مع المحيط الحضاري السائد ومناخه مباشرة بالعصر الذي يعيش فيه كأي مخلوق آخر . فاندثار التعليم الناجح في العالم الإسلامي وفي الثقافة العربية ثم بتمام انحلال المجتمع الإسلامي سياسيا واجتماعيا وعمرانيا ".

وخلصة نظرية ابن خلدون يركز عليها شريط في ثلاث نقاط هي : إضاءة الفكر ، تفنيد ملكات النفس وتكبير هذه الملكات ، وفق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية³. وفي مقالة ثانية حول الثقافة القومية والتعليم الزيتوني بعد الأسئلة التي تلقاها حول هذه النقطة أجاب مختلا وموضحا قائلا : "...لا يمكن أن نقبل بين مستقبل الثقافة ومستقبل الوطن... فالحياة الثقافية مرتبطة بحياة الوطن عامة ألها تتأثر لأبعد حد بالشروط الاقتصادية السائدة في البلاد بحيث تكيف إلى حد بعيد مختلف نواحي النشاط الاجتماعي والثقافي ... ويخلص إلى أن رجال الفكر والثقافة يجب أن يطلعوا على المشاكل الاجتماعية والاقتصادية المتنوعة فهو بذلك يحاول ربط الثقافة بالواقع المعاش وما فيه من أوضاع مختلفة حتى تساهم الثقافة في تغيير الواقع عن طريق التطوير والتحسين.

¹ - شارل أندري جوليان : المعمارون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي ، تعريب : محمد مزالي ، غر. ت. د. ت. تونس، 1985 . ص : 107 .

² عبد الله شريط : ابن خلدون ينتقد تعليم الزيتوني ، المرجع السابق ، ص : 10 .

³ المرجع السابق، ص : 12 .

وعن الثقافة القومية يقول : " وثقافتنا لكي تكون قومية يجب أن تعني بحث قيمنا المدفونة في السنين وأن نتوجه ونعمل نجد على إبراز هذه القيم العظيمة التي لم يتفطن إليها إلا أقلنا حتى نظمها إلى ما عرف من إشعاعات مفكرينا القدماء وإنتاجهم الخليل " .

ويذكر ابن خلدون، ابن رشيد، بن ماجه، بن حزم... وهو يرى إذا كان التعليم الزيتوني ضعيفا ولا يمكن أن يبقى كذلك لأن كل شيء حوله يتغير فإن التعليم الرسمي فيه عيب خطير يشوهه وينال من كماله وهو نقص الجانب القومي فيه ويوضح مقصده بأنه لا يقصد الروح الوطنية بل خصائص ثقافتنا الموروثة بما فيها الجانب الديني الذي يحتوي على أعظم جانب من ثقافتنا القومية¹ وله موضوع آخر بعنوان مستقبل المغرب العربي ينشر بمجلة الفكر عدد جانفي 57 ، في وقت كانت تطرح فيه هذه القضية على المستوى السياسي الرسمي وتشغل الرأي العام الشعبي وقد تعددت حوفا المفاهيم وأصبحت محل مزايده سياسية أحيانا . فهو يرى "أن المسألة الجغرافية والدينية والثقافية والتقاليد والأذواق والطباع مفروغ منها ولا محل فيها للأخذ والرد أو محاولة الإقناع بل هناك عوامل أخرى لا بد منها لقيام الأمة ووحدها وهي عناصر الاقتصاد والسياسة والإرادة الشعبية..." وهو فهم في اعتقادنا سليم وموضوعي لواقع المغرب العربي فهذه العناصر التي ذكرها قد ارتكزت عليها دول المجموعة الأوروبية في إنجاز مشروع وحدتها التي تسيير تخطوات مدروسة .

2. القصة : هذا الفن الأدبي لم يكن يحض بعناية كبيرة قبل أن تعطى له أهمية قبل اندلاع الثورة بل كان نادرا ولكن بعد قيام الثورة انفجرت ينابيع العطاء لدى عدد من الجزائريين في تونس بالخصوص ، ويؤكد هذه الحقيقة د. عمر بن قينة قائلا² : " القصة الجزائرية الفنية الناضجة خاصة باللغة العربية قد ولدت مع الثورة الجزائرية 1954 : لأن الثورة كانت الخلم العذب الذي طامنا راود النفوس..." من أوائل القصص التي نشرت بتونس خلال الثورة قصتان لحمد ديب الأولى بعنوان : الوطن ، نشرت في مجلة الندوة عدد جانفي 55 والثانية بعنوان : كلنا جناءة، في نفس المجلد عدد فيفري 1955 . والقصتان تدور أحداثهما حول وحدة الشعب الجزائري واستعداده للتضحية في سبيل الحرية .

وفي سنة 1956 نشر الخبيب بناسي قصته : مأساة أسرة ، في جريدة الزيتونة عدد 23 مارس 1956 تصور مدى البأس والفقر الذي سلطه الاستعمار الفرنسي على الشعب الجزائري الذي تحرك في سبيل الحرية، وأعطىها قصتان في نفس السنة الأولى بعنوان : شهيد بلا قبر والثانية بعنوان : الدكتور الشهيد، ولم يفتنع بناسي بعمله هذا فالتحق بالثورة ليجهاد بالبنادقة في سنة 1956 وقد استشهد فيما

¹ - المكان نفسه، ص 22.

² - د. عمر بن قينة : المسار النصفي في القصة الجزائرية ، مجلة الحياة الثقافية ، مرجع سابق ، ص: 109 .

بعد ويتربع على رأس قائمة الجزائريين الذين كتبوا في القصة ، الطاهر وطار الذي نشر 18 قصة ما بين 1956 و 1962¹. وأغلب القصص استلهمت أحداثها من الثورة وقد بلغ عددها 46 قصة لوطار، بن هديوقة (نشر 9 قصص في مجلة الإذاعة)، محمد ديب (نشر 7 قصص في مجلتي الندوة والفكر)، أبو العيد دودو (نشر 6 قصص في مجلتي: الندوة والفكر وجريدة الصباح)، أبو القاسم سعد الله. نشر أغلبها في جريدة الصباح ومجلتي الفكر والإذاعة، وهي أعمال قيمة مازالت تحتاج إلى دراسة تاريخية ونقدية لإبراز مكانتها وتحديد دورها ومساهمتها في المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي.

3. المسرحيات: تعتبر الأعمال المسرحية التي نشرت بتونس قبلة ومن كتبوا في هذا الفن الأدبي قلة، ولم يكن لهم أي اهتمام سابق بهذا الفن ولم يكتفوا من رجال المسرح². ومن أبرز تلك المسرحيات مسرحية: الباب الأحمر لمصطفى الأشرف التي بعث بها من السجن ونشرها مجلة الفكر في عددها لشهر جويلية 1957. تدور أحداثها في أواخر 1954 أو أوائل 1955 بأحد مناطق الشمال القسنطيني وهي تبرز شريحة العمال والفلاحين ومعاناتهما ومناهضتها للمعمرين وسادتهم من أعيان السلطة، كما تكشف عن رد فعل الاستعمار الذي أصبح يمارس القمع الأعظم فلا يفرق بين الجزائريين ويسلط عليهم كل أنواع التعذيب في السجون التي امتلأت بهم³ وقد كون صالح خرفي فرقة مثلت هذه المسرحية في تونس.

وفي سنة 1959 أخرج عبد الله الركبي مسرحية مصرع الطغاة والتي كانت محاولة أولى وأخيرة للكاتب كما كانت الأولى التي تنشر في كتاب قدم له الأستاذ البشير العربي كما يلي: "فهذه الرواية تجربة جديدة أرجو أن تعقبها تجارب من المؤلف أو سواء لدراسة العالم الجزائري الرطب العميق وما فيه من ممكنات وأسرار. تجربة خاصة بإبراز صورة ناعسة من صور الثورة التحريرية المرفقة وتتبع خطاها منذ يوم ابتعثها وتبلغ سناها لأنها تعكس على صفحاتها صورا وصورا أخرى للحياة الجزائرية على العموم...⁴ أما الأستاذ المرحوم الهادي العبيدي الذي كان يكن للجزائر شمة كبيرة، مدير جريدة الصباح فقد اعتبرها هذه المحاولة بداية مشروع يخلق أدب عربي مسرحي يتخذ هذه الثورة ويحفظ للأجيال لوحات عنها

وكانت أحداث المسرحية تدور في العاصمة الجزائرية وتبرز مختلف الشرائح الاجتماعية التي تعرفها المدينة ومساهماتها في الكفاح الذي تخوضه الجزائر لتبيل الاستقلال من خلال الشيخ عارف وابنه البشير وابنته رحمة

¹ د. محمد صالح الحائري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس: مرجع سابق، ص: 423، 424.

² - د محمد صالح الحائري: الثورة الجزائرية من خلال بعض المسرحيات التي نشرت بتونس إبان الثورة، مجلة الثقافة العدد 96، الجزائر 1986، ص: 16.

³ لمكان نفسه، ص: 18.

⁴ نفسه، ص: 29.

ودورهما في تحضير الثورة وتفجيرها ، وما تعرض له هذه الأسرة من اعتقال وتعذيب للشيخ عارف وابنته رحمة في السجن ولكن البشير الذيب كان من المجاهدين يقوم بهجوم على مديرية الأمن فتدمر ويحترق المساجين . ويبقى الطاهر وطار من أكثر الذين كتبوا الفن المسرحي حيث أنتج سبع أجزاء للاثلاث مسرحيات ما بين 1960 و1962 أبرزها :على الضفة الأخرى من ثلاثة أجزاء ، الأميرة جزائري ، الحارب جزائري نشرت كلها في جريدة الصباح¹ وهي مستوحاة من الكفاح والنضال الذي كان يخوضه الشعب الجزائري في تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ الجزائر .

المبحث الثالث : دور اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين من خلال الصحافة التونسية:

أعطت الثورة الجزائرية للثقافة العربية بعدا جديدا بشكل لم يسبق له مثيل من الناحية العددية والتكوينية، حيث كان الطلبة الجزائريون يقتصرون في دراستهم على الثقافة الدينية والأدبية، خاصة في الجامعات الإسلامية الكبرى، الأزهر والزيتونة والقرويين، وقد تمركز الطلبة الجزائريون في كل من تونس والمغرب وليبيا ومصر على وجه الخصوص، وصارت تعطي للطلبة المتخرجين من هذه الجامعات بعدا ثوريا وتقنيا، علاوة على الميادين التعليمية التقليدية السابقة. فازداد عدد الطلبة الجزائريين وتعددت اختصاصاتهم وازداد شغفهم بالعلم، فباتت جبهة التحرير الوطني ترسل الطلبة ليس فقط إلى البلاد العربية، بل وحتى إلى البلاد الأوروبية الصديقة، ويهبط في هذا المبحث الطلبة الجزائريين الذين توجهوا، أو وجهوا إلى تونس إبان الثورة في الفترة الممتدة ما بين (1954-1962م) من خلال الصحافة التونسية.

قد رأينا في المبحث الأول من هذا الفصل كيف أن طلبة الثقافة العربية كانوا يتوجهون زرافات ووحدانا إلى جامع الزيتونة العتيق، منذ أن توقفت دور التعليم العربي في الجزائر، بسبب عمليات الهدم الاستعماري لدور العلم والثقافة، واضطهاد العلماء في الجزائر، في محاولة استعمارية لإعادة تشكيل الهوية الجزائرية بحيث توائم السياسة الاستعمارية في الجزائر، ولكن العصبية القومية للجزائريين ظلت تقاوم الانحراق الفرنسي الأجنبي لهذه الهوية، وتحاول تغذيتها من ينابيع الثقافة العربية خارج الوطن، لاسيما في تونس والمغرب والشرق العربي عموما.

ولما جاءت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مطلع الثلاثينات من القرن العشرين، دفعت عجلة المسيرة الثقافية باللغة العربية من جديد، وحاربت معاول الهدم والتخريب للثقافة الوطنية وأرسيت قواعد ثقافة عربية جديدة في الجزائر تجمع بين الأصالة والمعاصرة، فأشأت شبكة من المدارس والمعاهد والمساجد والنوادي الثقافية في مختلف أنحاء القطر الجزائري، وكونت جيشا من الطلبة والأساتذة والمعلمين وأخذت في تشجيع وإرسال البعثات العلمية إلى البلاد العربية، لاسيما إلى تونس.

¹ - د محمد صالح الحارثي : النشاط العلمي والفكري للمجاهدين الجزائريين بتونس، مرجع سابق ، ص: 423 .

و لما اندلعت الثورة التحريرية الجزائرية وحدثت في ذلك العدد من الطلبة الجزائريين السيد القوي ملء فراغ الإطارات الوطنية في هياكلها المختلفة، ودعمت حركة التعليم في تونس من جديد بطريقتين متوازيتين : إنشاء المدارس وتمويلها من ميزانية الثورة والاتفاق مع الحكومة التونسية لتبني عدد آخر من هؤلاء الطلبة بأموال الحكومة التونسية ذاتها.

و من خلال هذه الأساليب الجديدة في تكوين الطلبة نوعيا وعدديا، أصبح لثورة الجزائرية امتدادا واسعا في وسائل الإعلام وفي المحافل الدولية، وأصبح الطلبة أنفسهم يشكلون مادة إعلامية واسعة النطاق لوسائل الإعلام العربية والدولية، كما أصبح نشاط الثورة داخل الوطن وخارجه مقروعا ومسموعا في كل مكان من العالم بواسطة شعبيهم وبفضايا الثورة على كل المستويات.

و الثقافة التي نتحدث عنها أثناء الثورة من خلال الصحافة العربية كلها تتمحور حول مسألة الطلبة وكيفية تعامل الثورة معهم في مختلف الجامعات، والمعاهد العربية والأوربية، سواء الطلبة الجزائريين أو الطلبة الأجانب.

وعلى ضوء ما تقدم نقرأ في العدد الصادر في السادس عشر من شهر أفريل سنة 1957م من جريدة الصباح عمودا عن موقف طلبة فرنسا إزاء القضية الجزائرية، جاء فيه :

" سلمت فيه جمعية الطلبة التابعين لجامعة ستراسبورغ بلاغا إلى الصحافة (أنهم يؤيدون الموقف الذي اتخذته مكتب الاتحاد القومي للطلبة الفرنسيين إزاء الحرب بالجزائر... إنه يجب وضع حد لأساليب القمع المتبعة حاليا بالجزائر، ويطالبون بالحث عن إيجاد حل سياسي توعي فيه الرغائب المشروعة للشعب الجزائري مع ضمان مصر السكان الأوربيين"¹

و الحق أن المسألة الجزائرية قد أحدثت انشغافا واضحا بين الطلبة الفرنسيين أنفسهم وقد نشرت جريدة الصباح التونسية مقالا في عددها الصادر يوم الرابع عشر من شهر ماي سنة 1957م تحت عنوان : " القضية الجزائرية أمام مؤتمر الطلبة بفرنسا "، تحدثت فيه عن الخلاف الشديد الذي وقع بين رئيس جامعة الطلبة الفرنسيين بالجزائر "ألم. قوترو" و "ألم. لافورنيير"، رئيس الاتحاد القومي للطلبة الفرنسيين. قد برز هذا الخلاف في مؤتمر الاتحاد القومي للطلبة الفرنسيين المنعقد بكلية الطب بباريس يوم الخامس والعشرين من شهر أفريل سنة 1957م، حين منع رئيس اتحاد الفرنسيين بالجزائر "ألم. قوترو" من حضور هذا المؤتمر وقد برر رئيس الاتحاد القومي للطلبة الفرنسيين "ألم. لافورنيير" الأسباب التي جعلته يمنع قوترو من الحضور في المؤتمر على النحو الآتي :

¹ - ينظر المحاهد : العدد 120 (10 أفريل 1961)، ص 4.

- 1- توزيع مناشر عذائية للمجلس الإداري لاتحاد الطلبة.
- 2- عقد ندوة صحافية بالجزائرية لتحريض الطلبة الفرنسيين على الانشقاق عن الاتحاد القومي.
- 3 مهاجمة مكتب المجلس الإداري لجامعة طلبة الجزائر.
- 4- حملة الشتم التي وجهها أحد أنصار "أم.قوترو" إلى " أم. دي لافورنيو" رئيس الاتحاد القومي للطلبة الفرنسيين.
- 5- قدوم "أم.قوترو" إلى باريس مصحوبا بجنود المظلات ورفاق آخرين معروفين بالوسائل التي يستعملونها للوصول إلى أغراضهم.

منهم في هذا كله أن القضية الجزائرية، كانت محل نقاش ساخن أثناء المؤتمر¹.

و هكذا تخطت الثورة الجزائرية كل الخطوط الحمراء داخل المجتمع الفرنسي ذاته وتمكنت من إحداث انشقاق واسع بين اليمين واليسار من جهة، وبين الطلبة الفرنسيين بفرنسا والطلبة الفرنسيين بالجزائر من جهة أخرى، فالأولون انقسموا على أنفسهم طبقا لمفهوم اليمين واليسار، فاليمين معروف بتطرفه للعصبية القومية، واليسار يميل إلى تأييد الحركات التحررية في البلدان المستعمرة، وبين طلبة فرنسا وطلبة الجزائر الفرنسيين هوة سحيقة أيضا في موقفهما من الثورة الجزائرية، فطلبة اليسار بفرنسا خاصة يستنكرون التجاوزات العسكرية في الجزائر مثل : التعذيب، واستعمال الأسلحة الممنوعة دوليا وغير ذلك. والطلبة الفرنسيون في الجزائر يساندون كل وسائل القمع والإرهاب ضد الجزائريين، لأنهم كانوا يشعرون بأن الجزائر تكاد تضع من أيديهم وهم يعتقدون أنها وطن الآباء والأجداد.

وتواصل جريدة الصباح التونسية متابعتها لقضية الطلبة الجزائريين والفرنسيين والمغاربيين إزاء الثورة التحريرية الجزائرية، وفي عددها الصادر يوم الثامن والعشرين من شهر جانفي سنة 1958م، ناقشت قضية اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين بعد أن اتخذت الحكومة الفرنسية إجراء حله يوم الثاني والعشرين من شهر جانفي سنة 1958م، ومما جاء في صحيفة الصباح التونسية : "لقد تغلبت النعرة الاستعمارية على الحكومة الفرنسية مرة أخرى، فأمرت بحل الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وإلقاء القبض على ثلة من قادته بباريس وكافة أعضائه بفرنسا وعلى رأسهم رئيس الإتحاد الأخ (أيت شعلال) بتهمة الاعتداء على أمن الدولة الخارجي... تريد الحكومة الفرنسية بحل هاته العمليات التعسفية أن تظهر حليها عزمها على قتل كل روح وطنية بين الأوساط الجزائرية متبعة في ذلك الخطط الإجرامية، التي يسطرها (روبير لاكوست)، ومن ورائه شرذمة من المعمرين بالجزائر والرجعيين بفرنسا، الذين يعتقدون أن التعذيب والتقتيل سيذهبان من

¹ - جريدة الصباح : " الطلبة الفرنسيون يطالبون بإيجاد حل سياسي لقضية الجزائر "، العدد 16 أفرس 1957م، ص 1.

عزيمية إخواننا المكافحين كما يظنون أن حل المنظمات القومية (الوطنية) يمكنهم من تشتيت الجهود ونشر الفوضى في صفوف الجزائريين الوطنيين... كما نعتقد أن المثل العليا التي تؤمن بها الجامعة الفرنسية والشعب الفرنسي ستغلب على التعربات العصبية الاستعمارية، التي يتسم بها روبر لا كوست " وأذناه خصوصا وأن الأعمال العنصرية والوحشية، التي قامت بها جماعة من الطلبة الفرنسيين الرجعيين وعلى رأسهم "موسران" في مدينة "مونبوليه" ضد الطلبة المسلمين الجزائريين في أوائل سنة 1956م، قد أثارت آنذاك موجة من السخط والاستنكار بين الفرنسيين الأحرار، وأحدثت إنشقاقا في صفوف الاتحاد القومي للطلبة في فرنسا... ولما أن تساءل عن الأسباب التي دعت الحكومة الفرنسية اليوم إلى اتخاذ هذا الموقف " ¹.

وقد قرر الاتحاد العام في شهر نوفمبر 1957م وضع حد للإضراب اللاهائي عن التعليم الذي أعلن عنه في السادس والعشرين من شهر ماي سنة 1956م. أما الطلبة الجزائريون فقد عادوا من جديد إلى المعاهد، فما الداعي إلى حل الاتحاد بعد أن عادت الأمور إلى نصابها ؟ يقولون أن الاتحاد يقوم بأعمال سياسية تنافي القانون العام للمؤسسات الطلابية، ولكن هاته الأعمال الغير القانونية - كما يدعون - ترجع إلى مقررات المؤتمر الثاني الذي انعقد في شهر أفريل من سنة 1956م، عندما أعلن المؤتمر عن مطالبتهم باستقلال الجزائر وتفاوض فرنسا مع زعماء جبهة التحرير الوطني.

أما العمل الغير القانوني الثاني الذي قام به الاتحاد فيتمثل في إعلان الإضراب اللاهائي ولم تر الحكومة الفرنسية بعد انعقاد هذا المؤتمر وإعلان الإضراب داعيا إلى حل... فهل حدث جديد اليوم ؟ ²

الحقيقة هو أن الطلبة الجزائريين قد أظهروا في أطوار كفاحهم رصانة وتعقلا وحكمة جعلتهم يظفرون بعطف وتقدير وتشجيع المنظمات الطلابية العالمية، الأمر الذي استاء له "لاكوست" وأتباعه ³.

المبحث الرابع : دعم الطلبة التونسيين للطلبة الجزائريين ودور المؤسسات التعليمية بتونس:

أولا: دعم الطلبة التونسيين للطلبة الجزائريين

إن التقارب بين الاتحادات الطلابية الثلاثة بشمال إفريقيا، بعد تكوين اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين سنة 1955م، قد أحدث هزة قوية في الأوساط الرجعية الفرنسية فأرادوا بحلهم الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين أن يقضوا على هذه الوحدة قبل نشأتها، حيث كان "لاكوست" وأتباعه يحتفلون أن أعمالهم هاته ستمنع تحقيق الوحدة الطلابية في شمال إفريقيا، كما كانوا يعتقدون أن الاستفزاز والتمنع

¹ - جريدة الصباح " التضية الجزائرية أمام مؤتمر الطلبة بفرنسا "، 14 ماي 1957، ص 4.

² - جريدة العمل " الزهرة الاستعمارية... "، 28 جانفي 1958، ص 3.

³ - جريدة العمل " نفرة استعمارية "، 28 جانفي 1958، ص 3.

والتعذيب سيبعد الطلبة الجزائريين عن الدفاع عن مبادئهم السامية التي أعلنت في الفاتح من نوفمبر 1954م، وسيحول دونهم ودون العمل لتحقيق استقلال الجزائر .

وقد أجادت جريدة العمل التونسية لأكوست عن تلك المعتقدات في شكل سؤال عفوفا:

فليسأل "أكوست" عن نتائج سياسة أسلافه في المغرب وتونس... وليعظ⁹.

وفي العدد الصادر يوم التاسع والعشرين من شهر جانفي سنة 1958م، نشرت جريدة العمل التونسية برقية موجهة من اتحاد طلبة تونس، إلى الرئيس الحبيب بورقيبة حول حل جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين، مما جاء فيها: "إن المكتب التنفيذي للاتحاد العام لطلبة تونس يلفت سامي نظركم إلى خطورة العمل التعسفي الذي قامت به السلطات الفرنسية ضد الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، وما قامت به من تحطيم نوادي الاتحاد العام لطلبة تونس وجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بباريس، يرجو فخامتكم التدخل لضمان كرامة وأمن الطلبة التونسيين خاصة والمغاربة عامة"¹.

رأينا في البرقية السابقة موقف اتحاد الطلبة التونسيين إزاء الإجراءات الاستعمارية التعسفية المتخذة ضد اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين عندما حطبت البرقية من الرئيس التونسي التدخل لصالح اتحاد الطلبة التونسيين وطلبة شمال إفريقيا على حد سواء.

أما في برقية أخرى نشرت في نفس العدد، وفي عمود آخر فقد عبرت عن احتجاج واستنكار اتحاد الطلبة التونسيين للقرار الفرنسي الخاص بحل اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، ومما جاء في هذا البلاغ: "لقد فوجئنا بمجر حل الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وإيقاف قادته بباريس من قبل السلطات الفرنسية، التي حطمت نأديه ونوادي الاتحاد العام لطلبة تونس، والاتحاد القومي لطلبة المغرب الكائنة بمقر جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بباريس، كما عاثت بالملفات والأوراق وداست أعلام تونس والمغرب".

إن هذا العمل الاستبدادي الرامي إلى خنق الحركة الثقافية الطلابية هو خنق للحريات الأولية. إن الاتحاد العام لطلبة تونس و فرع تونس للاتحاد العام للطلبة الجزائريين :

- 1 - يحتجون صارم الاحتجاج لدى السلطات الفرنسية على هذه الأعمال الرجعية.
- 2 يلفنون نظر الجامعة الفرنسية إلى خطورة مثل هذا الصنيع، الذي يشوه سمعتها ويمس بتقاليد الديمقراطية. يعتبرون أن هذا القرار لا يؤثر على وجود اتحاد الطلبة الجزائريين لدى

الجامعة الشمال الإفريقية للطلبة قحسب، بل فقد يؤثر على المنظمات القومية والعالمية للطلاب المتواجدين بفرنسا¹.

يتضح من هذه التعاليف التي استقيناها من الصحافة التونسية أن تونس حكومة وشعبا كانت تولي القضية الجزائرية اهتماما كبيرا على كافة المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية، وتجاوز المسؤولين الفرنسيين حوارا سياسيا وثقافيا منطقيا تريد إقناعهم بأن الأعمال التي يرتكبها غلاة المعمرين بالجزائر هي أعمال وحشية لا تنتمي على الإطلاق للحضارة الفرنسية التي رفع شعارها مفكرون منذ قيام الثورة سنة 1789م، محاولة التأكيد لغلاة المعمرين في الجزائر على أن الشعب الجزائري لا يقل إنسانية وحضارة عن الشعب الفرنسي ذاته ومن ثمة فهو جري باسترجاع حقوقه في الحرية والاستقلال كسائر شعوب المعمورة التي اضطهدت من قبل إمبراطوريات استعمارية ثم حررها من ربقة العبودية والاستعمار . إن اتحاد الطلبة التونسيين قد وقف موقفا تاريخيا إلى جانب شقيقه اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين طوال سنوات الثورة كلها .

ثانيا: دور المؤسسات التعليمية بتونس:

يعتبر التعليم من المهام الاجتماعية والثقافية التي أولتها الثورة الجزائرية اهتماما كبيرا وخاصة مسألة تعليم الأطفال الجزائريين من أبناء اللاجئين المستقرين بتونس، فكانت مصلحة الشؤون الاجتماعية بقاعدة تونس تقوم بالمهام التعليمية إلى جانب الإيواء والصحة والعناية الاجتماعية . وانتدبت المعلمين للتعليم بمراكز اللاجئين وقد نكفوا تعليم وتنظيف آلاف الأطفال² .

وسعت المصالح الاجتماعية لجهة التحرير الوطني إلى إدماج الأطفال الجزائريين بالمدارس التونسية لمزاولة تعليمهم وفق البرامج التونسية وأنشأت وزارة الشؤون الثقافية العديد من المدارس الابتدائية داخل الملاجئ وخارجها حيث تتكفل بكل شؤونهم، وقد أنشأت مدرسة خاصة بالجزائريين في باردو بتونس سنة 1957م كانت تضم مائة طفل يزاولون تعليمهم في نظام تربوي جماعي، وبعد مدة وعمم هذا النظام على كل الطلبة واللاميد الجزائريين، وتكفلت جهة التحرير الوطني بالإتفاق عليهم ووضعوا في مؤسسات تربوية مشتركة³، ويذكر أحمد توفيق المدني أنه كان يوجد في سنة 1959م بتونس وحدها عشرون

1 - جريدة العمل : "اتحاد طلبة تونس يرسل الحبيب"، العدد: 705، 29 جانفي 1958م، ص3.

2 - جريدة العمل : "احتجاج طلبة تونس على حل جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين من قبل حكومة فرنسا"، العدد: 705، 29 جانفي 1958م، ص3.

3 - بنظر اتحاد : العدد 12 (15 ديسمبر 1957)، ص3.

مدرسة ابتدائية لتعليم أبناء اللاجئين ومائة مدرس¹ بالإضافة إلى 700 طالب جزائري بالكليات التونسية وإثر زيارة وزير الشؤون الثقافية لتونس عقد اجتماعا للطلبة وآخر للتلاميذ المدارس بتونس في ديسمبر 1958 وأعلمهم أن الوزارة ستتكفل برعايتهم وحل مشاكلهم وستخصص مبلغ مليون فرنك خلال تلك السنة لتحسين أوضاعهم المعيشية، كما قامت الوزارة بمبادرة هامة تمثلت في تخفيف الضغط على الطلبة بتونس وتوزيع أعداد منهم على الجامعات والمعاهد بالشرق العربي²، وسعت الوزارة لبذل مساعيها لدى السلطات التونسية لتمكين الطلبة الجزائريين من مواصلة تعليمهم بالمدارس والمعاهد التونسية، وقد كانت الحكومة التونسية تتكفل سويًا بمائتي طالب جزائري بالثانويات التونسية وتُدفع جميع مصاريفهم، وقدمت منحًا للجزائريين لإتمام دراستهم بالخارج³، وأولت وزارة الشؤون الاجتماعية اهتمامها الخاص بتعليم أبناء الشهداء فأقامت لهم بتونس خمسة مراكز تضم 800 طفل وطفلة⁴.

كما اهتم الاتحاد العام للعمال الجزائريين بمصير أبناء الشهداء وأسس لهم بتونس " دارين بالمرسى (تونس) تضمّان نحو مائتين وستين يتيما وهو مشروع إنساني عظيم... كما عمل الاتحاد على إعداد دار للبنات بتونس كذلك "⁵، ومن ضمن الاهتمامات الاجتماعية للاتحاد التكفل بأبناء العمال اللاجئين، إذ اعتنى بهم وأنشأ لهم المدارس وكذا مراكز التكوين المهني المتعددة الاختصاصات والتي مكنت الشباب من الإحراز على تكوين مهني يمكنهم من الاندماج في المجتمع، وقد وظف كثير منهم بالورشات الصناعية وبالؤسسات التونسية، ونذكر من بين مراكز التكوين المهني مركز عيسات إيدر للتكوين المهني الذي يعتبر مركزا هاما للتكوين الصناعي لأبناء الشهداء بتونس وأنشأ الاتحاد العشرات من دور الأطفال لليتامي منها دار عيسات إيدر لليتامي بتونس تأوي 150 طفلا ودار بن مهدي وضمت مائة طفل⁶، وقد بلغ عدد الأطفال الذين شملتهم رعاية الاتحاد حوالي 20 ألف طفل⁷.

وبفضل تسهيلات الحكومة التونسية ودعم الاتحاد العام التونسي للشغل تم تمكين الشباب الجزائريين من الإحراز على تدريبات مهنية بمراكز التكوين المهني التونسية، ويذكر رشيد قايد أن الاتحاد العام للعمال الجزائريين سطر بالتعاون مع الاتحاد العام التونسي للشغل برنامجا يتصي تكوين 25 نقابي

¹ - بوعزيز يحي : دور الطبقة الجزائرية في ثورة التحرير الوطني، الثقافة : العدد 83 (سبتمبر - أكتوبر 1984)، ص 284.

² - المذني أحمد، أوفيق : مرجع سابق، ص 488.

³ - المرجع نفسه، ص 407.

⁴ - المرجع نفسه، ص 472.

⁵ - أمفران عبد الحفيظ : مذكرات من مسيرة اتصال والجهاد، مرجع سابق، ص 116.

⁶ - المصدر نفسه، ص 11.

⁷ - بهار حوار مع المناضل صافي بوديسة، جريدة الشعب : عدد يوم (22 جوان 1987)، ص 12.

جزائري بمدارس التكوين النقابي التابعة لاتحاد العام التونسي للشغل، و18 نقابي في قطاع سكك الحديد، و26 نقابي في قطاع البريد، وتحصل الاتحاد العام للعمال الجزائريين على مساعدات هامة قدمتها النقابات الدولية المتعاطفة مع كفاح الشعب الجزائري تمثلت في منح لتكوين بالخارج ووسائل وتجهيزات خاصة بالدراسة والتجهيز، كما ساهم الهلال الأحمر الجزائري كهيئة اجتماعية إنسانية في تعميم أبناء اللاجئين والتكفل بهم فأنشأ مراكزا للتهامي بضواحي تونس وهو عبارة عن عمارة كبيرة يقطن بها ألف طفل^١.

إن الحكومة التونسية والمنظمات الاجتماعية التونسية مشجعت وآزرت نشاط هذه المدارس والمراكز التعليمية كدورها تقوم بمهام نبيلة لصالح أبناء اللاجئين، فسهلت السلطات التونسية استقبال المدارس الجاهزة التي قدمت كهدية لأطفال الجزائر، وأبدت الكثير من التسهيلات في هذا الشأن.

إن عناية الثورة التحريرية بتعليم وتكوين الآلاف من الأطفال اللاجئين كان يهدف إلى بناء مجتمع مثقف ومحسن بالمعارف والعلوم التي تمكنه من مواجهة المستقبل؛ وعليه فإن جبهة التحرير الوطني لم تنتظر انتهاء المعركة المسلحة لتفكر في مستقبل الشعب وتنظيم المجتمع الذي ستعرفه الجزائر المستقلة، حيث بدأت تنظيمات وبنية المجتمع التوري تتضح مع تطور الثورة التحريرية، والتحام الشعب الجزائري في معركة النضال من أجل الاستقلال، ولم تقتصر مهام جبهة التحرير الوطني بتنظيم وإحصاء الجالية الجزائرية والاهتمام بأوضاع اللاجئين، بل شملت شؤون المجتمع الجزائري والعناية بعناصره وفئاته الاجتماعية وتأطيره في المنظمات الاجتماعية والثقافية، وسنقصر الحديث هنا على مهمة بناء المجتمع والعناية بعناصره الفاعلة لتحاول الوقوف على ملامح التعيرات الاجتماعية لمجتمع اللاجئين.

وحمة القول أن النشاط الثقافي في الثورة الجزائرية من خلال ما نشرته بعض الصحف الجزائرية والتونسية كجريدة المجاهد لسان حال جبهة التحرير الوطني، وجريدتنا الصباح والعمل التونسيان خلال الفترة الواقعة بين (1954 1962م)، كان نشاطا مركزا على دور الطلبة الجزائريين في الخارج، خاصة موقف سلطات الاحتلال من نشاطهم واتحادهم قبل حله وبعد حله، ولكن هذا لا يعني أن الثورة الجزائرية في هذه المرحلة لم يكن لها نشاط ثقافي آخر في البلدان العربية والغربية في ذلك الوقت، ولكن بما أن موضوعنا محدد بالعلاقات الثقافية الجزائرية التونسية إبان الثورة التحريرية، فإننا اكتفينا بما نشر في صحف المجاهد والنصاح والعمل ومراجع أخرى، خلال الفترة المشار إليها آنفا.

واحق أن الصحافة التونسية كانت مفتوحة للأفلام الجزائرية خاصة بعد استقلال تونس، فكانت أخبار الثورة الجزائرية تشكل المادة الأساسية فيما ينشر وتصدر الصفحات الأولى وهذا حتى استقلال الجزائر.

^١ - المجاهد: العدد 28، ديسمبر 1958، ص 9.

وعموما فقد قام الجزائريون بتونس سياسيون ومتفقون بعمل دعائي كبير للثورة فرسموا عنفوانها بأقلامهم وصوروا معاناة الشعب وحموده وتصميمه على استرجاع الاستقلال الوطني مهما كلفه ذلك من تضحيات بشرية ومادية، وكشفوا بشاعة الأعمال التي يقوم بها الاستعمار الفرنسي، وتميز عملهم بحارة عاطفية واندفاع قومي وغيرة عربية وإسلامية. إن العلاقات الثقافية بين الجزائر وتونس كانت ثورة أخرى ساهمت في تقديم الصورة البائسة والحزينة التي رسمها الاستعمار الفرنسي في الجزائر والشعب الجزائري طيلة قرن وربع قرن. و في نفس الوقت ساهموا في تفتين الروابط الأخوية بين شعبين الجزائري والتونسي وطلاب الحرية في كل أنحاء العالم.

بعد هذه الدراسة المفصلة أحيانا والموجزة أحيانا أخرى نخلص إلى القول: أن العلاقات الثقافية بين الجزائر وتونس، كانت لها أصول وجذور عميقة في التاريخ، ولكن غو الوعي القومي والشعور ببعث الهوية الوطنية الجزائرية بشكلها الحديث، لم يحدث إلا بعد صراع مرير مع الدولة المستعمرة التي أرادت استبدال الهوية الفرنسية بالهوية الجزائرية.

إن ثورة الفاتح من نوفمبر قد زادت الجزائريين رغبة في تحصيل العلوم والمعارف العربية، كما رفعت نسبة البعثات والوفود الدراسية، وصار جامع الزيتونة العتيق جامعة أهلة بالطلبة الجزائريين الذين امتزجت أفكارهم وسلوكاتهم الاجتماعية بأشقاتهم التونسيين، حتى صار الجميع يتطلع إلى مستقبل واحد ومجتمع واحد ودولة واحدة، ولما اتلج فجر عصر الجماهير الذي واكب اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر الجزائرية، تطورت تلك العلاقات الثقافية من الامتزاج الثقافي والاجتماعي إلى الامتزاج السياسي والاقتصادي بل وحتى العسكري، وأصبحت المؤسسات التونسية على اختلاف مهامها واختصاصاتها تستقبل الإطارات الجزائرية في هياكلها ووظائفها الداخلية: في الطب وفي التمريض وفي التدريس وفي الصحافة وغير ذلك من الوظائف التي تتطلب الكفاءة العلمية والمهنية، وهكذا التحم المجتمعان الجزائري والتونسي بفعل الترجم الثوري الذي عم المنطقة العربية عامة والجزائر بصورة خاصة.

جاذبة البحر

خاتمة البحث :

بعد هذه التجربة المتواضعة في بحث العلاقات الجزائرية التونسية إبان ثورة التحرير الجزائرية الكبرى وتبع خلفياتها ومنحنياتنا المختلفة، والوقوف عند عدد من المحطات السياسية والاجتماعية والثقافية نخلص إلى النتائج الآتية :

أولاً: أن العلاقات الجزائرية التونسية لم تكن وليدة سنوات الكفاح الجزائري المسلح فحسب وإنما هي علاقات عميقة الجذور بين السكان المغاربة على امتداد العصور التاريخية على أساس أن الشعب العربي والشعب الأمازيغي في هذه الربوع قد عرف امتزاجاً كلياً فيما بينه سياسياً وثقافياً واجتماعياً، ومهما حاول الاستعماريون تلك الروابط الأصيلة بين هؤلاء السكان، فإنهم لم يتمكنوا من ذلك وباءوا بفشل ذريع، لأن الجميع قد انصهر في بوتقة الحضارة العربية الإسلامية، التي نقلت أهل هذه البلاد من عصر الجهل والتشردم والتأخر إلى عصر المدينة والأخوة والتعاون والعلم والتفتح على العالم، ومن هنا فإن القول بوجود شعبين متميزين عن بعضهما في الجزائر وتونس هو قول مردود على أصحابه من مثلي المدرسة الكونولبانية التي تعمدت التفريق بين هؤلاء السكان عن إدراك ودراسة بكل المنعطيات التاريخية والحضارية التي تبلورت فيها شخصية بلاد المغرب الإسلامي من أقدم العصور إلى يومنا هذا.

ثانياً: إن العلاقات السياسية بين البلدين كانت تزهو وتغتر باستمرار تبعاً لظروف البلدين في كل حقبة من حقبة التاريخ، وقد ظل المجال الجغرافي مفتوحاً بينهما على امتداد التاريخ، فمرة يمتد النفوذ الجزائري حتى إلى جبل نفوسة ليبيا عبر الجنوب التونسي، ومرة تصبح تونس تابعة لقسنطينة وأحياناً تصبح قسنطينة تابعة إلى تونس، وهكذا دواليك دون أن نحسب عصر الموحدين والمرابطين ونحو ذلك، ولكن العلاقات السياسية المتميزة قد ظهرت بعد اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر في الجزائر، حيث أصبح كل من الجزائريين والتونسيين يخوضون حرباً واحدة ضد الهيمنة الاستعمارية المتغطرسة، التي مدت نفوذها على كل أقاليم المغرب وسيرتها جزءاً من الممتلكات الفرنسية.

فكان موقف أبناء البلدين موقفاً واحداً في الذود عن الشرف والكرامة واسترجاع السيادة الوطنية وأصبحت القيادتان الجزائرية والتونسية تعربان عن موقف واحد إزاء مستقبل البلدين ومطامح الشعبين حتى استرجعنا استقلالهما الواحدة تلو الأخرى، وصار لكل بلد دولة وطنية خاصة، مع إبقاء التعاون مستمراً في كل المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية بل والاجتماعية أيضاً، ولعل الخطوات التي تخطتها الدولتان الآن ستؤدي مستقبلاً إلى إتمام الوحدة المغاربية وتكوين دولة واحدة.

ثالثاً: إن الروابط الثقافية التي تربط سكان البلدين هي روابط قديمة أيضاً تعود إلى تأسيس جامعة الزيتونة في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)، حيث أصبحت هذه الجامعة قبلة طلاب العلم والمعرفة ليس فقط من

البلاد التونسية بل من كل البلدان المغاربية، وفي مقدمتها الجزائر، ولكن ثورة التحرير الجزائرية قد عمقت هذه العلاقات الثقافية أكثر من ذي قبل، حتى أصبح معظم المثقفين الجزائريين إبان الثورة وعهد الاستقلال الوطني متخرجين من الزيتونة يرفعون تحدي الجهل والأمية في المدرسة الجزائرية، وفي وسائل الإعلام الوطنية باللغة العربية وكان كل من يتخرج من الزيتونة يطلق عليه في الجزائر اسم "عالم" وكان مفهوم العلم عند الجزائريين مقتصرًا على أولئك المثقفين في الدين والآداب والتاريخ ونحو ذلك من العلوم والفنون العربية والإسلامية.

رابعاً: أما عن التواصل الاجتماعي بين البلدين فإنك لا تستطيع في غالب الأحيان أن تفصل بين العائلات الجزائرية والتونسية، فهي أسر متشابكة مع بعضها البعض بالدم والمصاهرة، لاسيما المناطق العربية للبلاد التونسية، ولم تكن العلاقات الاجتماعية حديثة العهد هي الأخرى، بل فإنها ذات تاريخ عريق، ولكنها ازدهرت وتطورت إبان الثورة التحريرية الجزائرية حيث أصبحت الأسر الجزائرية والتونسية تتقاسم المسكن والمأكل والملبس، وتشارك في الآلام والأمال أمام الحرب الاستعمارية الشرسة، التي شنت على بلدان المغرب العربي قرناً وثلاث قرن من الزمن، فكثرت قرى الجزائريين والتونسيين يعيشون إخوة متحابين متضامنين ومتآزرين في أوقات الشدة ومتزاوئين منسرحين أوقات السلم والرخاء، بل ويتوتون جنباً إلى جنب على حدود البلدين من جراء قصف الآلة الاستعمارية لسكان المناطق الحدودية المتجاورة، وسواء في عهد الاحتلال أو في عهد الاستقلال، فإن لا أحد استطاع ويستطيع الفصل أو التفريق بين هؤلاء السكان، مهما كانت الظروف السياسية والاقتصادية بل وحتى الحربية، لأنهم يشكلون وحدة بشرية منحانة متناحمة ومتعاونة في السراء وفي الضراء .

وصفوة القول أن العلاقات الجزائرية التونسية إبان مرحلة الكفاح المسلح في الجزائر، قد مثلت قمة التقارب والترايط والامتزاج على كل المستويات، حتى أصبح الإنسان لا يفرق بين جزائري وتونسي إلا بالبطاقة إن كانت هم بطاقة أو رخصة تنقل أو إذن بالمرور، من دأقت به الأرض في الجزائر يغادرها إلى تونس، ومن دأقت به الأرض في تونس يغادرها إلى الجزائر .

وهكذا فإن الشعب الجزائري والشعب التونسي هما شعب واحد، لا يصح أن نطلق عليهما اسم الشعب الجزائري والشعب التونسي، وإنما يصح أن نقول سكان البلدين أو شعب البلدين الجزائري وتونس لأنهم لا يختلفون عن بعضهم البعض إلا باسم البلد الذي ينتمون إليه.

ایک حق

الملحق رقم : 01

ندعو ومازلنا ندعو إلى التفاوض المباشر الرسمي¹

أدلى محمد يزيد وزير الأخبار في الحكومة الجزائرية ظهر أمس بتصريح جاء فيه :
" أخذت بعض الأوساط السياسية والصحفية الفرنسية تروج من جديد منذ بضعة أيام تصريحات مزيفة منسوبة إلى ناطقين باسم الجزائريين يحيط بهم الخفاء والكتمان، وهذه الحملة تظهر آثارها في تعالين تنشر خصوصها بين قورسي وتنسب إلى أشخاص يتكلمون كثيرا دون أن تعلن أسماءهم، وكل هذا من شأنه أن يث الاضطراب في العقول وان يضاعف دواعي اللبس .

وبما أن الاضطراب واللبس لا يستفيد منه إلا خصوم التفاوض فإنه يسهل الاهتداء إلى مصدر هذه الحملة، ذلك أن المستفيدين من حرب الجزائر والامستعماريين العبيدين لم يأسوا بل أنهم لن يتخلوا بأي جهد للاعتراض على إرادة أغلبية الأمة الفرنسية التي توالى ضغطها كي تبدأ حالا المفاوضات الرسمية المباشرة وما أهم أسلحتهم التي يعتمدون عليها إلا الكذب والتصريحات المرورة والأثناء المنفقة التي يصنعونها مسعاء بالإضافة إلى عملية بعث الاضطراب في النفوس والركون إلى التشديق بخلافات موعومة يدعون أنها قائمة داخل حكومتنا أني أكتفي في هذا الصدد بأن أقول أن أولئك الذين يروجون تلك الأراجيف التيسست عليهم حكومتنا بغيرها .

كل هذا يثير سخريتنا ولكنه لا يجعلنا نعرض عن أهدافنا الأساسية، إن مساهمتنا في قضية السلم بالجزائر تكنسي صيغة موقف سياسي واضح لا لبس فيه، إننا ندعو ومازلنا ندعو إلى التفاوض الرسمي المباشر دون شرط مسبق مهما يكن نوعه، ونحن على استعداد لخوض هذه المفاوضات ونعلم ما يريد وإلى أين نسير .

وموقفنا يحظى بمساندة حكومات المغرب وشعوبه المتدفع في طريق الوحدة، كما أننا واثقون من تأييد لا تحفظ فيه يحيطنا به العالم العربي وإفريقيا وآسيا والشعوب الحية للإسلام، ثم أننا واثقون أن جانبنا كبيرا من الرأي العام الفرنسي يوازرنا وهذا عنصر له أهميته أيضا، وبما أننا نعتمد على كل ذلك فإننا لن نترك ما جانا لأقل داع من دواعي الليبله ولاية مناورة".

¹ - جريدة العمل التونسية بين الحزب العر الدستوري، التونسي، 1673، يوم الخميس 22 رمضان 1380 (09/11/1961)، ص 1.

الملحق رقم: 02

رسالة العمل ساعة التفاوض¹

ينتظر الناس في كل مكان الإعلان عن موعد افتتاح المفاوضات الرسمية بين حكومة باريس والحكومة الجزائرية المؤقتة، ولم يصبح التفكير منصرفا إلى العوامل السياسية الأخرى المساعدة والمسيئة، التي لحق بالتفاوض نفسه فقد أجمع الرأي العام العالمي على اعتبار التفاوض المقبل نتيجة في حد ذاته.

وإذا ما حللنا هذا الإجماع وجدناه يرتكز على نظرة سياسية صحيحة ويستند إلى مراجع سياسية واقعة. إن حصول اتفاق بين الجانبين المعنيين مباشرة بقضية الحرب وقضية الحرية في الجزائر يعني تحقق استعداد للتفاهم وبالتالي لوجود الحل الملائم الذي لا سبيل إلى الظفر به بغير النقاش المفصل حول نقاط الخلاف وحول أسس المستقبل السياسي والإنساني لعلاقات البلدين ومدى ارتباطهما ببعضهما.

ولقد سجل التاريخ من قبل قضايا عسيرة تم حلها في ظروف ملائمة وعلى أسس مقبولة وغن كانت غير دائمة لما فتح باب التفاوض المباشر واستعد الجانبان للتفاهم. ولقد سجل التاريخ في تونس -مثلا- أن التفاوض كان نتيجة تطور سياسي ولدته فترة التصادم وانعدام التفاهم، ثم كان لتلك النتيجة حصول إنجاز ما أتت بتسرع حتى حقق الاستقلال الكامل للبلاد.

لذلك فقد وجب أن يكون التفاوض المقبل بين حكومة فرنسا وحكومة الجزائر خاليا من شوائب التردد وبعيدا عن أجواء التوقع التي يسعى لإيجادها شق أنصار الحرب والإبادة، وجب أن تكون نتيجة التفاوض مضمونة الإيجاب، ولضمان الإيجاب لزم الاستعداد ولزمت الصراحة وعزيمة التفاهم، فلا يمكن أن يؤول مفاوضات (إيفيان) إلى فشل قد يؤول بالمغرب الكبير إلى سلوك متعرج خطير ليس من صالح فرنسا مطلقا أن تعمل على إيجاده فيكون التصدغ المطلق.

فإذا التفتنا إلى حكومة الجنرال دي غول لنؤكد لها أن قيامها ببادرة إطلاق سراح بن بلنه ونولاء أليكس والمسجون الكثيرة الأخرى سوف يقابله الرأي العام في المغرب الكبير بكل ارتياح، فضلا عما يرى فيه من تلميحات وضمائمات لنجاح الملاقاة الفرنسية الجزائرية - فما هو إلا حرصنا على تقريب ساعة السلم والتفاهم ولنسوف نخدم تلك البادرة مبدأ التفاوض نفسه وتضمن مناعته-.

¹ - جريدة العمل التونسية ببيان الحزب الحر الدستوري التونسي، العدد 1687، يوم الأحد 10 شوال 26/1380 هـ - مارس 1961، ص 1.

ملحق رقم: 03

السيد كريم بلقاسم يعود إلى تونس ويقول
نحن على استعداد دائم للتفاوض¹

أدلى السيد كريم بلقاسم بتصريح قال فيه:

" ليس لدي ما أقوله لكم سوى أنني وجدت أثناء زيارتي الدبلوماسية الأخيرة تفهما كبيرا لدى البلاد والحكومات العربية، وقد أكدت هذه الحكومات مساندتها المطنقة لسياسة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ولكفاح الشعب الجزائري في سبيل استقلاله..."

واستطرد السيد كريم بلقاسم قائلا: "... أن الأمور تتقدم بقدر ما نثار نحن على عملنا الذي يتعزز به جهاز الثورة الجزائرية في الميدانين الداخلي والخارجي .."

وجوابا عن سؤال جرحه أحد الصحفيين قال نائب رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مؤكدا: "... إننا نحن الذين طالبنا بالتفاوض لذلك فنحن على استعداد دائما لإجراء المفاوضات وموقفنا منها معروف".

ورجابه عن سؤال آخر يتعلق بتقديم الخطى نحو التفاوض قال السيد كريم بلقاسم: " لقد حصل تقدم بطيء ولا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك وإن الأيام المقبلة هي وحدها التي ستبين لنا هل أن هذه المفاوضات ممكنة أم لا".

وقد كان في استقبال السيد كريم بلقاسم في مطار العريشه كل من السيد محمد يزيد وزير الأخبار في الحكومة الجزائرية والأستاذ بوزيده نائب رئيس اللجنة الجزائرية بتونس والسيد رشيد قايد عضو ديوان السيد محمد سعيد وزير الدولة.

¹ - جريدة العمل التونسية بيان الحزب الدستوري التونسي، العدد 16/6، يوم الأحد 25 رمضان 12/1380 مارس 1961، ص 1.

ملحق رقم: 04

رسالة العمل
في انتظار النتائج والأفعال¹

لم تشد منذ أيام صحيفة هتم بالقضية الجزائرية في الحديث عما جرت العادة الآن على تسميته "المباحثات السريين بين الجزائريين والفرنسيين". فقد رددت كل صحيفة يومية أو أسبوعية تريد أن تكون لها يد في هذه التطورات أخبارا تفتقر إلى الصحة بقياس مقدار علم كبار محرريها بحقيقة الأوضاع الحالية. وشاهدنا الاهتمام بهذه المباحثات التي لم تبق على أية حال سرية في كتيبها يتزايد بقدر ما يلح المسؤولون من هذا الجانب أو ذاك على ضرورة ملازمة الصمت.

لكن مهما يكن من أمر فإن مجرد المقابلة بين مختلف التصريحات الرسمية تبرز بعض العناصر الثابتة: فأول عنصر هو أن الاتصال بين الجزائريين والفرنسيين قد ربط، وإن حافظ الطرفان على سرية هوية ممثليهم ومكان اجتماعهم وتاريخ اللقاءهم لأول مرة والفحوى الحقيقي لمباحثاتهم.

والعنصر الثاني هو أن هذا الاتصال لم ينقطع عندما انقطع في مولان بعد مباحثات لم تدم إلا بضعة أيام ولم يحدث من الجانبين انكماش أو احتراز اللهم تلك المحاولة التي صدرت عن بعض الدوائر الفرنسية والتي أسرع المفربون إلى الجنرال دي غول إلى إلزائها.

أما العنصر الثالث فهو يتمثل في هذا الانتظار "الإنجابي" - إذا صح هذا التعبير، لأنه انتظار إن لم يتصف بكثير من التفاؤل فإنه لا يتسم على أية حال بالتشاؤم.

فمن خلال هذه النتائج وحدها - يكفيننا إذا أردنا الانحصار عليها أن نقول أن ما تم إلى الآن يلقي ضوءا ساطعا على الموقف الموحد الذي أبرزته في المغرب الكبير ندوة دار السلام حيث استطاع فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة أن يتمم أهمية الدور التاريخي الذي بدأه في رامبوي وأن يلمس من النتائج ما أكد أمته في افتتاح طريق السلم.

فلنتظر حينئذ نهاية هذه المرحلة الهامة راجين أن نترجم الأفعال بسرعة عن "التطور السريع الإنجابي" الذي أقر ضرورته بلاغ رامبوي وأن يصبح ما أعلنه دار السلام من عدم وجود ما يحول دون التفاوض المباشر بين حكومة الثورة الجزائرية والحكومة الفرنسية واقعا في أقرب الأيام.

¹ - جريدة العمل التونسية بين الحزب الحر التنوري التونسي، العدد 1676، يوم الأحد 25 رمضان 1380/12 مارس 1961، ص2.

جغرافية البحر

بيليوغرافية البحث:

المصادر والمراجع

1/ باللغة العربية:

أ/ الكتب:

- 1- إبراهيم مذكور، ونخبة من الأساندة العرب : معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر: 1975م
- 2- أحمد محسن: الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة، ترجمة الحاج مسعود ومحمد عباس، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، القصبة، الجزائر، 2002م.
- 3- الحاج لخضر "العقيد": قيسات من ثورة نوفمبر 1954 كما عايشها، كتبها الطاهر حليس، شركة الشهاب، الجزائر، دون تاريخ.
- 4- أزغندي محمد لحسن: مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1989م.
- 5- أحمد توفيق المدني حياة كفاح ج3، تفصيل القضية وجهود أحمد المستيري سفير تونس بالقاهرة للحصول على القرض المالي من دولة الكويت .
- 6- أحمد توفيق المدني: حياة كفاح مذكرات ج3، ط2، م و ك، الجزائر، 1988م.
- 7- أبو القاسم سعد الله : الزمن الأخضر ، م. و .ك . الجزائر 1985م .
- 8- الأمين شريطة التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية 1919-1962، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1998م.
- 9- الخندي خليفة وآخرون: حوار حول الثورة ج3، طبع المركز الوطني للترقيق والصحافة والإعلام، الجزائر، 1986م.
- 10- الخندي خليفة: حوار حول الثورة ج3.
- 11- الرائد عثمان سعدي بن الحاج : مذكرات ، دار الأمة ، سنة 2000م.
- 12- - بيايمين سطورا: مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898 1974، ترجمة صادق عماري ومصطفى ماضي، دار القصبة للنشر، الجزائر: 1999م.
- 13- بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ونهاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، ط1 بيروت: 1997م.
- 14- بن يوسف بن خدة : شهادات ومواقف، دار النعمان للطباعة والنشر الجزائر : 2004م

- 15- بن يوسف بن خدة، اتفاقا إيفيان، تعريب حسن زغدار ومحل العير جيايلي، ديوان المطبوعات الجامعية، ب ت ، الجزائر.
- 16- بورقية الحبيب: من أقوال مجاهد الأكبر الرئيس الحبيب بورقيبة، منشورات الحزب الاشتراكي الدستوري، طبع، ش.ف.ر.ن.ص. تونس 1984م.
- 17 ثامر عبد الرؤوف، المؤتمرات الأفر-آسيوية والقضية الجزائرية، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، العدد 08 / ماي 2003م.
- 18 جان جاك شوفالبييه، تاريخ الفكر السيامي من الدولة القومية إلى الدولة الأمية ، ترجمة محمد عرب صاصيلا، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1991 م .
- 13
- 19- جوان غيبسي: الجزائر الثائرة، ترجمة خيرى حماد، دار الطليعة، بيروت لبنان، 1961م.
- 20- حربي محمد: الثورة الجزائرية سنوات المحاض، ترجمة نجيب عباد وصالح التلوئي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر: 1994م
- 21- ديش اسماعيل: السياسة العربية والمواقف الدولية اتحاد الثورة الجزائرية، ط1، دار افوسة، الجزائر 2000م.
- 22- دمي محمد، وعاء للشهادة: شركة العمل للنشر، تونس ، 1968م.
- 23- ديقول: مذكرات الأمل ، ج3، التجليد، (1958م-1962م)، ترجمة سموعي فوق العادة ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1971م.
- 24 رمضان لاوند، الحرب العالمية الثانية، عرض مصور، ط18، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 2001.
- 25 رضا مالك، الجزائر في إيفيان، تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962، ت فارس غصوب، ط1، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار الجزائر ودار الفارابي-بيروت-2003م.
- 26- سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، ترجمة محمد حافظ الجمالي، منشورات الذكري الأربعين للاستقلال 2002م.
- 27- شارل ديقول : مذكرات الحرب " الخلاص " 1944-1946، ترجمة : خليل هندلوي وإبراهيم نرجاعة، مراجعة :أحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت، لبنان: 1970
- 28- شارل اندري جوليان :إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة: المنجي سليم ، وآخرون، مراجعة: فريد السوداني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر: 1976م.

- 29- شارل روبر أجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمه عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1982م.
- 30- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر: 2002م.
- 31- عبد الحميد بخت: المجتمع العربي الإسلامي، ج1، ط2، دار المعارف، مصر: 1961م.
- 32- عبد الله شريط ومحمد الميلي: الجزائر في مرآة التاريخ، ط1، مكتبة البعث، قسنطينة: 1965م.
- 33- عبد الكريم بوالصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين ميلة: 2004م.
- 34- عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ونغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.
- 35- عمار هلال: الحركة الوطنية بين العمل السياسي والفعل الثوري، (1945-1947)، مجلة الذاكرة ع3، المتحف الوطني للمجاهد المطبعة الجزائرية للمجلات والخرائد، الجزائر، 1995م.
- 36- عبد الله شريط، مع الفكر السياسي الحديث والجهود الإيديولوجية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1986م.
- 37- عني تابليت "من جرائم فرنسا في الجزائر" مذابح 8 ماي 1945، كمقدمة وتمهيد لثورة أول نوفمبر 1954، الثورة الجزائرية أحداث وتأملات، إنتاج جمعية أول نوفمبر، مطابع عمار فري، باتنة، الجزائر: 1994، ص ص19-20.
- 38- عبد الرحمان بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي، ج3 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر: 1981م.
- 39- عامر رحيمة: الثورة الجزائرية والمغرب العربي.
- 40- عبد الله شريط: الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية الجزء الأول 1991، السداسي الثاني، منشورات وزارة المجاهدين، بدون تاريخ.
- 41- فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها، نيل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحان، مطبعة فضالة الخمدية، المغرب دون تاريخ.
- 42- فتحي الديب: عيد النصر وثورة الجزائر، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة 1984م.
- 43- فضيل الورتلاي: الجزائر الثائرة.
- 44- فرات فاثون: معذبو الأرض، ترجمة: د. سامي الداروي و د. جمال الأتاسي، ط3، دار الطليعة بيروت 1979م.

- 45- قليل عمار: ملحمة الجزائر الجديدة، ط1، ج3 دار البعث، قسنطينة، 1991م.
- 46- مصطفى طلاس وبسام العسلي: الثورة الجزائرية، ط1، دار الشورى، بيروت، لبنان: 1982
- 47- محمد حربي: الثورة الجزائرية سنوات المحاض، ترجمة نجيب عياد وصالح المشلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر: 1994م.
- 48- مولود قاسم ثابت بلقاسم: ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على ثورة نوفمبر، ط1، دار البعث قسنطينة، الجزائر: 1983م.
- 49- محمود كامل المحامي: الدولة العربية الكبرى، ط2، دار المعارف، بمصر، دون تاريخ.
- 50- محمد كامل لينه: المجتمع العربي والقومية العربية، دار الفكر العربي، القاهرة 1966م.
- 51- محمد الصالح الصديق: أيام خالدة في حياة الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر: 1999م.
- 52- محمد العربي الزبيري: الثورة الجزائرية في عامها الأول، ط1، دار البعث الجزائر: 1984م.
- 53- محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة: كميل داغر، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية ودار الكلمة للنشر، بيروت، لبنان: 1983م.
- 54- شفيق فداش والجيلالي صاري: المقاومة السياسية 1900-1954 الطريق الإصلاحية والطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1987م.
- 55- محمد البشير الإبراهيمي: في قلب المعركة، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997م.
- 56- مصطفى هشماوي: جذور نوفمبر 1954 في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر.
- 57- محمد بجاوي، الثورة الجزائرية والقانون، ترجمة علي الخش، دار البقعة العربية، ب ت،.
- 58- محمد يوسف: الجزائر في ظل المسيرة النضالية المنظمة الخاصة، ترجمة محمد الشريف بن داوي حسين، وزارة المجاهدين، الذكرى 40 لاندلاع الثورة.
- 59- محمد عباس: ثوار عظماء، دار هومة الجزائر: 2003م.
- 60- مصطفى هشماوي، جذور نوفمبر 1954 في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر.
- 61- محمد حسنين: الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر: 1986م.
- 62- محمد حسنين، الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1986م.
- 63- محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر (1942-1996)، ج2 دار هومة، الجزائر: 2000م.

- 64- محمد الصالح الجابري : النشاط الثقافي والعلمي للمهاجرين الجزائريين في تونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب، 1983م.
- 65 محمد شرقي: موقف الصحافة التونسية من الثورة التحريرية وعلاقتها بالأفلام الجزائرية، كتاب الثورة التحريرية في الصحافة العربية (1954-1962)، بحث غير منشور.
- 66 محمد حري: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع : ترجمة كميل داعنر، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983م.
- 67 مصطفى طلاس ، وسام العسلي: الثورة الجزائرية ، ط1، مؤسس طلاس للدراسات والنشر دمشق، 1984م.
- 68- محمد الميلي : مواقف جزائرية ، ط1، م.و.ك، الجزائر، 1984م.
- 69- محمد الصالح الجابري و آخرون : الأدب العربي في شمال إفريقيا ، مقالات نقدية وبيبلوغرافية وصفتها، دار مهجر 1982م.
- 70 - محمد صالح الجابري : النشاط الثقافي والعلمي للمهاجرين الجزائريين في تونس 1900- 1962 . الدار العربية للكتاب .
- 71- محمد شرقي: موقف الصحافة التونسية من الثورة التحريرية وعلاقتها بالأفلام الجزائرية ، كتاب الثورة التحريرية في الصحافة العربية 1954-1962، بحث جماعي غير منشور.
- 72- محمد صالح الجابري : الهوية الجزائرية لدى الشعراء الجزائريين المهاجرين إلى تونس ، مجلة الثقافة العدد 86 ، الجزائر 1985م.
- 73- محمد صالح الجابري : الثورة الجزائرية من خلال بعض المسرحيات التي نشرت بتونس إبان الثورة ، مجلة الثقافة العدد 96 ، الجزائر 1986م.
- 74- خللا عز الدين وآخرون : العالم العربي، تقديم: حسن جلال العروسي ، ط2، دار إحياء الكتب العربية، مصر: 1962م.
- 75- وليم.ب. كواندت، الثورة والقيادة السياسية. الجزائر 1954-1968، مركز الدراسات والأبحاث العسكرية، دمشق: 1981م.
- 76- يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج2. ط2 منشورات المتحف الوطني للمجاهد

ب/الدوريات:

- 1- المجاهد : العدد 18 (16 فيفري 1958م).
- 2- المجاهد الأسبوعي: العدد 72، 11 جرينية 1960م.
- 3- المجاهد: العدد 36 (06 فيفري 1959م).
- 4- المجاهد: العدد 20، (15 مارس 1958).
- 5- المجاهد: العدد 19 (01 مارس 1958).
- 6- المجاهد : العدد 66 (18 أفريل 1960).
- 7- المجاهد : العدد 12، (15 نوفمبر 1957).
- 8- المجاهد: العدد 36، (06 فيفري 1959).
- 9- المجاهد : العدد 120 (10 أفريل 1961).
- 10- المجاهد : العدد 54 (1 نوفمبر 1959).
- 11- المجاهد : العدد 55 (16 نوفمبر 1959).
- 12- المجاهد : العدد 33 (08 ديسمبر 1958).
- 13- المجاهد : العدد 45 (29 جوان 1959).
- 14- المجاهد: العدد 58 (28 ديسمبر 1958).
- 15- المقاومة الجزائرية: العدد 03: (03 ديسمبر 1956).
- 16- المقاومة الجزائرية : العدد 16 (03 جوان 1957).
- 17- المجاهد، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني (الطبعة التونسية): العدد 16
- 18- جريدة الشعب، حوار مع المناضل صباي بوديسة: عدد يوم (22 جوان 1987).
- 19- جريدة الصباح " القضية الجزائرية أمام مؤتمر الطلبة بفرنسا "، 14 ماي 1957م.
- 20- جريدة العمل " النعرة الاستعمارية..."، 28 جانفي 1958م.
- 21- جريدة العمل " نفرة استعمارية "، 28 جانفي 1958م.
- 22- جريدة العمل : "اتحاد طلبة تونس يرأسل الخبيب"، العدد: 705، 29 جانفي 1958م.
- 23- جريدة العمل : "احتجاج طلبة تونس على حل جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين من قبل حكومة فرنسا"، العدد: 705، 29 جانفي 1958م.
- 24- جريدة الصباح : " الطلبة الفرنسيون يطالبون بإيجاد حل سياسي لقضية الجزائر"، العدد 16 أفريل 1957م.
- 25- جريدة الصباح: جبهة متحدة أحزاب شمال إفريقيا.

- 26 - جريدة الصباح: نصر للقضية الجزائرية، العدد 965، 10/02/1955م.
- 27- جريدة الصباح التونسية: جمعية الصداقة الجزائرية، العدد 978، 05/03/1955م.
- 28 - جريدة الصباح التونسية: وفد شمال إفريقيا في مؤتمر بانكوك، العدد 1017، تونس 20/04/1955م.
- 29 - جريدة العمل التونسية: العدد: 484، 14 ماي 1975م.
- 30- جريدة العمل التونسية: ماكس لوجون وموقف بورقية من الجزائر، العدد 489، 19 ماي 1957م.
- 31- جريدة العمل التونسية: "بيان من صحيفة العلم المغربية حول محررة ملوذة"، العدد: 504، 6 جوان 1957م.
- 32- جريدة العمل التونسية، العدد: 460، 16 أفريل 1957م.
- 33- جريدة العمل التونسية: "نشاط في الأمم المتحدة لتقديم بالقضية الجزائرية إلى الأمم"، 6 فيفري 1958م.
- 34- جريدة الصباح: الرئيس بورقية يتلقى شكر من وزير الأنباء الجزائرية، العدد 1972.
- 35 - جريدة المجاهد، العددان 12، 15، نوفمبر 1957م.
- 36- جريدة المقاومة الجزائرية، العدد 16، جوان 1957م.
- 37- جريدة العمل: الحكومة التونسية ستطلب من هيئة الأمم إيجاد حل لقضية اللاجئين الجزائريين، العدد 482، 11/ 5/ 1957م.
- 38- جريدة العمل: حملة أكتئاب لقائدة المقارمين الجزائريين، العدد: 480، 9/5/ 1957.
- 39 - جريدة العمل: فرنسا ترثي لحالة اللاجئين الجزائريين، العدد: 502، 4/ 6/ 1957.
- 40- جريدة الصباح برقية من الجزائريين المقيمين بتونس إلى القسم الجزائري بمكتب المغرب العربي بالقاهرة، 21 جويلية 1956م.
- 41 - جريدة الزهرة برقية من الجزائريين بتونس إلى رئيس الحكومة الفرنسية، 4 أوت 1955م.
- 42 - جريدة الزهرة، نداء من جزائري بتونس، 20 ماي 1956م.
- 43- جريدة الصباح نداء إلى جميع الطلبة الجزائريين، 29 ماي 1956م.
- 44- جريدة الصباح نداء جمعية الطلبة الجزائريين، 28 سبتمبر 1956م.
- 45- جريدة الصباح: 20 ديسمبر 1956، 1 جانفي، 6 فيفري 1957م.
- 46- مجلة الندوة عدد فيفري 1954
- 47- صحيفة المجاهد العدد 27، 22 جوان 1958م.

48- مجلة المجاهد: العدد 115، 19 فيفري 1962م.

ج/ المقالات المنشورة:

- 1- أحمد توفيق المديني: تصريح للعلم المغربي، جريدة الزهرة، 2 ديسمبر 1955م.
- 2- أوعمران: مجلة الباحث، احتفاضة السياسة للحيش الوطني الشعبي، عدد خاص حول التسليح، جويلية 1987م.
- 3- ابراهيم رعيوب: "علام شتلف؟" جريدة الصباح، 24 فيفري 1956م.
- 4- أنيسة بركات: أدب النضال في الجزائر من سنة 1954 حتى الاستقلال، مجلة الثقافة، عدد 95 الجزائر 1985م.
- 5- محمد ناصر: شعر الثورة من جانبه الفني، مجلة الثقافة عدد 86، الجزائر 1985م.
- 6- الحبيب بن ناسي: "مجلة القلم الجزائري"، جريدة الأسبوع العدد: 328، 30/03/1953م.
- 7- الطاهر وطار: إنا راجلون، جريدة الصباح، 6 أكتوبر 1956م.
- 8- الطاهر وطار: هات يدك يا أخي التونسي، الصباح، 12 أوت 1956م.
- 9- العربي لونيبي: عار عليك يا تونس، الأسبوع 26 ديسمبر 1955م.
- 10- بيان أول نوفمبر 1954م.
- 11- برباي بانس: الاستسلام في تونس خطر على الجزائر، جريدة الصباح التونسية، العدد: 1017، 20/04/1955م.
- 12- بو عزيز يحيى: دور الطلبة الجزائريين في ثورة التحرير الوطني، الثقافة: العدد 83 (سبتمبر أكتوبر 1984).
- 13- جان روس: "لا بد من الحل السياسي"، جريدة الصباح، العدد 1049، 26/5/1955م.
- 14- جريدة العمل التونسية: خطاب الرئيس بورقيبة 6 أبريل 1961م، العدد 5398، 13 جانفي 1973م.
- 15- جيلالي صاري، مظاهرات ديسمبر 1960 ودورها في التحرير الوطني، مجلة المصادر، العدد الثاني، 1999، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م.
- 16- حمادي بغريش: لو كنت ثائرا، جريدة الصباح، 8 جوان 1956م.
- 17- رابع بلعيد: "إقرار قانون جديد للجزائر 1947"، رسالة الأطلس، ع128، الحقة 35، مارس 1997م.
- 18- رجيلة عامر: الثورة الجزائرية والمغرب العربي، مجلة المصادر العدد 4، مركز البحوث في الحركة الوطنية والثورة التحريرية (1954م-1962م)، الجزائر، 1999م.

- 19- رشيد: مبنى يتعظ الفرنسيون؟، الصباح، 19 جانفي 1957م.
- 20 صموت كرمال: حركة الشباب التونسي مولد الشعور الوطني التونسي، المجلة التاريخية المغربية، عدد2، 1974م.
- 21- عبد الكريم بوالصفصاف: التحولات الاساسية في الحركة الوطنية الجزائرية، 1945-1954، مجلة سرتنا، ن5، مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر: 1981م.
- 22- علي كافي، يوم 20 أوت 1955م أسبابه ونتائجه، الذاكرة، مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة، السنة الأولى، العدد الثالث، 1955، المطبعة الجزائرية للمجلات، الجزائر.
- 23- عامر رخيعة، افتتاح التيار الوطني الاستقلالي على الفضاء العربي 1945م-1954م، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، العدد 6/ مارس 2002م.
- 24- عبد الرحمان شيبان: عيد تونس عيدنا، جريدة الصباح 20 مارس 1957م.
- 25- عبد الرحمان بالعقون: الإصلاحات المهنية، الأسبوع، 12 فيفري 1951م.
- 26- علي الجندوبي: عهد علمي جديد بالجزائر، جريدة الأسبوع، العدد 5، 1953/01/316م.
- 27- علي الجندوبي: من الشرق إلى تونس، جريدة الأسبوع 19 / أكتوبر 1953م.
- 28 محمد الطيب العلوي: " الشهيد زبعود يوسف القائد الشعبي المتواضع"، مجلة الذاكرة، ن5، يصدرها المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1998م.
- 29- محمد حسني عباس: حول اتجاهات السياسة التونسية، مجلة العلوم تصدرها الجمعية المصرية للعلوم السياسية، القاهرة، العدد 3 (ديسمبر 1957م).
- 30- محمد ليحيوي: حائق عن الثورة الجزائرية، دار الفكر الحر، 1971م.
- 31- محمد الأخضر السائحي: الإعانة الحائدة، جريدة الصباح، 27 جويلية.
- 32- محمد صالح الجابري: من تاريخ التواصل الثقافي بين تونس و الجزائر، مجلة الحياة الثقافية العدد 32، تونس. 1984م.
- 33- نداء من الاتحاد العام: الطلبة المسلمون الجزائريين إلى انطلاقة الجزائريين بتونس، جريدة الصباح، 22 مارس 1956م.
- 34- نداء إلى الضمير العالمي، جريدة العمل التونسية لسان الحزب الدستوري الحر، العدد 731، 20 فيفري 1958م.
- 35- يوسف الروسي: نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق، المجلة التاريخية المغربية، العدد 9: 1977م.
- 36- يحيى بوغزيز: رد قضية الجزائر مشكلة العرب يا قوم ...، جريدة الصباح 10 أوت 1957م.
- 37- يحيى بوغزيز: الصباح في معارك التحرير، وصوت الجزائر الحرة، الصباح 27 أكتوبر 1956م.

- 38- يحيى بوعزيز : لم نختلف أبدا ... جريدة الصباح ، 4 مارس 1956م.
 - 39- يوسف الرويسي : نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق ، المجلة التاريخية المغربية العدد: 9 1977 م.
- د/ الرسائل الجامعية والأطروحات:**
- 1- أحمد منغور : "الرأي العام الفرنسي والثورة الجزائرية (1954-1962)" رسالة ماجستير غير منشورة، تحت إشراف أ.د. عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ والآثار ومجهر الدراسات التاريخية والفلسفية ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة: 2006 .
 - 2- آمال شلي: " التطور العسكري في الثورة الجزائرية (1954-1962)" ، رسالة ماجستير غير منشورة، تحت إشراف أ.د. عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ والآثار. كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحاج لخضر باتنة: 2005.
 - 3- بن قليس أحمد: " السياسة الدولية للحكومة المؤقتة الجزائرية" ، رسالة ماجستير مخطوط، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر ، 1986م.
 - 4- رياض بودلاعة: " الديمقراطية في الثورة الجزائرية (1954-1962)" ، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة: 2005
 - 5- 1- عز الدين معزة : " فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899-1985" مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري - قسنطينة، الجزائر: 2000-2004م.
 - 6- عقيلة حنيف الله، " التنظيم السياسي- الإداري في الجزائر 1954-1962" ، رسالة دكتوراه في العلوم السياسية، معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 1995م.
 - 7- مجلة الرؤية، إضراب الثمانية أيام 28-4 فيفري 1957، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، العدد الأول، جانفي فيفري 1996م. - 43- شارل ديغول، مذكرات الأمل، ترجمة سمويحي فوق العادة، ط2، منشورات عويدات بيروت: 1986م.
 - 8- مقال عبد الله: دور بندان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية ، بحث محفوظ.
 - 9- مصطفى بوطورة: علاقة جبهة التحرير الوطني الجزائرية بالحكومة المصرية ، رسالة ماجستير محفوظ معهد العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، 1982م.
- هـ / الوثائق:**
- 1 وثيقة مرقونة نشرتها مصلحة اللاجئين لجبهة التحرير الوطني بتونس مؤرخة في 05 أكتوبر 1958.

II/ اللغة الفرنسية:

- 1 André Moine : Ma guerre d' Algérie , Edition sociales, Paris, 1979, p23
- 2- Ahmed Mehsas : le mouvement révolutionnaire en Algérie (de la 1er guerre mondiale à 1954), librairie édition l'haramattan, Paris, p p 307-308
- 3- Ali Haroun, Nous avons étouffé les résultats jusqu'au 05 juillet, in La Tribune du 03/07/2005, n° Hors Série P 05.
- 4- Ali Haroun, l'été de la discorde , Casbah éditions, Alger 2000, P 104.
- 5- Belaid Abdesselam, In Le hasard et l'histoire , entretiens de Mahfoud Bennoun et Ali Elkenz, ENAG éditions 1990.T 01 P 197.
- 6- BEN ATIA FAROUK : Les Actions humanitaires pendant la lutte de libération , dahleb , alger.1999 p93.
- 7- Charles Robert Ageron, les Algériens Musulmans et la France .P 36.
- 8- Dahou Ould Kablia , la guerre d'Algérie , contacts , pourparlers , négociations , l'autre combat pour l'indépendance , in El-Massadir, n° 07 p 23.
- 9- EL MOUJDAHID ORGANE CENTRALE DU FLN , Imprimé en Yougoslavie, Juin.
- 10- EL MOUDJAHID : N° (1 février 1958). TI.P.232.
- 11- Ferhat Abbas : guerre et révolution d'Algérie, la nuit coloniale, édition julliard, Paris, 1962.
- 12- GURNTRI MOHAMAD Organisation Plitico-Administrative et militaire de la révolution algérienne de 1954 à 1962 OPU Alger 1994 T.I P 715.
- 13- Jean Lacouture : cinq hommes et la France, édition de seuil, Paris , 1961, André -3-Noushi, la naissance du nationalisme algérien, 1914-1954, édition de minuit, Paris, 1962.
- 14- Ibrahime Ghafa : l'intellectuel et révolution Algérienne, Edition Distribution Houma, Alger, 2001, p60.
- 15- Khalfa Mammeri ,Les Nations Unies face à la question algérienne 1954-1962, SNED , Alger, 1969 p206.

- 16- La Dépêche de Constantine : N° 16743 vendredi 9 décembre 1960.
- 17- Le journal d'Algérie, octobre, 1954.
- 18- Marcel Egreteau, réalité de la nation Algérien, Edition Social, Paris, 1957, p138.
- 19- Rédha Malck, Méritons notre Indépendance , in La Tribune du 03/07/2005, n° Hors Série P 07.
- 20- Slimane Shikh : l'Algérie en armes, office des publications universitaires , Alger : 1981, p85.

فكر في البسج

فهرس الأعلام:

- أبو العبد دودو: 160-165
- أبو القاسم سعد الله: 160 162-165
- ابن خلدون: 163 164
- ابن رشد: 164
- ابن ماجة: 164
- ابن حزم: 164
- إبراهيم الكفاي: 153
- ابن خاور: 96-108-111
- أبو اليفضان: 146
- آيت شعلاي:
- 170 آيت أحمد حسين: 59-60-62-66-80 81-85
- أحمد مصالي: 18-19
- أحمد فرانسيس: 57-60
- أحمد بن بنة: 59 60-62-66-67 70 71-80-95
- أحمد توفيق المدي: 60-67 146-173
- أحمد رضا جوحو: 146-149-157
- أحمد سحنون: 146 149
- أحمد الشقيري: 81
- أحمد بيرند: 57-65-71-132
- أندري مندوزي: 56
- اسمهان التونسية: 156
- اعمر أو عمران: 19-62-64
- إدريس المستورسي: 109
- أموري هرتون: 111
- أوريا: 152
- الأمير عبد القادر الجزائري: 146-147-149

- الأحضر السانحي: 149-146
- الأمير محمد: 149
- الأمين العمودي: 149-146
- الأمين دباغين: 18-19 62 64
- البشير الإبراهيمي: 31
- الخاج لحضر: 32
- الحبيب بورقيبة: 7-12-38-89-92-94-95-96-97 98 99 102 103
- 104 105 106 107-108-111-113-115-116-118-119-130-132
- 138-139-140-159 171
- الجنيدى خليفة: 160
- العباس بن الشيخ الحسين: 60
- العربي بن مهدي: 62-174
- الفيلالي: 136
- المنجي سليم: 105-106-110-123-132-133-136
- المصمودي: 137
- المرسي: 173
- الحبيب بن تاسي: 102-146-150-151-152-153 155 156 165
- السعيد الصالحي: 146 154
- السعيد الزاهري: 149-146
- البشير الإبراهيمي: 80-84 146 151 153-154-160-
- البشير العربي: 166
- الشيخ عارف: 166
- افادي السنوسي: 149-146
- المهدي أبو عبد الله: 146
- العربي التبسي: 148-146
- الشيخ محمد عبده: 153-150
- الشيخ الفضيل الوردلاي: 80
- الشيخ الشاذلي المكي: 80

- الشيشي: 157
- الصحر اوي أنور: 156
- القايسي: 157
- الطاهر الصرافي: 157
- الطيب العناوي: 157
- الصادق حماني: 157
- الطاهر وطار: 159-160 165-166-101
- الطاهر صفر: 7
- الطاهر الأسود: 78-80
- الققادي: 110
- المصمودي: 119
- الهادي عبيدي: 159 166
- الوزاني: 9
- بوزر تيتو: 57
- برنار تريكو: 69
- براري بانس: 86-87-88
- بورديو: 41
- بن يوسف بن خدة: 51-56-62-65 66 67
- بن با أحمد الحاج: 61
- بن حليم: 105
- بن طويان: 62
- بن مسعود: 154
- بورويح أحمد: 160
- بو الصوف عبد الحفيظ: 62-64 65
- بوضياف محمد: 59-60-62-66
- بينو: 112
- بجانك سوستيل: 46-47-48-51 56
- جان دانيان: 56

- جان مارسل جيسبي: 75
- جان روس: 89-90-91
- جبايلي: 70
- حاك در دور: 19
- حمال عند الناصر: 67
- حمال الدين الأفغاني: 150-153
- حينة هام: 156
- حنن ماريني: 82
- حامد رواجية: 60
- حميد عول: 56
- حسين الشريكي: 92-93
- حمادي بغيريش: 101
- حميسي الحجري: 133
- حمير الدين: 56
- حنق: 140
- حرد: 107
- حليس رشدي: 156
- حوشس: 112
- رويو باراك: 56
- ربي ستيب: 56
- رومان: 57
- رصا مائك: 71
- رجة: 166
- رويو لاکومست: 170-171
- رويو موربي: 107
- رايح بيطاط: 66
- رجة مبروك: 157
- ريشارد: 112

- زعفران بن مسعود: 45-62
- زهير: 60
- زهير بن حبيب: 62-65
- زهير بن مازن: 74
- زهير: 157
- زهير بن عوف: 157
- زهير بن مازن: 83-90-109
- شارل ديغول: 2-10-14-53-54-55-57-58-59-66-74-112-113-119-125
- شارل غاريني: 56
- شبيبة راشد: 156
- شربط الزهر: 78-80
- شريعة الكمال: 156
- صالح بن يوسف: 85-92-94-102-103-104-159
- صالح بن يحيى: 77-79
- صالح حربي: 160-161-165
- صالح عساف: 160-161
- عبد الكريم الخطابي: 9-10-81
- عبد رمضان: 56-62-64
- عبد الرحمن كيوان: 60
- عبد الرحمن فارس: 69-75
- عبد الحميد مهري: 62-64-65
- عبد الحميد بن باديس: 146-149-150-151-152-153
- عبد الرحمن شيان: 146-160
- عبد الوهاب بن منصور: 146-149-155
- عبد الرحمن عزيز: 156
- عبد العالي الأعصر: 148
- عبد الحميد بن هذوقة: 159-160-165

- عبد الله الركني: 166-160
- عبد الله شريط: 163 160
- عبد الله فرحات: 109
- عبد الله البوعمراني: 80 78
- عبد القادر السانحي: 161-160
- عبد العزيز التعالي: 79-77
- عبد الحفي الأوراسي: 94
- عثمان سعدي: 61
- علال الفاسي: 85-10-9
- علي منجلي: 56
- علي هارون: 75
- علي الحامي: 80-78
- علي درغال: 80 78
- علي الجندوبي: 154 149 148-147-146
- علي الراشدي التوسسي: 157
- عمر المختار: 139
- عمر بن قينة: 164
- عمر أو عمران: 117
- علي مزي: 125-112-57-56
- غاييم: 70
- غويو: 83
- فرحات حشاد: 11 8
- فرانكنين وورلقت: 10
- فرحات عباس: 93-88 87 85 67-64-62-56-48-39 15
- فرانسييس جيسون: 17
- فرانكو فابون: 160
- فرانسوا فيترون: 56-19
- فيصل: 124

- قسمة حتمى: 156
- قائد أحمد: 65
- قنوز حمرى: 157
- قنوز: 14
- كولىث: 17
- كرمى شاسم: 19-62-64-65-67
- كرمى شاسم: 69
- كشورى شاسم: 146-157
- كركا شاسم: 156
- كرهوى: 83
- كسى: 83
- كوى: 152
- كوى شاسم: 2
- كوى شاسم: 105
- كوى شاسم: 3-56-84-102
- كوى شاسم: 7
- كوى شاسم: 7
- كوى شاسم: 10-11
- كوى شاسم: 11-38
- كوى شاسم: 65
- كوى شاسم: 71
- كوى شاسم: 71
- كوى شاسم: 71
- كوى شاسم: 75
- كوى شاسم: 57-59-60-66-80
- كوى شاسم: 45-56
- كوى شاسم: 94
- كوى شاسم: 146-154

- محمد المهدى آل خليفة: 146-149
- عمى القدين باشقاروڤي: 146-156
- محمد طراد: 148
- محمد يوزورم: 156-157
- محمد انكاي: 157
- محمد المورتي: 157
- محمد المورتي: 159
- محمد ديب: 160-165
- محمد الصالح الجاني: 162
- محمد تاسم: 162
- محمد الجاني: 103
- محمد الخافسي: 95-97-111
- محمد الميريد: 93-110-111-115
- مصطفى الأشرف: 60-71-160-165
- حفادي زكرياء: 146-160-161-162
- مفاداد: 70
- موريس: 129-132-138
- موسوليني: 139
- موسراني: 170
- نزهة أمير: 157
- نعيم النعماني: 160
- ونشون تشرنيل: 10
- واصل عبد الحفي: 94
- هامر اشولد: 111
- يحيى بوعزيز: 101-128

فهرس الأماكن

- أمريكا: 13 /- أمريكا اللاتينية: 3 / أوروبا: 123-158
- أوروبا الغربية: 1 13 21-24-25-27-28 30 41-46
- أوروبا الشرقية: 1-15-21-24 35 60
- أفريقيا: 3-4-13 20
- إيطاليا: 4-5-57-139
- إسبانيا: 9-139
- استراليا: 139
- أسغى: 10
- آسيا: 3-4-13-20
- أواسط إفريقيا: 20
- إيفوان: 59-65-68 71-72
- الولايات المتحدة الأمريكية: 1-4 10 41-110 - 140
- الاتحاد السوفياتى: 1-4-41
- الكوراس: 45-47-85-89
- الأستانة: 147
- الأقطار المغاربية: 121-143 145 158-164
- الأمم المتحدة: 105 110-111-112
- الإسكندرية: 147-149
- البلدان المغاربية: 1-2-4-5-6 8 9 10-11-12-21
- البلدان الغربية: 78
- البليدة: 54
- الدول العربية الإسلامية: 79-80
- البلدان الإفريقية: 1
- البليطيق: 139
- الحفنة: 51
- الحجارة: 154

- الحروب: 46
- البحر الأبيض المتوسط: 13-20
- الجزائر: 1-2-3-4-6-7-12-13-14 15-16-17-18-19 20-21-22-23-24
- 25 26 27-28-30-31-32-33-36-37-38 41 42 43-44-46-54
- 70-77-78-79-80 82 83-84-85-86-87-88-90-91-92 93 94
- 95-96-97-99-100-101 102 103 105-106-107-109
- البحريه: 77-79
- الخلفه: 27-51
- القالة: 79 132
- القل: 46
- القصيرين: 77-79-134-135
- الهند الصينية: 2 3 90
- الفيتنام: 3 118
- الغزوات: 48
- القاهرة: 78-79-80-81-93 97
- المغرب: 4 6 9 12-29-44-52-57-60-92 93 95 96-97-98-100-101-
- 102-107 114 119-123-124-130-136-139-153 156 158
- 166-167-171
- البحر: 123
- المذبة المتوردة: 154
- الشمال القسطنطيني: 11 19 22-28-45-46-47-54-85
- الشلف: 10-54
- الصحراء: 20 26 27-65-129-132-139
- الصنوبر: 28
- الصين: 118
- المشرق العربي: 80
- المنيهة: 46 89
- الماء الأبيض: 134

- ... الرباط: 10 69
- ... الدار البيضاء: 10
- الدواوير: 134
- ... الدير: 134
- العاظم الجديد: 21
- العاصمة: 19 20 28 51
- ... النمامشة: 19
- الكويف: 22 134
- الكومون: 161
- ... الكاف: 129-134
- ... الكشافة: 147-148
- الكباب: 39
- باكستان: 2
- ... باريس: 11-24-78-111-112-113-119-126
- باحد: 129-134
- باردو: 28-173
- بحاية: 54
- بحيرة الأرنب: 134
- بعداد: 77 124
- بريطانيا: 1-3-6-38
- بركة: 6
- برازيل: 14
- برج بوعريش: 28
- بكارية: 134
- ... بنغراد: 57
- سدان الشمال الإفريقي: 77 78 79-81-84-91
- بلاد القبائل: 85-90
- بوزنت: 119 134

- بر سعاده: 51
- بون: 137
- تالة: 77 79 134-135
- تالوشة: 135
- تازينت: 134
- تبسة: 79
- تونس: 4 6-7-8-11-12-28 44 52-57-60-77-78 79 80-81-82-83-85
- 86 87-88-89-90-91-92 93-94-95-96-97 98 99-100-101
- 121-122 123 124-125-126-127 128-129-130-131 132
- 133 134-135-136-137 139 140-141-142 143 144-146
- 148-150 153 156-157-158-159 160-161-162-163 164
- 165 166-167-171 172 173-174
- تلمسان: 153
- توزر: 129-134
- تيزي وزو: 54
- جبل الكوشة: 106
- حنيف: 3-46 123-124-133
- جذة: 154
- جنانة: 129
- حيحل: 46
- حراطة: 15 16
- خنشلة: 19
- دار الخديت: 147
- دمشق: 2-28 77 147
- ديان بيان فو: 3-11-55
- روسيا: 118
- زقوان: 135
- ساقية سيدي يوسف: 106-129-134 138-140

- سبطنة: 129-131-134-135
- سبطنة: 15-16-29
- سبطنة: 46-54-89
- سمى أهماس: 79
- سوطى الأربعة: 134
- سورنا: 77-154
- سورنا: 134
- سباني بنعاس: 54
- سباني بنعاس: 57
- سمرة: 139
- سباني بنعاس: 3-6-104-103-107-119-153-158-160-161-163-171-172
- سباني بنعاس: 134
- طنجة: 11-113
- طبرقة: 129-131
- غابة: 79
- عين عربة: 46
- عين قوسنت: 54
- عين ذراعهم: 106-129-133
- عين عربة: 134-135
- عين حمورفا: 134-135
- غار الدمام: 129-131
- عم نسا: 1-2-3-4-5-6-7-8-9-10-11-12-13-14-15-19-20-21-24-25
- 26-27-28-29-30-31-34-36-38-46-82-83-84-86-87-89-91
- 92-93-94-95-96-98-99-103-105-106-107-108-109-111
- فاسطون: 8
- فوسم باني: 39
- فريانة: 135
- قم الخلفة: 106

- قباله اسمعيل: 3-149
- قران: 6
- قس: 7
- 15-16
- قبطية: 89-125 138 139 148-150 151-165
- قس: 51
- قبطية: 129-134
- نيا: 1 4 5-6-12-38-44-65-96 105 124 114-130-139-166
- نيا: 2-154
- نوقران: 65
- نونا: 139
- مصر: 1-3-4-6-10-51 57 60-61-62-64-114-116 117 124-147-154-
- 159-166
- مراکش: 9-10-11
- مدغشقر: 11
- موريطانيا: 44
- مينة: 46
- مغنية: 48
- مغول بورقية: 129-134
- مدين: 129-135
- مجاز الباب: 129
- مر سدا: 134
- ملوزة: 139
- معهد عبد الحميد بن باديس: 149
- مكة: 154
- مكا: 147
- نرومة: 48 / نوبرك: 60- / نقطة: 77 79 / 30 34 / 110 111
- 57

فهرس الأحزاب والجمعيات والأحلاف والمنظمات:

- أحزاب شمال إفريقيا: 81
- أمريكا: 123
- إقطاعيين: 27-42
- الألمانية: 2
- الأوروبيون: 46
- الاتحاد العام للنساء الجزائريات: 141 143 144
- الاتحاد العام للعمال الجزائريين: 8-49-104-141-173
- الاتحاد العام التونسي للشغل: 104
- الاتحاد العام للتجار: 49
- الاتحاد العام للصناعة والتجارة: 141
- الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين: 127 128 140 166-170-171
- الاتحاد العام للعمال: 25
- الإخاء العلمي: 151
- الأزهر: 166
- الإسلام: 31-37-38-42-43
- الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري: 39-63
- البعث: 15
- البرلمان الفرنسي: 17
- البوسقية: 116
- التيار البعثي: 116
-
- الثورة الديمقراطية الشعبية: 73
- الثورة الجزائرية: 11-12-15-16-17-18-19 20 22 26 43-44-45-100
- الجبهة الوطنية الليبية المتحدة: 5
- الجامعة العربية: 81
- الجالية اليهودية: 14

- الجامعة الزيتونية: 148
- الجامع الأخضر: 153
- الحركات الوطنية: 2
- الحلف الأطلسي: 3
- الحركة السنوسية: 5
- الحزب الوطني الليبي: 5
- الحلف الأطلسي: 112
- الحلفاء: 10-8-5
- الحركة الوطنية التونسية: 6-7-8-43-103
- الحركة الوطنية الجزائرية: 6-14-16-17-18-19-20-43-72
- الحرب العربية الإسرائيلية: 8
- الحركة الوطنية المغربية: 9-10-43-82
- الحركة الوطنية السياسية: 77
- الحركة المصالية: 48-51
- الحرب العالمية الثانية: 77-82
- الحركة الوطنية لشمال إفريقيا: 77
- الحركات الإصلاحية: 152
- الحكومات الأوربية: 152
- الحزب الدستوري: 7-103-104
- الحزب الدستوري الحر: 102-106-118-159
- الحزب الوطني المغربي: 9
- الحزب الشيوعي الجزائري: 63
- الحكومة المؤقتة: 138-140-141-142-144
- الحكومة الجزائرية المؤقتة: 115-117-118
- الهندونية: 162-163
- الدولة الجزائرية: 43
- الدولة الوطنية: 128-140
- الديوان السياسي: 102

- الراوية الحسلاوية: 148-159-160-166-175
- السلطام الفرسمية: 47
- الشعوب المسعمرة: 2
- الشيوعية السوفياتية: 139-159
- الصليب الأحمر الدولي: 132-133-134
- الطلبة الزيتونيين: 127
- الغر نسيون: 46
- القضية التونسية: 8
- القضية المغربية: 11
- القضية الجزائرية: 46-47-55-59-60-61-62-67-130-137-140-143-144
- 160-172
- القرويين: 166
- القوة الثالثة: 71
- الكتلة الوطنية الليبية الحرة: 5
- الكتلة الأفرو آسيوية: 51-85
- الكتلة العربية: 51
- الكنيسة الكانوليكية: 152
- اللجنة المركزية: 19
- اللجنة الثورية للوحدة والعمل: 39-51
- اللجنة المركزية للإستفتاء: 74
- اللجنة الزيتونية: 148-162-163-164
- الميثاق الأطنطلي: 91
- المعسكر الشرقي: 1-3-4
- المعسكر الغربي: 1-3-4
- نخور: 2-5
- الماركسية: 116
- المؤتمر العام التونسي: 8
- المقاومة الوطنية الجزائرية: 12

- المسلمين الفرنسيين: 13
- المنظمة السرية الخاصة: 18-40-75
- المسلمون: 46
- المجلس الوطني للثورة الجزائرية: 49-50-61-63-64-65-66-
- المجالس الشعبية المنتخبة: 49
- المحافظون السياسيون: 49 لكتب السياسي: 71
- المنظمة الإرهابية: (o.a.s): 74
- المحافظة السامية للملاحيين: 137
- المالكية: 162
- المنازية: 2-16-48
- الناصرية: 116
- النشاط العسكري السري: 17-18
- المزرعة البربرية: 19
- النهج الاشتراكي: 73
- الكتلة الإفريقية الآسيوية: 111
- الهيئة التنفيذية المؤقتة: 74
- الحلال الأحمر التونسي: 129-132-133-134-138
- الحلال الأحمر الجزائري: 133 137 140 141
- الحلال الأحمر المصري: 134
- ثورة البربر: 32-33-34-35-36-37-38-39
- ثورة الريف: 9
- ثورة تونس: 78 80
- ثورة المغرب العربي: 93
- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 32-37-47-63-84 - 147-148-151-152-153-
- 154 160 161 167
- جمعية الثورة والعلوم: 37-38
- جمهورية الجزائر: 39
- المجلس التشريعي الوطني: 39-46-47

- جبهة التحرير الوطني: 43-47 48 52 53-54-55-56-103 104 111
- جبهة مكنة تلميمية: 73
- جمعية مكنة الحرير: 127 128
- حركات الحور: 1-101
- حزب الاتحاد المصري النطراسي: 5
- حزب الدستور التونسي الجديد: 7-8-38-66
- حزب الحركة القومية المغربية: 9
- حزب الاستقلال المغربي: 10-11-66
- حزب الشعب الجزائري: 31
- حركة التحرير المغربي: 82
- حركة الإرهاب في تونس: 87
- حزب الجزائر: 95
- حزب التينتام: 89
- حزب الاتحاد الديمقراطي: 87
- حلف بندان تحري في البحر الأبيض المتوسط: 46
- حركة التحرير الوطني: 101
- حركة انتصار الحريات الديمقراطية: 18-19 39 59-63
- دولة الديمقراطية: 41 43
- دولة اجتماعية: 42-43
- مديرية جبهة التحرير: 50-52
- راسمالين: 27
- طبقة برجوازية فرنسية: 26-27-35-73
- كتلة العمل الوطني المغربي: 9
- لجنة التنسيق والتفديد: 45-49-50 51 52-59-60-61-62-64-66 97 113-133
- لجنة تحرير المغرب العربي: 77
- لجنة الدفاع عن أقطار المغرب العربي: 81
- لجنة تحرير المغرب العربي: 81
- ميثاق الأطلسي: 10-63

- مؤتمر الدار البيضاء: 10
- مكتب المغرب العربي: 10 60
- معاهدة الحماية: 12
- مجلس الشيوخ: 17
- مؤتمر أغرظل: 19
- منظمة اليونسكو: 27
- مؤتمر الصومام: 48 50 51 57-61-62-63-71
- مؤتمر ضرابلس: 64-65-66-70-71-72-73
- مؤتمر القاهرة: 64
- مؤتمر طنجة: 66
- مجلس الوزراء الفرنسي: 68
- منظمة أجم شمال إفريقيا: 6
- جيمس دي نيك: 46
- مؤتمر أمم المتحدة: 79
- هيئة الأمم المتحدة: 3-6-8-38-44-46-50-51-55 109 132 136-137
- وحدة الشمال الإفريقي: 44-112
- وحدة المغرب العربي: 44

فهرس الحكومات:

- بريطانيا: 1 3-6
- ثورة المغرب العربي: 93
- جيونس الخور: 5
- جيونس الخلفاء: 5
- فرنسا: 1-3-82-85-93-94
- سنطاط الاحتلال الفرنسي: 121-122-123-124-125 126 129-131-134-138-
- 139-145-162-170-171 174-
- نقوذ القوطاجيين: 79
- لجنة التنسيق والتنفيذ: 61 62 63-64-97
- الاتحاد السوفياتي: 1-3-4
- الثورة الجزائرية: 4 89 95-100-101-102-103 108 112-118-120-121-
- 122-130-136-137 138 141-142-144-145-146 156 157
- 158 159 163-164-165-166-168 169 170-171-172-173-
- 174-175
- الثورة القيسامية: 2
- الثورة الفلسطينية: 4
- الدول العربية الإسلامية: 79
-
- الجامعة العربية: 8-81-91-138
- الجمهورية الفرنسية الرابعة: 53-67
- الجمهورية الفرنسية الخامسة: 69
- الجمهورية الجزائرية: 76
- الحكومة المغربية: 96
- الحكومة الفرنسية: 3-69-80-83-84 87 88-90-91-95-98-99-102 104
- 106-107 112-113-116-118
- الحماية: 6-8-9-11
- الحكومة المؤقتة: 55-58-61-62-63-64 65 66-67-68-69-70-74 76

- الحكومة الجزائرية: 114-115-116 117-118-120
- الحكومة المصرية: 60
- الحكومة التونسية: 66-67-93 94-95-96-98-101-106 109-113-114-115
- 116-117-120
- الحكومة المغربية: 66-67
- الدول العربية الإسلامية: 79
- الدول الأوروبية: 5
- الدولة الجزائرية: 13-73
- السلطات التونسية: 121 123-124-126-127 129-130-131-132-134 135-
- 136-137-138-140 141 144-145-147-167 171-173-174-175
- السلطات الفرنسية: 11 12-13-14-15-16 17-24
- العالم العربي: 11-14
- الكويت: 138
- المنظمات الجزائرية: 84-92
- المنظمة النيبية: 5
- المنظمات المصرية والعربية: 60
- الولايات المتحدة الأمريكية: 1-4-96

فهرس الموضوعات

الصفحة	المحتوى
أ ي	المقدمة
01	الفصل الأول: الأوضاع الدولية والمحيط المغاربي عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م
01	- المبحث الأول: أثر العلاقات السياسية الدولية في نشاط الحركات التحررية.
04	- المبحث الثاني: التحولات السياسية والثورية في البلدان المغاربية.
13	- المبحث الثالث: التطورات السياسية عشية ثورة الفاتح من نوفمبر في الجزائر سنة 1954م
20	- المبحث الرابع: المسألة الاقتصادية في الجزائر عشية اندلاع الثورة.
26	- المبحث الخامس: المسألة الاجتماعية في الجزائر عشية اندلاع الثورة.
32	- المبحث السادس: المسألة الثقافية في الجزائر عشية اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954م.
40	الفصل الثاني: تطور الثورة الجزائرية ومؤسساتها السياسية والعسكرية
40	- المبحث الأول: اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر .
44	- المبحث الثاني: هجمات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955م.
47	- المبحث الثالث: مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م.
49	- المبحث الرابع: إضراب الثمانية أيام 28 جانفي - 04 فيفري 1957م
53	- المبحث الخامس: مظاهرات ديسمبر 1960م والذهاب إلى المفاوضات.
58	- المبحث السادس: الوفد الخارجي و لجنة التنسيق والتنفيذ (C.C.F).
62	- المبحث السابع: المجلس الوطني للثورة الجزائرية (C.N.R.A) والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (G.P.R.A).
76	الفصل الثالث: العلاقات السياسية الجزائرية التونسية (1954-1962)
77	- المبحث الأول: اهتمام الصحافة التونسية بالتطور السياسي في الجزائر.
90	- المبحث الثاني: المكانة السياسية في العلاقات الجزائرية التونسية إبان الثورة.
103	- المبحث الثالث: تطور العلاقات الجزائرية التونسية (1957-1962).

119	الفصل الرابع: العلاقات الاجتماعية الجزائرية التونسية إبان الثورة
120	- المبحث الأول: أسباب الهجرة ومظاهرها في تونس.
126	- المبحث الثاني: الدعم الاجتماعي للاجئين الجزائريين بتونس (1954-1962).
138	- المبحث الثالث: تطور العلاقات الاجتماعية التونسية الجزائرية (1957-1962)
144	الفصل الخامس: العلاقات الثقافية الجزائرية التونسية
144	المبحث الأول: النهضة الثقافية في الجزائر من خلال الأعلام التونسية.
156	- المبحث الثاني: الأعلام الجزائرية في الصحف التونسية إبان الثورة التحريرية.
164	- المبحث الثالث: دور اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين من خلال الصحافة التونسية.
167	- المبحث الرابع: دعم الطلبة التونسيين للطلبة الجزائريين ودور المؤسسات التعليمية بتونس
173	الخاتمة.
175	الملاحق
179	بيبلوغرافية البحث
191	فهارس البحث
213	فهرس الموضوعات

